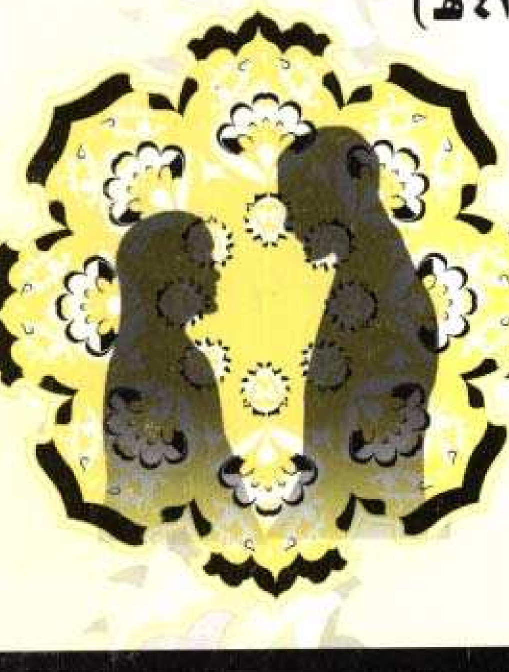
دكتور خالد حسن حمد الجبالى
أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية البنات بجازان
المملكة العربية السعودية

الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان

من الفتح الإسلامى للأندلس وحتى سقوط الخلافة

(٩٢-٤٢٢هـ)



مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت: ٣٩٠٠٨٦٨

٣/٥٠

الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان

من الفتح الإسلامى للأندلس وحتى سقوط الخلافة (٩٢-٤٢٢هـ)

تأليف

دكتور. خالد حسن حمد الجبالى
أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية البنات بجازان
المملكة العربية السعودية

الناشر مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت: 3900868
البريد الإلكترونى adabook@hotmail. com

الإهداء

«إلى روح والدي التى أحتسبها فى عليين ..

إلى روح والدي التى تسامَت بلا حدود ..

أهدى هذا الكتاب

خالد

المحتويات

المقدمة

ما إن وطئت أقدام العرب الفاتحين الأندلس سنة (٩٢ هـ/ ٧١٠م)، حتى شاع الزواج المختلط وعلى نطاق واسع؛ فشمل كافة المستويات حكامًا وعامة، ويشهد على ذلك الزيجات التى قامت بين الجانبين العربى الإسلامى والإسبانى؛ ذلك لأن أفراد الفتح دخلوا الأندلس بصورة منظمة وعلى شكل سرايا؛ لهذا دخلوها دون نساء، عندها اضطرتهم الحاجة إلى الزواج من فتيات أهل البلاد المفتوحة واتخاذهن زوجات وأمهات لأولادهم، ومع طول الوقت عاشوا جميعًا فى ظلال وحدة واحدة؛ ذلك لأن المرأة قُبيل مجيء الجيوش الفاتحة لشبه الجزيرة الإيبيرية كانت تعيش ظروفًا سيئة للغاية، بعيدة عن الحياة الإنسانية الكريمة، فضلاً عن حالة العبودية والذل التى كانت تعيش فى ظلها، ولا سيما نساء العبيد.

هكذا كانت المرأة فى المجتمع القوطى محرومة من أبسط حقوقها الاجتماعية والإنسانية، إلى أن جاء الفتح الإسلامى لشبه الجزيرة فأمر بالرفق واللطف، ونهى عن العنف والخشونة فى معاملة النساء؛ فللنساء حقوق وعليهن واجبات، ونستطيع القول إن مجيء الفتح الإسلامى لشبه الجزيرة الإيبيرية كان بمثابة عصر جديد خلّص الجزيرة من أشكال الاضطهاد الذى كانت المرأة تشقى بها فى ظل حكام القوط. لمس الناس من غير المسلمين فيه حسن معاملة المسلمين لهم، فأثار دهشتهم، وقادهم إلى تقبُّل الإسلام، وحُبِّ أهله، فازدادت الصلات وثوقًا وتماسكًا.

ومن هنا جاء اختيارى لموضوع البحث، لما له من أهمية فى كشف الصورة الحقيقية للمرأة الأندلسية، فضلاً عن أمور عديدة دفعتنى للكتابة فى هذا الموضوع هى:

أولاً: الحاجة فى الوقت الحاضر لمثل هذه الدراسات والأبحاث التى تتناول موضوعات هامة فى التاريخ الحضارى؛ لكونها تُعد نادرة وعلى درجة عالية من الأهمية.

ثانيًا: ما لعبته المرأة فى الأندلس من دور فاعل، ويشهد على ذلك ما يشير إليه على بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣م) عن نساء كان من بينهن، المعلمة، والطبيبة، والمغنية، والسرّاقة، والدلالة، والماشطة ، والنائحة، والرقّامة، والطبّاخة، والخبّازة، والمربية، فهو نفسه يؤكد على أنه تربى على أيدى النساء، كما وُصفت المرأة بالبلاغة والبراعة، من كل هذا نجد أهمية دراسة المرأة فى الأندلس، من أجل الوقوف على ذلك الدور الفعّال الذى لعبته فى مجالات الحياة كافة.

ثالثًا: ومما دعانى إلى اختيار هذا البحث هو الوقوف على الأدوار والمجالات التى ساهمت فيها المرأة إبان هذه الفترة، بالإضافة إلى التعرف على آثار الزواج المختلط فى جميع نواحى الحياة.

ويتألف هذا الكتاب من أربعة فصول، وخاتمة، إضافة إلى هذه المقدمة التى سيليها تحليل لأهم المصادر والمراجع. وقد تناولتُ فى **الفصل الأول**، وضع المرأة فى المجتمع القوطى قبيل الفتح، لشبه الجزيرة الإيبيرية، وانتقل الباحث، بعدها إلى الحديث عن المرأة الأندلسية بعد الفتح ثم تضمن مستلزمات الزواج الأندلسى، فتطرق الحديث إلى الخِطْبة، وشروط عقد النكاح، والصداق، وجهاز العروس، وحفلة الزفاف، ومصادر الحصول على زوجات، منها سبايا الحروب وتجارة الجوارى. ثم عرض ملامح الحياة الاجتماعية فى الأندلس من حيث ذكر العديد من المصاهرات التى تمت ما بين الجانبين، جاء أغلبها لأغراض سياسية ثلاثة، مع ذكر السُبل التى أدت إلى اتخاذهن زوجات وأمهات لأولادهم.

وقد تناولتُ فى **الفصل الثانى** من هذا الكتاب دور المرأة الأندلسية فى الحياة الاجتماعية، حيث وضحت دورها فى المجتمع بشكل عام، وفى داخل الأسرة بشكل خاص، ثم تطرقت إلى بعض جوانب حياة المرأة من خلال الحديث عن ملابسها وزينتها، بالإضافة إلى المهن التى مارستها فى المجتمع، والأعمال الدينية التى ساهمت فى بنائها. واستعرضت التركيب الاجتماعى للمرأة، وأخيرًا بيّنت أثر الزواج المختلط فى الحياة الاجتماعية، والمتمثل بظهور جيل جديد من الأبناء عُرف (بالمولّدين)، ومدى صحة مصطلح (مولد)، فضلاً إلى النتائج الإيجابية والسلبية

التى تركها الزواج المختلط فى المجتمع الأندلسى، والصفات الجمالية التى تميز بها جيل الأبناء.

وفى **الفصل الثالث** من الكتاب تناولت دور المرأة الأندلسية فى الحياة الثقافية، وعوامل انطلاقة النهضة الثقافية النسوية فى الأندلس، أولها: كان تشجيع الخلفاء للمرأة فى التعلم والاستزادة، وثانيها: حرية التعليم التى تمتعت بها المرأة الأندلسية، وتناولت دور المرأة المشرقية فى نقل الثقافة إلى الأندلس، مستعرضًا المجالات الثقافية التى ساهمت فيها المرأة؛ لا سيما فى مجال الدراسات الدينية والأدبية، كما كان لها اهتمامات بالموسيقى والغناء، ومن ثم تطرقت إلى أهم الوظائف الثقافية التى زاولتها المرأة، إذ كان منها وظيفة المؤدبة أو المعلمة، ووظيفة الكاتبة، واستعرضت أثر الزواج المختلط فى الحياة الدينية والثقافية.

وفى **الفصل الرابع** ركّزت على دور المرأة فى الحياة السياسية فى الأندلس بعد أن مُهد للموضوع، فأظهرت الأدوار التى ساهمت بها المرأة من حيث البدايات الأولى لتدخلها السياسى وخصوصًا فى ولاية العهد، ودورها فى المعارضة، وتدبير المؤامرات والاغتيالات لبعض الشخصيات السياسية فى الدولة، كما تحدثت عن بعض إسهامات المرأة عسكريًا، وبينتُ الدور السياسى الذى لعبه جيل الأبناء (المولدين) والمتمثلة بحركات العصيان والثورة ضد سلطان بنى أمية، ذاكرًا العوامل التى أدت إلى ثورتهم.

*** وقد اعتمدت فى هذه الدراسة على جملة من المصادر الأندلسية والمشرقية المخَطوطة والمطبوعة**، والمراجع الحديثة العربية والأجنبية، وقد اختصرت الحديث عن أهم المصادر التى استفاد منها البحث كثيرًا، مراعيًا ترتيبها الزمنى ودرجة أهميتها.

أولاً: تأتى كتب التراجم الأندلسية فى مقدمة المصادر التى أفاد منها الباحث؛ لاحتوائها على معلومات ذات قيمة عالية يُستدل من خلالها على الأدوار التى ساهمت بها المرأة فى الأندلس.

- ويعد كتاب **«قضاة قرطبة»**، لمحمد بن حارث الخشنى (ت٣٦٠ هـ/ ٩٧٠م)، وهو أحد العلماء الأوائل الذين كتبوا فى موضوع التراجم فى الأندلس، وقد ألف

هذا الكتاب فى عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م)، بناءً على طلب من ولى العهد الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) ، قدَّم هذا الكتاب صورة حقيقية لبعض جوانب الحياة الاجتماعية فى قرطبة فى تلك الفترة، استمد معلوماته من مصادر متنوعة.

وزقد استفدتُ منها فى التعرف على منزلة المرأة فى المجتمع الأندلسى وحقوقها داخل المجتمع، كما أوردتُ مقتطفات ذات علاقة بدور المرأة داخل الأسرة والمهن التى زاولتها، والعادات الاجتماعية التى كانت سائدة فى تلك الفترة، ولم أنس مسألة وجود الجوارى وما تركته من سلبيات فى المجتمع الأندلسى، وزوَّد الدراسة بإشارات أثرت البحث عن الحديث عن انتشار اللغة الإسبانية بين مسلمى الأندلس، وكذلك الحال بالنسبة لكتابه الآخر «أخبار الفقهاء والمحدثين».

- كتاب «**تاريخ علماء الأندلس**»، لعبد الله بن محمد بن يوسف الأزدى المعروف بابن الفرضى (ت٤٠٣ هـ/ ١٠١٢م): والكتاب عبارة عن تراجم لعلماء الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، تناول أخبارهم، وآثارهم، وسيرهم، وأنسابهم، وخصوصًا عند الحديث عن جيل الأبناء (المولدين)، واستفدت فى أحد نصوصه من إحدى المعلمات الأندلسيات، وهى فخر (ت٣١٧ هـ/ ٩٢٩م) ، وقيد هذا النص نقلاً عن المؤرخ أحمد بن محمد بن موسى الرازى (ت٣٤٤ هـ/ ٩٥٥م)، وأفاد الدراسة عند حديثه عن أخبار العلماء وسيرهم، والإشارة إلى مقابر حملت أسماء نساء؛ مثال ذلك مقبرة أم سلمة، ومقبرة متعة، ومقبرة مومرة اللائى يرجع نسبهن إلى أصول إسبانية.

- كتاب «**جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس**»، لمحمد بن أبى نصر المعروف بالحميدى (ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م): أورد معلومات قيِّمة عن الحياة الثقافية والاجتماعية للمرأة فى الأندلس، وكان من المعتاد لدى كتَّاب التراجم أن يفردوا فى نهاية الكتاب تراجم للنساء، وأعطى الكتاب فى بدايته مقدمة تاريخية لحياة الولاة والأمراء والخلفاء، استعرض فيها بصورة مختصرة لحياتهم، مشيراً من خلالها إلى أسماء أمهاتهم، وقد زود البحث ببعض العلاقات الاجتماعية أثناء ترجمته للعلماء.

- كتاب «الصلة» لأبى القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (٥٧٨ هـ/ ١١٨٢م)، والكتاب عبارة عن تراجم لعلماء الأندلس حيث قيد فيه أخبارهم، وأنسابهم، وسيرهم، وبلدانهم، ومواليدهم، ووفياتهم، وشيوخهم، لاسيما أسماء جيل الأبناء (المولدين)، وأورد كعادة كتّاب التراجم فى نهاية الكتاب صفحات عديدة تناول فيها العديد من النساء الأديبات والعالمات، وتعد تراجمه عن النساء فى غاية الأهمية؛ لما احتوته من معلومات مهمة، أفادت فى التعرف على الدور الثقافى والعلمى للمرأة ومشاركتها فى الأعمال الدينية، كما زود البحث بتراجم لنساء، غفلت عن ذكرها كتب التراجم الأخرى.

- كتاب «بغية الملتمس فى تاريخ علماء الأندلس»، لأحمد الضبى (ت٥٩٨هـ/ ١٢٠١م)، والكتاب يتضمن تراجم ولاة الأندلس وأمرائها، مع ذكر أسماء أمهاتهم، وزود البحث بمعلومات تخص رعاية الأم لأبنائها، وبعض المشاكل التى تركتها الجوارى على الحياة العامة فى الأندلس، كما أغنى الدراسة ببعض الإسهامات الثقافية التى شاركت فيها المرأة.

- كتاب «التكملة»، لأبى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن الأبّار (٦٥٨ هـ/ ١٢٥٩م): ويُعد هذا الكتاب ذا فائدة كبيرة بالنسبة للبحث ، لاسيما المخطوط الخاص بأعلام النساء فى الأندلس، وهو نص خطى استُلّ من كتاب التكملة الذى يُعد من أهم كتب التراجم الأندلسية، وقد حصلت على نسخة مصورة بالفوتستات من هذا المخطوط من الدكتور خليل الكبيسى الأستاذ بقسم التاريخ فى كلية التربية/ جامعة بغداد، وهو يعود بالأصل إلى المكتبة الأزهرية بالقاهرة تحت رقم (٤٥/ ٦٧٤٤ أباظة).

ويُعد هذا المخطوط ذا أهمية خاصة بالنسبة للبحث؛ لأنه يتضمن مادة غنية، كشفت عن العديد من الجوانب التى تخص المرأة فى الأندلس، فهو لايتناول التراجم التى تخص أعلام النساء حسب حروف المعجم، كما نلاحظ أن سمة الإيجاز تغلب على بعض تراجمه، ومهما يكن تبقى هذه التراجم الموجودة فى المخطوط ككل على درجة عالية من الأهمية؛ إذ تضمن المخطوط ترجمة لست وخمسين امرأة أندلسية، أفادت الدراسة فى مجالى التاريخ والأدب الأندلسيين،

ذاكرًا الأدوار التى ساهمت بها المرأة فى مختلف مجالات الحياة، ونجده فى بعض نصوصه ينقل عن المؤرخ أحمد بن محمد الرازى، كما سجل معلوماته نقلاً عن كتاب المقتبس لابن حيان خلف بن حيان (ت٤٦٩ هـ/ ١٠٧٦م): ويشير أيضًا إلى اعتماده على تاريخ عريب بن سعد القرطبى (ت٣٧٠هـ/ ٩٨٠م).

كما استفاد البحث من كتابه الآخر «الحلة السيراء»: لا سيما المعلومات التى اقتبسها عن ابن حيان، والتى أفادت فى الجوانب الاجتماعية سيما المصاهرات، وأعطى إشارات عن المرأة من خلال تراجمه للرجال الذين عاشوا خلال القرون الأربعة الأولى.

- كتاب **«الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة»**، لمحمد بن محمد بن عبد الملك المعروف بالأنصارى (ت٧٠٣ هـ/ ١٣٠٣م): ويبدو من بعض التراجم التى تخص البحث منقولة عن النسخة المخطوطة الخاصة بالنساء من كتاب التكملة لابن الأبَّار. مثال ذلك الشاعرة حسانة التميمية، والكاتبة زمرد، والكاتبة أميمة وغيرهن، وزود البحث بمعلومات ذات قيمة علمية تمس النساء فى الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية، كما أغنى البحث بمعلومات هامة تتعلق بجهاز العروس، ومسألة إعدادها ليلة زفافها، وأعطى صورة عن مشاركة المرأة فى الأعمال الدينية والخيرية والمجالات الثقافية.

- كتاب **«الإحاطة فى تاريخ غرناطة»**، للسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م): والكتاب عبارة عن تراجم لأمراء وعلماء غرناطة؛ أغنى البحث بمعلومات كشفت لنا عن زينة المرأة الأندلسية، واصفًا جمالها وزيّها وصفًا بليغًا.

ثانيًا: وتأتى كتب التاريخ فى المرتبة الثانية من حيث الأهمية، مع أنها تركز على الجانب السياسى والعسكرى، إلا أنها لا تخلو من إشارات ذات قيمة أغنت البحث فيما يتعلق بدور المرأة فى الحياة الاجتماعية والثقافية، وأول هذه الكتب من حيث الأهمية والترتيب الزمنى:

- كتاب **«تاريخ افتتاح الأندلس»**، لأبى بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية (ت٣٦٧ هـ/ ٩٧٧م): الذى ينتسب إلى ابن القوطية حفيدة

الملك غيطشة (Witiza) ، ويتضمن هذا الكتــاب الأحداث التاريخيــة التى مرت بها الأندلس منذ الفتح العربى حــتى وفاة الأمير عبد الرحمن بن مــحمد الأموى سنة (٣٠٠ هـ/ ٩١٢م)، ويعتبر من أهم الكتب الأندلســية التى ظهرت فى القرن الرابع الهجرى، وابن القوطيــة يعتبر من طبقات (المولدين)؛ ولذلك تأثــرت كتابته بتلك النزعة المتعصبة من الإنسان العربى وضد السيادة العربية، وذلك نراه يمجد أرطباس الأميـر القرطبى الذى تعاون مع العــرب، بينما يهــاجم القائد العربى الصــميل بن حــاتم ويصفــه بالجــهل والأميــة، وركّز الـكتاب على إظهــار أبناء جلدته بمظهــر حسن،[1] وتكمن قيمة الكتــاب فى أنه أورد بعض الإشارات عن المرأة ضمن هذه الفــترة، والتى ألقت الضــوء على مكانتهــا، وبيّنت بعض الأدوار الســياسيــة التى ساهمت فيها.

- كتاب «أخبار مـجموعة فى فتح الأندلس وذكـر أمرائها»، لمؤلف مجهول عاش فى القرن الرابع الهجرى: ويتضــمن الكتاب الأحداث التى مرت بها الأندلس منذ الفتح وحتى وفاة الأمير عــبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، ويعتــبر هذا الكتاب مــصدراً أساســيًا فى تاريخ تلك الفــترة، وعلى الرغم من أن مؤلف هذا الكتــاب لم يذكر مصــادره التى استمــد منها مادته، إلا أنه قــد سجل أخباره عن مصادرها السمعية منها والمكتوبة، ومن أهم الروايات التى قدمها مؤلف أخبار فى خدمة البحث تلك المتعلقــة بموسى بن نصير ودخوله الأندلس، بالإضافة إلى معلومات تخص أمراء بنى أمية تحدث فيها عن سيرهم، وأخبارهم، وصفاتهم وأسماء أمهاتهم.

- كتاب «فتح الأندلس»، لمؤلف مجهول: ويتضمن هذا الكتاب معلومات قيّمة عن تاريخ المسلمين فى الأندلس مــنذ الفتح وحــتى عهــد المرابطين، وعلى العكس من مؤلف أخبار مجموعة بأن مــؤلف فتح الأندلس يشير إلى مصادره التى استقى منها مــادته، فهو يقتــبس من عبد الملك بن حــبيب (ت٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)، والرازى (ت٣٤٤هـ/ ٩٥٥م)، ويتــميــز هذا الكتاب بتــقديم الحــوادث مرتبــة زمنيًا حــسب السنين، كمــا تضمن بعض المعلومات المهــمة والمتعلقــة بدور المرأة، وتأثيرهن على أزواجهن، وخــير مــثال على ذلك طروب زوجــة عبــد الرحمن بن الحكم الــثانى (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م)، وأفاد فى المصاهرات التى قامت ما بين الجانبين.

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، مقدمة المحقق، ص٢٦-٢٧، ٦٢-٦٣.

- كتاب «ذكر بلاد الأندلس»، لمؤلف مجهول: يبدأ بذكر فضل بلاد الأندلس وصفتها مدينة بعد مدينة، ثم ينتقل إلى ذكر من نزل الأندلس من الأمم والملوك من الطوفان إلى أن فتحها الإسلام، ومن ثم يذكر فتح الأندلس، وممن ملكها من أمراء العرب حتى ملوك الطوائف حسب التسلسل الزمنى، مع ذكر أخبارهم، وسيرهم، وصفاتهم، وأسماء أمهاتهم، وأعداد أولادهم من الذكور والإناث دون الإشارة إلى المصادر التى استمد منها معلوماته، وأفاد الدراسة عن دور المرأة فى المجالات الثقافية، وخير مثال لذلك الشاعرة حسانة التميمية التى برزت فى نظم الشعر، استغلت موهبتها الشعرية فى المطالبة بحقوقها، وأفاد فى بعض الأعمال الدينية التى شاركت فى بنائها، ومن أمثلة ذلك مسجد طروب، ومسجد مجد، ومسجد الشفاء، ومسجد متعة وجميعهن من أصل إسبانى.

- كتاب «المقتبس»، لابن حيان أبى مروان حيان بن خلف (ت٤٦٩ هـ/ ١٠٧٦م)، يُعد هذا الكتاب من أهم المصادر الأندلسية التى أفادت منها الدراسة من خلال القطع الأربع المطبوعة لغاية الآن؛ إذ زود البحث بإشارات تعدُّ ذات أهمية كبيرة، وخصوصًا إذا عرفنا أنه استمد معلوماته عن معاصرين للأحداث منهم أحمد بن محمد الرازى (ت٣٤٤هـ/ ٩٥٥م)، وعيسى بن أحمد الرازى (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م) وغيرهم.

وقد استفاد البحث بدرجة أساسية من الجزء الذى قام بتحقيقه الدكتور محمود على مكى، والذى يتناول فترة من عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦-٢٣٨ هـ/ ٨٢١-٨٥٢م)، وابنه الأمير محمد (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م). والمعلومات التى يوردها ابن حيان يقع تاريخها ضمن فترة البحث، حيث يشير من خلالها إلى بعض الأحداث السياسية التى برزت فيها المرأة، فمثلاً يشير إلى مسألة ولاية العهد فى عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م)، والدور الذى لعبته جاريته طروب، كما أنه عرض بعض الجوانب الاجتماعية التى تعكس جانبًا من المصاهرات، مستمدًا معلوماته هذه عن ابن القوطية (ت٣٦٧ هـ/ ٩٧٧م)، كما تضمن هذا الكتاب إشارات إلى فئات من النساء اللائى كُن يعملن فى البلاط من أمثلة القهرمانة، والرواشد، أما الجزء الذى

يتناول فترة الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠ هـ/ ٩١٢-٩٦١م) فإنه بدأ صفحات كتابه بذكر النساء، حيث عكست هذه الصفحات طبيعة العلاقات الاجتماعية بين نساء البلاط، والدور الذى لعبته بعض النساء من أجل الفوز برضى الخليفة، كما ألقت الضوء على بعض الجوانب السياسية التى ساهمت بها المرأة، وأفرد بعض المعلومات عن جيل الأبناء (المولدين) وحركاتهم الثورية بالتفصيل فى القطعة الخامسة من مؤلفه، وزود البحث بمعلومات عن الحُلى وزينة المرأة، وأعداد أولاد الأمراء والخلفاء، وزوجاتهم.

- كتاب «البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب»، لأحمد بن محمد بن عذارى المراكشى (ت بعد سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م): أحد المصادر التاريخية المهمة. ذكر فيه أخبار المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامى إلى منتصف القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى متبعًا فى ذلك منهج تسلسل الأحداث على أساس السنين، وتكمن أهمية الكتاب فى اقتباساته الكثيرة من مؤلفين سابقين؛ سيما أن مؤلفات بعض هؤلاء ما زالت مفقودة مثل عبد الملك بن حبيب (ت٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)، والطبرى (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، وعريب بن سعد (ت٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)، والبكرى (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، وابن حيان (ت٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)، كما أكثر النقل عن الرازى (ت ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م) وغيرهم، وقد وردت فى كتاب البيان لا سيما فى الجزء الثانى إشارات وافية إلى الأدوار السياسية التى قامت بها المرأة، وخير مثال إيجلونا،وطروب، وصبح، وتدخلهن الصريح فى شئون الدولة، وأظهر دور بعضهن فى تدبير المؤامرات والاغتيالات لشخصيات سياسية.

أما من الناحية الاجتماعية فقد أفاد؛ لأنه تضمن بعضًا من متطلبات الزواج الأندلسى، والمتمثلة بمسألة إعداد العروس، وزينتها، والألبسة التى شاع لبسها فى الوسط النسوى، ولجميع هذه الروايات أهمية كبيرة؛ لأن ابن عذارى سجل معلوماته عن معاصرين أخذوها بدورهم عن بعض التابعين الذين كانوا بصحبة موسى بن نصير عند فتح الأندلس، من أمثال على بن رباح اللخمى (ت١١٤هـ/ ٧٣٢م)، كما أعطى الكتاب مقدمة تاريخية لحياة الولاة والأمراء والخلفاء، استعرض فيها حياتهم مشيراً إلى أسماء أمهاتهم، وأعداد أولادهم من الذكور والإناث.

- كتاب «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب»، لمؤلفه شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد الشهير بالمقرى (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) نسبة إلى مقرة موطن أسرته القديم، ولد في تلمسان سنة (٩٨٦ هـ/ ١٥٧٨م)، ثم رحل إلى المشرق سنة (١٠٢٧هـ/ ١٦١٧م)، وزار مصر والحجاز ودمشق، ويُعد هذا الكتاب ذا قيمة أدبية عالية على الرغم من أنه ينتمي إلى مؤلفات العصر الحديث؛ إلا أنه يعتبر بحق مصدراً أساسيّاً لجميع الباحثين في تاريخ الأندلس والمغرب؛ وذلك لاعتماده على جميع مؤرخي الأندلس خصوصًا مَن فُقدت مؤلفاتهم أو أجزاء منها مثل بقية قطع المقتبس لابن حيان، ومؤلفات آل الرازي، ويُعد الكتاب موسوعة ضخمة حول الأندلس، وتاريخها، وجغرافيتها، وآدابها غطى تاريخ الأندلس منذ الفتح حتى السقوط، أفرد في صفحاته تراجم لنساء أديبات وعالمات لعصور مختلفة في الأندلس، وانتفعت الدراسة من تراجمه الخاصة بفترة البحث والمجالات السياسية، والاجتماعية والثقافية التي ساهمت بها المرأة، كما أعطى الكتاب مقدمة تاريخية لحياة حكام بني أمية، مشيراً إلى أسماء أمهاتهم وأعداد أولادهم الذكور والإناث، وكذلك أعطى البحث معلومات عن الألبسة التي شاع استعمالها عند أهل الأندلس.

- مخطوط «الأحكام الكبرى»، للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي (ت٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م): يُعد هذا المخطوط من الوثائق المهمة التي كُتبت عن الأندلس، والتي لا تزال تنتظر مَن يحققها، لقد استفاد البحث من المخطوط الذي تم الحصول عليه وعلى شكل صورة من الدكتور خليل الكبيسي أستاذ التاريخ الأندلسي في جامعة بغداد، فقد تطرق إلى قضايا اجتماعية لم يتطرق لها غيره، كالزواج ومتطلباته، كشف من خلالها حقوق المرأة الأندلسية داخل المجتمع، والشروط الواجب مراعاتها أثناء عقد النكاح، كذلك كان بالنسبة لعملية بيع وشراء الجارية.

وتُعد كتب الأدب الأندلسي في الدرجة الثالثة من الأهمية:

- كتاب **طوق الحمامة في الألفة والإلاف**، لابن حزم على بن أحمد، (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م): يُعد هذا الكتاب من أهم المصادر الأندلسية؛ لكونه يتطرق

إلى بعض العلاقات العاطفية، ودور بعض النساء المسنات فى تزويج يتيمة، أو إعارة ثيابها وحُليها لعروس مقلة، كما عُرف عن بعضهن بأنهن كن السفيرات بين العاشقين، وأفاد منه كثيراً لاسيما فى الجوانب الاجتماعية المتعلقة بالمرأة، كالحجاب وعلاقة ذلك بدورها فى المجتمع، والمهن التى مارستها، ومدى تأثير الفتنة القرطبية على المرأة من حيث زينتها وزيها، والمشاكل التى تركتها فئة الجوارى على عامة الشعب؛ لهذا فإن الكتاب يعطى صورة دقيقة عن المرأة لاسيما فى الفترات الأخيرة؛ وذلك لأن مؤلفه عاصر هذه الأحداث.

- كتاب «الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة»، لأبى الحسن على بن بسام الشنترينى الأندلسى (ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م): قدم هذا الكتاب معلومات مهمة عن الحياة الاجتماعية التى كانت تعيشها نساء القصر المترفات، ذاكراً حجرات ومقاصير عقائل الأمراء والخلفاء، بالإضافة إلى أمكنة الجوارى التى تستتر خلفها فى قصور الأمراء، كما كشف عن مساعدتها للرجل فى الحصول على قوت العائلة اليومى، فقد ذكر عن امرأة أخذت على عاتقها بيع اللبن من أجل إعالة أبنائها، كما أظهر مدى النفوذ الذى تمتعت به نساء علية القوم فى اغتيال بعض الشخصيات المهمة فى الدولة، وأفاد الدراسة عن بعض المصاهرات ذات الأبعاد السياسية، فضلاً عن علاقة المسلمين بالنصارى والزيارات المتبادلة بين الطرفين.

- كتاب «المُغرِب فى حُلى المَغرب»،ساهم فى تأليف الكتاب ستة من أهل الأندلس،كان آخرهم على بن موسى بن سعيد (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) وقد أمدنا هذا الكتاب بمعلومات متنوعة تتجلى قيمتها الأدبية فى الإشارة إلى كثير من الشاعرات اللواتى عكسن مكانة المرأة الأدبية فى المجتمع الأندلسى، كما تضمن الكتاب معلومات ذات قيمة عالية عن الجوانب الاجتماعية مثل الزواج المختلط، وكشف لنا الدور الإيجابى للمرأة الأندلسية من خلال مساهمتها فى القيام بالأعمال الدينية لاسيما نساء القصر المترفات.

وتُعد كتب الحسبة فى المنزلة الرابعة من الأهمية لهذه الرسالة:

- كتاب «أحكام السوق»، ليحيى بن عمر بن الأندلسى (ت٢٨٩هـ/ ٩٠١م)، رسالة ابن عبدون: فى القضاء والحسبة، ورسالة ابن عبد الرءوف : فى آداب

الحسبة والمحتسب، ورسالة الجرسيفي: في الحسبة، وقد زودت هذه البحث في المصادر بمعلومات ذات أهمية كبيرة عن فرائض النكاح الثلاث: الولي، والصداق، والشهود ومن شرطه الخطبة، والشروط الواجب توفرها عند عقد النكاح، وأظهرت دور المرأة في مسألة إعداد العروس ليلة زفافها، وحفلة الزفاف، والمتمثلة في الضرب على الدف والكبَر، والرقص أمام العروس، وكشفت عن دورها الاجتماعي في حضورها الولائم والمآتم والحفلات الأخرى، فضلاً عن بعض الآراء الفقهية التي تضمنت منع المرأة من الاختلاط بالرجال وفي كافة المناسبات، وحتى في المشي على طريق واحد أيام الأعياد والمناسبات، وعدم الوقوف على أبواب الدور لما فيه الكشف وعدم الاستتار، وحقوق المرأة حتى في مجلس القضاء يجب على القاضي مراعاتها، وأغنت البحث بمعلومات عن الألبسة التي شاع استعمالها في الأندلس.

واعتمدت هذه الدراسة أيضًا على جملة من المراجع الحديثة العربية والأجنبية، كان أبرزها كتاب ليفي بروفنسال: باللغة الفرنسية بعنوان: تاريخ إسبانيا الإسلامية، ويقع في ثلاثة أجزاء أفاد البحث في التعرف على دور المرأة في الأسرة، حيث أفرد المؤلف في أحد فصوله بابًا خُصص للحديث عن العائلة والحياة العائلية في الأندلس.

كما استفاد الباحث من مراجع تناولت التاريخ العام الأندلسي، منها كتاب «فجر الأندلس» لمؤلفه حسين مؤنس، وكتابي الدكتور السيد عبد العزيز سالم، الأول بعنوان تاريخ المسلمين وآثارهم، والثاني قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس دراسة تاريخية وعمرانية في العصر الإسلامي وهو من جزءين، وكتاب محمد عيسى الحريري: حركات المولدين في الجنوب الأندلسي في عصر الإمارة الأموية بالأندلس(٢٦٧-٣١٦هـ/ ٨٨٠-٩٢٩م)، وكتاب دولة الإسلام في الأندلس، لمحمد عبد الله عنان، وكتاب قرطبة الإسلامية في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، لمؤلفه محمد عبد الوهاب خلاف: تناول فيه الحياة الاقتصادية والاجتماعية خلال هذه الفترة، وكتاب عبد الرحمن علي الحجي: (أندلسيات/ المجموعة الأولى والثانية)، وكتاب الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب

الأندلسى، لمحمد سعيد الدغلى.

ومن كتب الأدب اعتمد الباحث كتاب **«الموجز فى تاريخ الأدب الأندلسى والمغربى»**، لمؤلفه هنا وحيد الدويدرى، وكتاب الشعر النسوى فى الأندلس لمحمد المنتصر الريسونى، وتكمن فائدته فى أنه يقسم الشاعرات الأندلسيات على حسب الفترات التاريخية، ويعطى تفصيلات واضحة عن كل واحدة منهن.

وأفاد البحث من كتاب **«تاريخ الأدب الأندلسى» (عصر سيادة قرطبة)**، لمؤلفه إحسان عباس، كما اعتمد على كتب تناولت تراجم النساء منها: **«كتاب الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور»**، لزينب العاملى، وكتاب **أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام** لعمر رضا كحالة، تناولت تلك الكتب تراجم لنساء أندلسيات ضمن الفترة مدار البحث.

وقد أفاد البحث من كل منها فى مجاله وحسب المجالات التى برزت من خلالها المرأة، منها ما كان بحثًا فى حضارة الأندلس كدراسة خوليان ريبيرا: **(نظرية حول عروبة الأندلس)**. ودراستى منجد مصطفى بهجت: **الأولى: المرأة والتعليم فى الأندلس**، والثانية: **أعلام نساء الأندلس مستلة من كتاب التكملة لابن الأبار**، (ت٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، ودراسة محمد عبد العزيز عثمان: **المرأة العربية فى الأندلس**، وعدا هذه الدراسات فقد أفادنا محمد عبده حتامله، **ملامح حضارية فى الأندلس**، إضافة إلى العديد من المراجع والمقالات العربية والأجنبية فى هوامش الرسالة مثبتة بشكلها الكامل فى قائمة المصادر والمراجع.

وبعد، فلا بد لى أن أحمد لله عونه، فلقد بذلت جهدًا كبيرًا من أجل أن يصل عملى إلى ما أهدف إليه. وآمل أن أكون قد وُفقت.

والله ولى التوفيق.

المؤلف

الرموز والمصطلحات

ولقد اعتمدت على مجموعة من الرموز والمصطلحات في هذا الكتاب، وهي كما يلي:

ص	صفحة
ج	جزء
ق	قسم
ط	طبعة
د	دكتور
هـ	هجرى
م	ميلادى
مخ	مخطوط
مج	مجلد
د.ت	دون تاريخ
د.ن	دون دار النشر
س	السنة
ع	العدد
ت	توفى
*	استخدمت للتعريف ببعض المصطلحات.

عندما أستخدم الكتاب لأول مرة أذكر مؤلفه واسمه بالكامل، وعند وروده بعد ذلك، أكتفى بذكر الاسم الذى اشتهر به المؤلف والمقطع الأول من اسم الكتاب إذا كان اسمه طويلاً.

الفصل الأول

مكانة المرأة فى الحياة اليومية

قبل الفتح الإسلامى لشبه جزيرة إيبيريا وبعده

أولاً: مكانة المرأة فى المجتمع القوطى.

ثانيًا: مكانة المرأة فى المجتمع الأندلسى.

ثالثًا: الزواج الأندلسى ومتطلباته..

١- الخِطبَة.

٢- شروط عقد النكاح.

٣- الصداق.

٤- جهاز العروس.

٥- حفلة الزفاف.

٦- الحجاب.

رابعًا: الزواج المختلط ما بين المسلمين الفاتحين والإسبانيين:

أ- مصادر الحصول على زوجات.

١- سبايا الحروب.

٢- تجارة الجوارى.

ب- المصاهرات.

خامسًا: مبررات اتّخاذ الإسبانيات زوجات للمسلمين وأمهات لأولادهم:

١- إباحة الإسلام اتخاذهن.

٢- جمالهن.

٣- علمهن.

أولاً: مكانة المرأة فى المجتمع القوطى:

عند الحديث عن وضع المرأة فى المجتمع القوطى، لا بد من الحديث عن أوضاع شبه الجزيرة الإيبيرية؛ حتى نقف على حقيقة تلك الأوضاع التى كانت تعيشها المرأة، فقد ذُكر أن أوضاع شبه الجزيرة كانت سيئة للغاية، فقد حلَّ بهم الفساد، وأصاب دولتهم الضعف[1]، وربما يعود ذلك إلى نظام الحكم فى شبه الجزيرة الإيبيرية[2]، الذى كان يقوم على مبدأ الانتخاب، وذكر أن نفراً من كبار أهل المملكة والأمراء كانوا يجتمعون بعد وفاة الملك لاختيار آخر من بين ظهرانيهم؛ فكان هذا الإجراء مدعاة لإثارة المنافسات بين فئات القوط[3]، ومبعثًا للقلاقل والثورات[4].

كل هذا أضعف المجتمع القوطى، وأوقع فيه القتال والتخاصم لسنوات طويلة؛ إذ كان ينشب الصراع بعد نهاية حكم كل ملك بين ذرية الملك الراحل والطامعين في العرش، ثم لا تلبث أن تبدأ الفتن والثورات الدموية لإقرار ملك جديد على العرش، أضف إلى ذلك البنية الاجتماعية التى كانت تقوم على أساس تقسيم

---

(١) عثمان، محمد عبد العزيز، المرأة العربية فى الأندلس، مجلة المؤرخ العربى، ع١٣، بغداد، س١٩٨٠م، ص١٠١. وسيشار إليه فيما بعد. عثمان: المرأة العربية. الشهيل، عبد الله محمد؛ صور عربية فى إسبانيا، النادى الأدبى، المملكة العربية السعودية، الرياض، س١٩٧٩م، ص١٩. وسيشار إليه فيما بعد، شهيل، صور عربية.

(٢) المرجع نفسه، ص١٩. العبادى، أحمد مختار، فى تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، د.ت، ص٥١ - ٥٢، وسيشار إليه فيما بعد. العبادى، فى تاريخ المغرب؛ مؤنس، حسين، فجر الأندلس دراسة فى تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الأموية (٧١١ - ٧٥٦م)، ط٣، الدار السعودية، س١٩٨٥م، ص١٠. وسيشار إليه فيما بعد، مؤنس، فجر الأندلس.

(٣) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ط٣، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، س١٩٦٥م، ص٢٦٥. وسيشار إليه فيما بعد، لوبون، حضارة العرب. صقر، محمد عبد الحميد، الفتح الإسلامى للأندلس، مكتبة سعيد رأفت، عين شمس، س١٩٨٥م، ص٨٤ - ٨٥. وسيشار إليه فيما بعد؛ صقر، الفتح الإسلامى. ذنون طه، عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربى الإسلامى فى شمال إفريقيا والأندلس، دار الرشيد للنشر، بغداد، س١٩٨٢م، ص٧٧. وسيشار إليه فيما بعد، ذنون طه، الفتح والاستقرار.

(٤) صقر، الفتح الإسلامى، ص٨٧.

المجتمع إلى ثلاث طبقات هى: طبقة كبار ملاك الأراضى والنبلاء، وطبقة العبيد، والطبقة العامة التى تشكل الأغلبية العظمى من السكان(١)، أما الطبقة الأولى فهم أصحاب الثروات والأملاك الواسعة، وهى طبقة أصحاب الامتيازات ذات الصلة المصيرية بالملك؛ لكونهم محاطين بأعداد كبيرة من الخدم المسلحين(٢)، وأما العبيد فكانوا يعيشون فى الإقطاعات ظروفًا سيئة للغاية، يُباعون ويُشترون من شخص لآخر، فكان الواحد من كبار مالكى الأرض يملك الآلاف من هؤلاء البؤساء، يعاملون بلا رحمة تلهب السياط أجسادهم، وعند مجىء الفتح الإسلامى، رأوا فيه المنقذ الوحيد من المتاعب، والظروف القاسية التى كانوا يعيشون فى ظلها؛ فدخلوا فى الدين الجديد دون تأثير أو إكراه من الفاتحين(٣).

---

(١) المقرى، أحمد بن محمد، نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، س١٩٦٨م، ج١، (برواية الرازى) ص٢٥٩. وسيشار إليه فيما بعد، المقرى، نفح الطيب. مؤلف مجهول، فتح الأندلس، نشر دون خواكين دى كونتاليت، الجزائر، س١٩٨٩م، ص٧. وسيشار إليه فيما بعد، مؤلف مجهول، فتح الأندلس. ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى بن عبد الله الأسدى الجيانى الأندلسى، وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة فى الأندلس، (مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى)، تحقيق د. محمد عبد الوهاب خلاف، مراجعة د. محمود على مكى ومصطفى كامل إسماعيل، القاهرة، د.ت، ص١١. وسيشار إليه فيما بعد، خلاف، وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة. ابن الشباط، محمد على التوزى، صلة السمط وسمة المرط، تحقيق أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية مدريد، س١٩٧١م، ص١٣٥. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الشباط، صلة السمط، الحميرى، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، نشر إ. ليفى بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، س١٩٣٧م، ص١٦٩ - ١٧٠. وسيشار إليه فيما بعد، الحميرى، صفة جزيرة الأندلس؛ بدر، أحمد، دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، ط٢، دمشق، س١٩٧٢م، ص٩. وسيشار إليه فيما بعد، بدر، دراسات فى تاريخ الأندلس. فروخ، عمر، العرب والإسلام فى الحوض الغربى من البحر الأبيض المتوسط من فتح المغرب وفتح الأندلس إلى آخر عصر الولاة (١٣٨هـ - ٧٥٥م) ط٢، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، س١٩٨١م، ص٧٦ - ٧٧. وسيشار إليه فيما بعد، فروخ، العرب والإسلام. ذنون طه، الفتح والاستقرار، ص٨١. العبادى، فى تاريخ المغرب، ص٥١ - ٥٢.

(٢) أبو ضيف، مصطفى، القبائل العربية فى الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (٩١ - ٤٢٢هـ)، الدار البيضاء، د.ت، ص١٨٢. وسيشار إليه فيما بعد، أبو ضيف، القبائل العربية.

(٣) على، صالح أحمد، محاضرات فى تاريخ العرب، ط١، مكتبة المثنى، بغداد، س١٩٥٤م، =

أما النساء من العبيد فقد استخدمهن مالكوهن للقيام بالأعمال الشاقة؛ فليس من الغريب أن حاول العديد منهن الهرب والتخلص من عبوديتهم، الأمر الذى دفع الملك إخيكا (EGICA) (٦٧- ٨٢هـ/ ٦٨٦- ٧٠١م)، إلى تشريع قانون وضع بموجبه عقوبات صارمة على كل من يفشل فى مطاردة العبيد الأبقين، وإلقاء القبض عليهم[(١)]، ولم يكتفِ بذلك؛ بل وضع قوانين أخرى حرمت تحريمًا قاطعًا الزواج بين القوط واللاتين، وجعلت الموت عقوبة لمثل هذا الزواج[(٢)]، وأصبح العبد لا يستطيع الزواج دون موافقة سيده، فإذا تزوج رجل من طبقة العبيد امرأة فى ملك سيد آخر تقاسم السيدان الأولاد بالتساوى[(٣)].

هكذا كانت المرأة فى المجتمع القوطى محرومة من أبسط حقوقها الاجتماعية والإنسانية، إلى أن جاء الفتح الإسلامى لشبه الجزيرة الإيبيرية سنة (٩٢هـ/ ٧١٠م). فأمر بالرفق واللطف، ونهى عن العنف والخشونة فى معاملة النساء، فللنساء حقوق وعليهن واجبات، ولا يجوز أن يتخذن عبدات[(٤)] كما كان يفعل بعض السفهاء فى المجتمع القوطى.

= ص١٣٦. وسيشار إليه فيما بعد، على، محاضرات فى تاريخ العرب. العانى، سامى مكى، دراسات فى الأدب الأندلسى، الجامعة المستنصرية، العراق، س١٩٧٨م، ص٤٦- ٤٨. وسيشار إليه فيما بعد، العانى، دراسات فى الأدب الأندلسى. ذنون طه، عبد الواحد، دراسات أندلسية (المجموعة الأولى) ط١، منشورات مكتبة بسام، العراق، بغداد، س١٩٨٦م، ص٨٨. وسيشار إليه فيما بعد، ذنون طه، دراسات أندلسية (المجموعة الأولى). شلبى، أحمد، التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، ط٣ مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، س١٩٦٩م، ج٤، ص٧٩. وسيشار إليه فيما بعد، شلبى، التاريخ الإسلامى.

(١) ذنون طه، الفتح والاستقرار، ص٨٢.

(٢) صقر، الفتح الإسلامى، ص٨٧.

(٣) ابن العطار، محمد بن أحمد الأموى، كتاب الوثائق والسجلات، تحقيق ب. شالميتا، المعهد الإسبانى العربى والثقافى، مدريد، س١٩٨٣م، ص١٦. وسيشار إليه فيما بعد، ابن العطار، الوثائق والسجلات. عنان، محمد عبد الله، مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام، ط٣، مطبعة مصر، س١٩٥٢م، ص١٩٨. وسيشار إليه فيما بعد، عنان، مواقف حاسمة. مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٧٢ - ٤٧٣.

(٤) الشبيبى، محمد رضا، أدب المغاربة والأندلسيين، معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، س١٩٦١م، ص١٠٥. وسيشار إليه فيما بعد، الشبيبى، أدب المغاربة.

ثانيًا: مكانة المرأة فى المجتمع الأندلسى:

جاء الفتح الإسلامى لشبه الجزيرة الإيبيرية معلنًا عصرًا جديدًا ومخلّصًا الجزيرة من أشكال الاضطهاد الذى كانت المرأة تشقى به فى ظل حكام القوط، فقد لمس الناس من غير المسلمين حسن معاملة المسلمين لهم، فأثار ذلك دهشتهم، وقادهم إلى تقبُّل الإسلام وحبّ أهله(١).

وهذا ما نراه من موقف المسلمين من امرأة لذريق (Roderic) أيله أو أيلونا المعروفة عند الإسبان باسم إيخلونا(٢) (Egilona)، التى صالحت على نفسها

---

(١) خلاف، وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة، تمهيد، ص١٢. الحجى، عبد الرحمن على، التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة (٩٢ - ٨٩٧هـ)، ط١، دار القلم، س١٩٧٦م، ص١٥٧ - ١٥٨. وسيشار إليه فيما بعد، الحجى، التاريخ الأندلسى.

IMAMUDDIN - S.U., Islam in Spain, (711, 1992), A Sociological study, Volume II. Printed In, (Nether Lands) - LEIDEN - 1981, P,38 It Will be abbriviated to, IMAMUDDIN, muslim.

'Lomox, Derek, The Reconquest of Spain, First Published, Longman London and New York, Published in the United States of America, 1978,P, 18, It will be abbriviated to, Lomox, The Reconquets.

(٢) ابن القوطية، محمد بن عمر بن عبد العزيز، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس، دار النشر للجامعين، بيروت، س١٩٥٨م، ص٣٧. وسيشار إليه فيما بعد، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، ط١، تحقيق إبراهيم الإبيارى، الناشرون، دار الكتب الإسلامية، ودار الكتاب المصرى، القاهرة، ودار الكتاب اللبنانى، بيروت، س١٩٨١م، ص٢٧، وسيشار إليه فيما بعد، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة فتح الأندلس. القيروانى، الرقيق أبو إسحاق إبراهيم، تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق وتقديم المنجى الكعبى، الناشر، رفيق السقطى، تونس، س١٩٦٧، ص٩٤ - ٩٥. وسيشار إليه فيما بعد، القيروانى، تاريخ أفريقية. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، الكامل فى التاريخ، دار صادر، بيروت، س١٩٦٥م، ج٥، ص٢٢. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الأثير، الكامل. ابن عذارى، أحمد بن محمد المراكشى، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، ط٢، تحقيق، ج. س، كولان، ليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، س١٩٨٠م، ج٢، ص٢٣. وسيشار إليه فيما بعد، ابن عذارى، البيان. النويرى، شهاب الدين أحمد، تاريخ المغرب فى العصر الوسيط، (أفريقية، والمغرب، والأندلس، وصقلية واقريطش) من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج٢٢، تحقيق د. مصطفى أبو ضيف، دار =

وأموالها وقت الفتح، وباءت بالجزية، فأقامت على دينها، إلى أن تزوجها الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير، فحظيت عنده، وغلبت على نفسه[1]، ومن آيات سماحة الدين الإسلامى بُعده عن التعصب، أى أنه أكرم أهل الذمة، وأتاح لهم أن يصبحوا عناصر نافعة يفيدون ويستفيدون، مع ترك الحرية لهم فى عقائدهم يهوداً كانوا أو نصارى، بل أن الدين الإسلامى كان يرعاهم ويحفظ حقوقهم أسوة بالمسلمين، بدليل ما ذُكر عن سارة بنت المُنذ المعروفة بالقوطية(Sarreolmundo)، التى لجأت إلى الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ - ٧٢٣/ ٧٤٢هـ) لتشكو ظلامتها من عمها أرطباس (Ardabast) الذى استولى على جميع أملاك أبيها بعد وفاته، فأنشأت سارة مركبًا حصينًا بإشبيلية (Sevilla) كامل العدة، وركبت فيه مع أخويها الصغيرين، أحدهما المطران بإشبيلية (Sevilla)، وعباس المتوفى بجليقية (Galicia)[2]. قاصدةً باب الخليفة هشام بدمشق، فأنهت خبرها، وشكت ظلامتها من عمها، فأكرم هشام وفادتها وأعيدت إليها ضياعها[3].

= النشر المغربية، الدار البيضاء، د.ت، ص٢١٠. وسيشار إليه فيما بعد، النويرى، تاريخ المغرب. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١. أرسلان، شكيب، الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج٣، هامش رقم (١)، ص٤١٥. وسيشار إليه فيما بعد، أرسلان، الحلل السندسية.

'Ahmad's - s, The Morish Spain, First Edition, publishers, Farooq Kitab, charutur DUBAZAR, KARACHI, march, 1972, P, 19, It will be abriviated to. Ahmad, The morish.

تذكر المصادر السابقة أن أيلة امرأة لذريق، فى حين تذكر المصادر التالية أنها ابنته. انظر ابن عذارى، البيان (برواية الواقدى)، ج٢، ص٢٤. ابن عبد الحكم، القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر وأخبارها، نشر شارلس، باريس، س١٩٢٠م، ص٢١٢. وسيشار إليه فيما بعد، ابن عبد الحكم، فتوح مصر. ابن عبد الحكم، القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح أفريقيا والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، س١٩٦٤م، ص٨٤. وسيشار إليه فيما بعد، ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا.

(١) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢١. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٢. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٠ - ٣١. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٦ - ٢٦٧. حمودة، على محمد، تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى، ط١، دار الكتاب العربى، مصر، س١٩٥٧م، ص١٢٩. وسيشار إليه فيما بعد، حمودة، تاريخ الأندلس. مكى، الطاهر أحمد، =

هذه الشواهد التاريخية فى ذاتها تتضمن مزيجًا يعكس صورة مشرقة للمسلمين وللجيوش الإسلامية الفاتحة التى دخلت الأندلس دون نساء[1]. وهذا ما نستدل عليه من خلال ما ذكر عن الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ -٩٦هـ/ ٧٠٥ - ٧١٤م) حين أشار على القائد موسى بن نصير «أن خُضها بالسرايا حتى تختبر شأنها، ولا تُغرر بالمسلمين فى بحر شديد الأهوال»[2].

والمتمعن فى هذا النص التاريخى يرى تأكيدًا واضحًا لتكوّن الجيش الفاتح من الرجال فقط، وربما يرجع السبب فى عدم صحبة النساء إلى أمرين: **أولهما**: أن الجيوش الإسلامية الفاتحة كانت منظمة وعلى شكل سرايا، **وثانيهما**: صعوبة المغامرة وبعد المسافة[3]. لهذا دخلوها رجالاً بلا نساء لكن لا يمكن تعميم مثل هذه الروايات على جميع الداخلين؛ بل إن هناك حالات فردية شذت عن هذا المسار، فمثلاً موسى بن نصير صحب معه نساءه وبناته[4]، كما حدث الشىء نفسه مع طارق بن زياد الذى صحب معه جاريته أم حكيم، لكنه تركها بجزيرة فى البحر

= دراسات أندلسية فى الأدب والتاريخ والفلسفة، ط١، دار المعارف، مصر، القاهرة، س١٩٨٠م، ص٥٧. وسيشار إليه فيما بعد، مكى، دراسات أندلسية.

(١) مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٧٦، ٥٠٢. الشّيال، جمال الدين، التاريخ الإسلامى وأثره فى الفكر والتاريخ الأوروبى فى عصر النهضة، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص١٧. وسيشار إليه فيما بعد، الشّيال، التاريخ الإسلامى. الأوسى، حكمت على، فصول فى الأدب الأندلسى فى القرنين الثانى والثالث للهجرة، ط٤، مكتبة المعارف، بغداد، س١٩٨٣م، ص٣٧. وسيشار إليه فيما بعد، الأوسى، فصول فى الأدب الأندلسى.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٥. مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٥. ابن الكردبوس، عبد الملك، كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبادى، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، س١٩٧١م، ص٤٥. وسيشار إليه فيما بعد ابن الكردبوس، الاكتفاء. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٥٦١. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٥. الحميرى، صفة جزيرة الأندلس، ص٨. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٥٣.

(٣) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، س١٩٥٩م، ج٣، ص٢. وسيشار إليه فيما بعد، أمين، ظهر الإسلام.

(٤) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى، قصة فتح الأندلس عن كتاب الإمامة والسياسة، منشور ضمن كتاب افتتاح الأندلس لابن القوطية، دار النشر للجامعيين، بيروت، س١٩٥٨م، ص١٥١. وسيشار إليه فيما بعد، ابن قتيبة، قصة فتح الأندلس.

مع نفر من جنده، وعلى أثر ذلك سميت تلك الجزيرة بجزيرة أم حكيم[1]، فى حين تذكرها بعض المصادر على أنها الجزيرة الخضراء، والبعض الآخر يشير على أنها مقابلة للجزيرة الخضراء[2]. إذ من المحتمل أن طارقًا كان قد جلب معه هذه الجارية؛ لأنه القائد فى حين دخل أفراد الجيش الإسلامى رجالاً بلا نساء، عندما اضطرتهم الحاجة إلى أن يتزوجوا من الإسبانيات، فكان عبد العزيز بن موسى بن نصير (٩٥ - ٩٧هـ/ ٧١٣ - ٧١٥م) من أول الولاة الذين شجعوا على إقامة مثل هذه العلاقات[3]؛ أضف على ذلك تسامح الإسلام فى زواج المسلم من نساء أهل الكتاب، وطبيعة الزمن التى كانت تبيح التسرى والاسترقاق قد جعلت من هذا

(١) ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا، ص٧١ - ٧٣. ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٢٠٥ - ٢٠٦. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٤. ابن الأبار، عبد الله القضاعى، الحلة السيراء، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، س١٩٦٢م، هامش رقم (٣)، ص٣٦٢. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الأبار، الحلة السيراء. زغلول، سعد، تاريخ المغرب العربى من الفتح حتى بداية عصر الاستقلال، دار المعارف، الإسكندرية، س١٩٧٩م، ج١، ص٢٤٩. وسيشار إليه فيما بعد، زغلول، تاريخ المغرب.

(٢) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٦، ٣١. الإدريسى، عبد الله بن محمد الحسينى، القارة الأفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق وتعليق إسماعيل العربى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، س١٩٨٣م، ص٢٦٣. وسيشار إليه فيما بعد، الإدريسى، القارة الأفريقية وجزيرة الأندلس. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٣٠. ابن هذيل، الشيخ أبو الحسن على بن عبد الرحمن، تحفة الأنفس فى أشعار سكان الأندلس، ترجمة لويس مرسى، المطبعة الشرقية، لبولس غوتنهبر، باريس، س١٩٣٣م، ص٧٠. وسيشار إليه فيما بعد، ابن هذيل، تحفة الأنفس. الطرطوشى، محمد بن الوليد، سراج الملوك، ط١، تحقيق جعفر البياتى، نشر رياض الريس، د.ن، س١٩٩٠م، ص٥٠٦ - ٥٠٧. وسيشار إليه فيما بعد، الطرطوشى، سراج الملوك. الحميرى، صفة جزيرة الأندلس، ص٧٣. دوزى، رينهارت، تاريخ مسلمى أسبانيا (الحروب الأهلية)، ترجمة حسن حبش، دار المعارف، القاهرة، س١٩٦٣م، ج١، ص١٦٠. وسيشار إليه فيما بعد، دوزى، تاريخ مسلمى أسبانيا.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٧. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٧. مؤلف مجهول فتح الأندلس، ص٢٠ - ٢١. القيروانى، تاريخ إفريقية، ص٩٤ - ٩٥. ابن الأثير الكامل، ج٥، ص٢٢. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٣، ٢٤. النويرى، تاريخ المغرب، ص٢١٠. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١. عبد البديع، لطفى، الإسلام فى أسبانيا، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، س١٩٥٨م، ص٢١. وسيشار إليه فيما بعد، عبد البديع، الإسلام فى أسبانيا. حتى فيليب وآخرون، تاريخ العرب مطول، ط٤، مطابع الغندور، بيروت، س١٩٦٥م، ج٢، ص٥٩٩. وسيشار إليه فيما بعد، حتى، تاريخ العرب. هيكل أحمد، الأدب=

التزاوج أمرًا طبيعيًا، لا سيما وأن الجيش الفاتح أمام صنف جديد من النساء، إلا أن عمليات الزواج هذه لم تكن من جانب واحد؛ بل تعدت ذلك، فشملت جميع الأطراف، بحيث ازدادت الصلات وثوقًا وتماسكًا، الأمر الذى أدى إلى سرعة اندماج سكان شبه الجزيرة الإيبيرية بالعرب المسلمين، وحتى تكون الصورة جلية وواضحة للأذهان لا بد من تتبع متطلبات الزواج الأندلسى من الخطوة الأولى.

ثالثًا: الزواج الأندلسى ومتطلباته:

١ - الخِطبَة:(١)

ذكر ابن سهل فى أحكامه أن فرائض النكاح ثلاثة: الولىّ، والصداق، والشهود(٢). ومن شرطه الخُطبَة(٣)، أما بالنسبة لعملية اختيار الفتى لعروسه،

= الأندلسى من الفتح حتى سقوط الخلافة، ط١، دار المعارف، مصر، القاهرة، س١٩٨٥م، ص٣٥. وسيشار إليه فيما بعد، هيكل الأدب الأندلسى.

LEVI - PROVENCAL, Histoire de L'Espagne Musulmane, Paris, 1967, Vol. III, p.167. It Will be abbriviated to. Levi - Provencal, Histoire.

' Pierre Guichard, structures sociales, orientales et occidentales dans L'Espagne Musulmane, Paris, 1977, p106, It will be abbriviated, to Guichard, structures.

(١) الخِطبَة: لفظ مشتق من مصدر الثلاثى خَطَبَ، بكسر الأول وتسكين ما بعده، «والخِطْبُ الذى يَخْطُبُ المرأة وهى الخِطبَةُ التى يخطُبها»، والمراد به هو ذاك الشخص الذى يقوم بطلب المرأة للزواج منها ويعرف بالخاطب. انظر تفصيلات ذلك: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب (المحيط)، ط١، دار الفكر، بيروت، دار صادر، بيروت، س١٣٠٠هـ (مادة خطب)، مج١ ص٣٦٠ - ٣٦٢. وسيشار إليه فيما بعد، ابن منظور، لسان العرب. المنجد فى اللغة والأعلام، ط٢٧، دار المشرق، لبنان، بيروت، ص١٨٦. وسيشار إليه فيما بعد، المنجد فى اللغة.

(٢) ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى بن عبد الله، الأحكام الكبرى (مخ)، مكتبة الخزانة العامة، الرباط، المغرب، (رقم ٨٣٨)، ص٧٣، ٧٩. وسيشار إليه فيما بعد، ابن سهل، الأحكام الكبرى. ابن عبد الرءوف، أحمد بن عبد الله، رسالة فى آداب الحسبة والمحتسب، نشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفى بروفنسال، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، س١٩٥٥م، ص٧٩، ٨٠. وسيشار إليه فيما بعد: ابن عبد الرءوف، رسالة فى آداب الحسبة. خلاف، محمد عبد الوهاب، قرطبة الإسلامية فى القرن (٥هـ/ ١١م)، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الدار التونسية للنشر، د.ت، ص٢٧٠. وسيشار إليه فيما بعد، خلاف، قرطبة الإسلامية.

(٣) ابن عبد الرءوف، رسالة فى آداب الحسبة، ص٧٩، انظر نص خُطبة نكاح من إنشاء الأديب صفوان بن إدريس. المقرى، نفح الطيب، ج٥، ص٥٩.

فكانت عملية سهلة؛ فالاختيار يتم عادة بوساطة الأهل والأصدقاء، أو يكون الفتى قد رأى الفتاة أو شاهدها فى مكان عام فى أثناء شرائها الحاجيات من السوق أو زيارة أحد الأقرباء أو الأصدقاء[١]. وفى بعض الأوقات كانت الأمهات يتدخلن تدخلاً صريحًا فى اختيار العروس لأبنائهن، ومثل هذا يقابَل أحيانًا بعدم الرضا من جانب الشباب لعدم اقتناعه بالعروس، بدليل ما تشير إليه إحدى الروايات من قيام والدة يحيى بن محمد بن عباس بن أبى عبده[٢] ببيع جاريته التى سكت ابن حزم[٣] عن ذكر اسمها؛ بل اكتفى بالقول بأنه كان يحبها حبًا شديدًا، وذهبت إلى إنكاحه من بعض العامريات، مما كان سببًا فى فقدان عقله حبًا ووجدًا على الجارية المباعة. كما ساق لنا ابن حزم[٤] خبرًا آخر مفاده أن عملية الخِطْبَة كانت تقوم بها نساء مسنات على سبيل حب الخير والوصل بين الفتى والفتاة بقوله: «وإنك لترى

---

(١) ابن حزم الأندلسى، على بن أحمد، رسائل، ط١، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للنشر لبنان، بيروت، س١٩٨٠م، ج١ ص١٢٠ - ١٢١. وسيشار إليه فيما بعد: رسائل ابن حزم الأندلسى؛ حيث يذكر أن باب العطارين بقرطبة كان مجتمعًا للناس. دندش، عصمت عبد اللطيف، الأندلس فى نهاية المرابطين ومستهل الموحّدين عصر الطوائف الثانى (٥١٠ - ٥٤٦هـ) تاريخ سياسى وحضارة، ط١، دار الغرب الإسلامى، لبنان، بيروت، س١٩٨٨م، ص٣٣٠. وسيشار إليه فيما بعد: دندش، الأندلس فى نهاية المرابطين.

(٢) لم أجد ليحيى بن محمد ترجمة، لكن ابن حزم ذكر «أنه حىٌّ على حالته المذكورة فى حين كتابتى لرسالتى هذه، وقد رأيته مرارًا وجالسته فى القصر قبل أن يمتحن بهذه المحنة، انظر: رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٢٤٣، فهو من أسرة بنى أبى عبده إحدى الأسر المشهورة فى الأندلس، وقد كان عيسى بن أحمد بن أبى عبده على الشرطة العليا، ويطول بنا القول لو أردنا تتبع أفراد هذه العائلة وتقلبهم فى المناصب. انظر: رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، هامش رقم (١): ص٢٤٣. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٥٨ - ١٥٩.

(٣) رسائل ابن حزم الأندلسى ص٢٤٣. ابن حزم الأندلسى، على بن أحمد، طوق الحمامة فى الألفة والألاف، تحقيق حسن كامل الصيرفى، تقديم إبراهيم الإبيارى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ت، ص١٠٤. وسيشار إليه فيما بعد، ابن حزم، طوق الحمامة. خلاف، قرطبة الإسلامية، ص٢٧٠.

(٤) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٧٢، ١٦٥. خلاف، قرطبة الإسلامية، ص٢٧٠. خالص، صلاح، إشبيلية فى القرن الخامس الهجرى (٤١٤ - ٤٦١هـ)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، س١٩٦٥م، ص٩٤ - ٩٥. وسيشار إليه فيما بعد: خالص، إشبيلية فى القرن الخامس الهجرى.

المرأة الصالحة المسنَّة المنقطعة الرجاء من الرجال أحب أعمالها إليها، وأرجاها للقبول عندها سعيها فى تزويج يتيمة، وإعارة ثيابها وحُليها لعروس مقلة، ولم يكن أى علة تمكن هذا الطبع من النساء، إلا أنهن متفرغات البال من كل شيء إلا من الجماع ودواعيه، والغزل وأسبابه، والتآلف ووجوهه، لا شغل لهن غيره، ولا خُلقن لسواه».

فإذا ما تمت الخِطْبَة بين الشاب والفتاة، كانت تمر بسعادة وأمل، إلا أن هذا لا يعنى عدم وجود مشكلات بين أهل العروسين خلال فترة الخِطْبَة، فنجد مثلاً بعض الأسر لا توافق أن يرى الخطيب خطيبته قبل الزواج.

وإذا أراد رؤيتها فإن هذا يتم غالبًا بالسر دون علم والدها، وخير مثال على ذلك ما ذكر عن القاضى زياد بن عبد الرحمن (ت١٩٩هـ أو ٢٠٣هـ/ ٨١٤ أو ٨١٨م) والمعروف بابن شبطون[1]، أنه خطب ابنة القاضى معاوية بن صالح المعروفة (بحميدة)، وأحب رؤيتها قبل البناء بها، «على ما يفعله بعض الناس، فتحيَّل النساء عليه فى ذلك، وأتين به عند العشاء الآخرة، فصار فى الأسطوان، فنفرت دابة معاوية منه واشتد قلقها من أجله حتى خرج معاوية إلى الصلاة، فسمع حس الدابة، فرابه ذلك، ثم دعا بالمصباح فوجد زياداً فى مذود الدابة فى بعض زوايا الأسطوان، فما زاد على أن قال: استوصوا بضيفكم خيراً، وانصرف»[2]. ثم نسمع بتدخل أهل الخطيبين فى حل المشكلات خلال فترة

(١) ابن الفرضى، أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف، تاريخ علماء الأندلس، دار التأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، س١٩٦٦م، ق١، ص١٥٤ - ١٥٥. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس. الحميدى، أبو عبد الله محمد بن أبى نصر، جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، س١٩٦٦م، ص٢١٨-٢١٩. وسيشار إليه فيما بعد: الحميدى، جذوة المقتبس. ابن عياض، القاضى أبو الفضل، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات، دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان، س١٩٦٥م، ج١، ص ٣٤٩ - ٣٥٣. وسيشار إليه فيما بعد: ابن عياض، ترتيب المدارك. المقرى، نفح الطيب، ج ١. هامش رقم (٨)، ص٣٤٠ - ٣٤١.

(٢) الخشنى، أبو عبد الله محمد بن الحارث، قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، س١٩٦٦م، ص١٨-١٩. وسيشار إليه فيما بعد: الخشنى، قضاة قرطبة. مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٥٢.

الخطوبة، وذلك من خلال ما أورده ابن سهل[1]، من صور فى نوازله لبعض هذه المشكلات. لكن الملاحظة الجديرة بالاهتمام على حالات الزواج القائمة فى الأندلس؛ أنها كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالظروف السائدة بدليلين:

أولاً: انخفاض حالات الزواج فى فترة الفتنة والحروب الأهلية (٣٩٩ - ٤٢٢هـ- ١٠٠٨-١٠٣٠م)، نتيجة الأوضاع السيئة التى كانت تعانيها قرطبة، الأمر الذى أدى إلى تباعد الأسر عن بعضها ومغادرة عدد كبير من القرطبيين قرطبة (Cordoba) هربًا وخوفًا من الفتنة، فعمت الأحزان والمآتم معظم بيوت قرطبة فمن أين تأتى الأفراح، وحفلات الزواج والاستعداد لها؟، وقد وصف لنا ابن حزم[1] مدى تأثير هذه الفتنة القرطبية بقوله: «إن المرأة لم تعد تهتم بنفسها وزيِّها وزينتها، وعلت وجهها آثار البؤس واليأس». حين دخل ابن حزم قرطبة سنة (٤٠٩هـ/ ١٠١٨م) بعد خروجه عنها مدة ستة أعوام لم يستطع تمييز بعض النساء من أقاربه «حتى قيل له إن هذه فلانة، وقد تغير أكثر محاسنها وذهبت نضارتها... وذلك لقلة اهتبالها بنفسها». وعدمها العناية التى كانت قد غُذيت بها أيام دولتنا.

ثانيًا: الحالة الاقتصادية التى كانت تعانيها البلاد أثرت بصورة عكسية فى حالة المرأة، وفى هذا يقول ابن حزم[2]: «وإنما النساء رياحين متى لم تُتعاهد نقصت، وبنية متى لم يُهتبل بها استهدمت».

٢- شروط عقد النكاح:

يتضح من خلال ما سبق أن الزواج لم يكن بالمسألة السهلة التى لا تحتاج إلى وقت، كونها تحتاج إلى كثير من الإجراءات، التى يتم أخذها من أهل العروسين

(١) ابن سهل، الأحكام الكبرى، باب النكاح، (مخ)، ص٧٣ - ٨٥.

(٢) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٢٥٢ - ٢٥٣. خلاف، قرطبة الإسلامية، ص٢٧٣. كما يؤكد لنا آثار البؤس صاحب الزهرات التى عمت قرطبة، لكن بنص مخالف. انظر بشأن ذلك: ابن السماك، أبو القاسم محمد بن أبى العلاء، الزهرات المنثورة فى نكت الأخبار المأثورة، تحقيق محمود على مكى، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد، مصر الجديدة، س١٩٧٨م، مج٢٠، ص٧٢ -٧٣. وسيشار إليه فيما بعد، ابن السماك، الزهرات المنثورة؛ المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٤١٧.

(٣) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٢٥٣.

أمام الشـهود، وفى حضـرة القاضى تحاشـيًا للطعن فى عـدم صحة عـقد النكاح مستقبلاً، وخوفًا من الوقوع فى مكاره لا تحسن عقباها، فكانت العادة السائدة عند أهل الأندلس أن يسـأل القـاضى ولى الفتـاة المراد الزواج منهـا: هل هى فى سن البلوغ أم لا؟ ويفسخ النكاح إذا زوجت الفتاة قبل هذا السن(١).

ومن شرطه أنه لا يتم إلا بحضرة الزوج والزوجة والولى، ولا يجوز أن يُوقَف على رِضَا أحدهما بغيبـة بعضهم عن بعض فى الموضع البعيد(٢)، كذلك أن يكون الزوج كفئًا، وأنه قادر على القيام بأعباء الحياة الزوجية(٣). كما يبدو أيضًا أنه كان للزوجة شروط على الزوج، بدليـل ما ذكره ابن العطار (ت٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م) فى وثائقه أن فلان التزم لزوجتـه (فلانة) أن لا يتسرّى معها، ولا يتـخذ معها أم ولد، وأن لا يغيب عنهـا غيبـة متّصلة قـريبة أو بعـيدة، وأن يكون قائمًـا على نفقتـها وكـسوتهـا وسكناها(٤)، وألاّ يرحِّلهـا من دارها التى بحـاضـرة كذا إلاّ بإذنهـا ورضاها، فإن رحّلها فأمرها بيدها، وألاّ يمنعـها من زيارة جميع أهلها من النساء، وذوى محـارمهـا من الرجال، وألاّ يمنعهم من زيـارتها فيـما يحسـن ويجمل من التزاور بين الأهلين والقـرابات، فإن فعل شيـئًا من ذلك فأمرُها بيـدها، وعليه أن يحسن صـحبتهـا، ويجمل بالمعروف عشـرتها(٥)، كما أمـره الله تبارك وتعالى:

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

٣- الصداق:

كان الصداق (المهر) من الأمور المهمة التى يناقشها الزوج مع والد العروس؛ من حيث تحديده ووقت سداده، وكانت العادة الجارية عند أهل الأندلس أن لا يتم هذا

---

(١) ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مخ)، ص٧٣.
(٢) ابن عبد الرءوف، رسالة فى آداب الحسبة، ص٧٩.
(٣) ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مخ)، ص٨١. ابن عبد الرءوف، المصدر نفسه، ص٧٩.
(٤) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص٧، ٨. ابن سهل، المصدر نفسه (مخ) ص١٠٠. خالص، إشبيلية فى القرن الخامس الهجرى، ص٩٦.
(٥) ابن العطار، المصدر نفسه، ص٨. ابن سهل، المصدر نفسه، (مخ) ص١٠٠ - ١١٠.

إلا بحضور الموثق الذى يقوم بتسجيل الصداق فى عقد الزواج، وله بالطبع أجرة من الزوج، وإذا محا الصداق من الوثيقة المكتوبة، فإن الكتاب فى هذه الحالة يكون صحيحًا كله، وفيما عدا هذا الشرط فإنه يسقط إلا أن تثبته البيّنة(١).

أما بالنسبة للحد الأعلى للمهر فلم يحدد، فربما بلغ ألف دينار أو أكثر(٢). بينما تم تحديد أقله، «وأقله: محدود، وهو ربع دينار وثلاثة دراهم كيلاً أو ما قيمته»(٣). والملاحظ أن المهور فى الأندلس، كما فى بقية العالم الإسلامى كانت تتم بمعجّل صداق ومؤجَّله(٤).

ويتولى الزوج القيام بدفع مهر زوجته قبل البناء بها، وربما يبقى بعض المبلغ دينًا عليه يَفِى به فيما بعد(٥).

ولا يتم النكاح بصداق مجهول، ويفسخ قبل الزواج، وكان من عادة الموثقين أن يشترطوا على جعل الصداق إلى أجل قريب، ولا يتركوه دون أجل؛ لأنه يفسخ النكاح بذلك قبل البناء(٦). وهناك الكثير من النصوص التاريخية التى تؤكد لنا حرص رجال الأندلس على الوفاء بمهور زوجاتهم، فقد ذكر لنا السّلفى فى

---

(١) ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مخ)، ص٧٤. خلاف، قرطبة الإسلامية، ص٢٧٨.

(٢) الدينار: مثقال كان يتم صرفه بالأندلس بثمانية دراهم. انظر: ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مخ)، ص٧٥. الونشريسى، أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أفريقية والأندلس والمغرب، ط١، إشراف محمد حجى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، س١٩٨١م، ج١١، ص٢٢٤. وسيشار إليه فيما بعد، الونشريسى، المعيار المعرب.

(٣) الغرناطى، أبو إسحاق، الوثائق المختصرة، ط١، أعدها مصطفى ناجى، مركز إحياء التراث المغربى، الرباط، س١٩٨٨م، ص١٥. وسيشار إليه فيما بعد، الغرناطى، الوثائق. ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مخ)، ص٧٤. ابن عبد الرءوف، رسالة فى آداب الحسبة، ص٧٩، ٨٢.

(٤) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص٧. ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مخ) ص٧٤. ابن عبد الرءوف، رسالة فى آداب الحسبة، ص٦. الأبشيهى، شهاب الدين محمد بن أحمد، المستطرف فى كل فن مستظرف، الطبعة الأخيرة، دار إحياء التراث العربى، القاهرة، س١٩٥٢م، ج١، ص٢٤٩. سيشار إليه فيما بعد، الأبشيهى، المستطرف. الونشريسى، المعيار المعرب، ج١٠، ص٢٣٦.

(٥) الغرناطى، الوثائق، ص١٥.

(٦) المصدر نفسه، ص٨٠.

معجمه[1]، عن شيخ أندلسى لم يفصح عن اسمه؛ بل اكتفى بالقول: «بأنه صالح كثير الصلاة بالليل والنهار كثير القراءة. بعث يومًا إلى أحد التقاة، فلما دخل عليه قال وهو قاعد ليس به مرض شديد: «أنا أموت غدًا ولهذه المرأة - وأشار إلى امرأته - علىّ عشرون درهمًا بقية مهرها، وليس لى سوى هذه العشرة دراهم وهى عند رأسى».

ولم يكن صداق الزوجة مقصورًا على النقود؛ بل كان أحيانًا دارًا أو أملاكًا، عندئذ كان يسجل فى العقد[2].

٤- جهاز العروس:

كانت العادة الجارية عند أهل الأندلس أن أهل العروس هم الذين يتولّون تجهيز ابنتهم[3]. وكان الجهاز ومكوناته من الأمور المهمة التى تناقش بين الأسرتين،

---

(١) السلفى، أحمد بن محمد بن أحمد، أخبار وتراجم أندلسية، مستخرجة من معجم السَّفر للسِّلفى، ط١، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، س١٩٦٣م، ص٢٠. وسيشار إليه فيما بعد بـ: السلفى، تراجم أندلسية.

(٢) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص٧. العذرى، أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائى، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان فى غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهوانى، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، س١٩٦٥م، ص١٢٠. وسيشار إليه فيما بعد، العذرى، ترصيع الأخبار. ابن عبد الرءوف، رسالة فى آداب الحسبة، ص٨٠-٨٢. الونشريسى، المعيار المعرب، ج٣، ص١٤٤- ١٤٥، ج٤، ص٢٥٩، ج٦، ص٤٣٩.

(٣) ابن عمر، يحيى، الأندلسى، أحكام السوق ملحق بكتاب النظر، والأحكام فى جميع أحوال السوق، تحقيق محمود على مكى، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، س١٩٧٥م، ص١٤١ - ١٤٢. وسيشار إليه فيما بعد: ابن عمر، أحكام السوق. مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٣. ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مخ)، ص١٠٠ - ١٠٢. ابن بسام، أبو الحسن على الشنترينى، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، س١٩٧٩م، (ق٤ -مج١)، ص٦٣. وسيشار إليه فيما بعد: ابن بسام، الذخيرة. المراكشى، أبو محمد عبد الواحد على، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، المطبعة الجمالية، القاهرة، س١٩١٤م، ص٨٤. وسيشار إليه فيما بعد، المراكشى، المعجب. الأنصارى، أبو عبد الله بن محمد بن عبد الملك، الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ت (س١، ق١)، ص٤١٦. وسيشار إليه فيما بعد بـ: الأنصارى، الذيل والتكملة. المكناسى، أحمد بن القاضى، جذوة الاقتباس فى ذكر من حلّ=

وغالبًا ما تكون مكونات الجهاز مدعاة للتفاخُر بين أفراد الحى والعائلة والأصدقاء، وكان والد العروس ينفق الأموال الباهظة فى تجهيز ابنته؛ حتى أنه كان يستدين أو يبيع بعض حاجاته الثمينة لمواصلة تجهيز العروس، والقيام بمستلزمات العرس؛ وذلك ليظهر أمام أهل الزوج والأصدقاء أنه جهَّز ابنته بجهار كامل، وأنه ينتمى لطبقة اجتماعية ميسورة أعلى من حالته الحقيقية؛ مع العلم أنه قد باع الغالى والرخيص من أجل الحفاظ على سمعته؛ بدليل أن محمد بن أفلح غلام الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر(٣٥٠ - ٣٦٦هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م)، قال: «دُفِعْتُ إلى ما لا أطيقه من نفقة فى عُرس ابنة لى، ولم يبق معى سوى لُجام مُحلّى، ولما ضاقت بى الأسباب قصدته بدار الضَّرب» أى محمد بن أبى عامر (المنصور)[1]،

= من أعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، س١٩٧٣م، ق١، ص٣٩٩. وسيشار إليه فيما بعد: المكناسى، جذوة الاقتباس. المقرى، شهاب الدين أحمد بن محمد، أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض، تحقيق سعيد أحمد اعراب ومحمد بن تاويت، المغرب، س١٩٨٠م، ج٤، ص١١٦. وسيشار إليه فيما بعد، المقرى، أزهار الرياض. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٥١.

(١) هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن أبى عامر الملقب بالمنصور، أصله من الجزيرة الخضراء، ولد (س٣٢٧هـ/ ٩٣٨م)، كان حاجبًا للخليفة الحكم المستنصر، ثم لابنه هشام المؤيد، ولما مات الحكم (س٣٦٦هـ/ ٩٧٦م)، ارتقت حاله، وتعلَّق بوكالة صُبح أم هشام المؤيد. وعند تمكنُّه استبد بالأمور،وأصبح الحاكم الفعلى للأندلس، غزا كما تقول الروايات سبعًا وخمسين غزوة وبنى لنفسه مدينة الزاهرة، ومات بمدينة سالم (س٣٩٢هـ/ ١٠٠١م). انظر بشأن ذلك: مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، مدريد، س١٩٨٣م، ص١٨٦-١٩٤. وسيشار إليه فيما بعد بـ: مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس. ابن خاقان، أبو نصر الفتح ابن محمد بن عبد الله، مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى مُلح أهل الأندلس، ط١، تحقيق محمد على الشوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، س١٩٨٣م، ص٢٩٢-٢٩٣. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خاقان، مطمح الأنفس. ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٧٦. المراكشى، المعجب، ص١٤. ابن سعيد، على بن موسى ورفاقه، المُغرب فى حُلى المغرب، ط٢، تحقيق شوقى ضيف، دار المعارف، مصر، القاهرة، س١٩٧٨م، ج٢، ص٢٤٦. وسيشار إليه فيما بعد: ابن سعيد، المُغرب. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٦ - ٢٥٧. ابن عاصم، أبو يحيى محمد الغرناطى، جنة الرضا فى التسليم لما قدر الله وقضى، تحقيق صلاح جرار، دار البشير،عمان، س١٩٨٩م، ج١، هامش رقم (٣)، ص٢٦٧. وسيشار إليه فيما بعد، ابن عاصم، جنة الرضا. المقرى، نفح الطيب، ج١ (ص٥٧٨- ٥٨٦، ج٣، ص٧٧، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٣٩٦، ٤٢٣).

حين كان صاحبها «والدراهم بين يديه موضوعة، ومطبوعة، فأعلمته ما جئت له، فابتهج بما سمعه منى، وأعطانى من تلك الدراهم وزن اللجام بحديده، وسيُوره، فملأ حِجرى، وكنت غير مصدق بما جرى لعظمه، وعملت العرس وَفَضلَتْ لى فضلة كثيرة، فأحبه قلبى حتى لو حملنى على خلع طاعة مولاى الحكم لفعلت»[1]؛ أى محمد بن أبى عامر (المنصور).

نرى من هذا النص مقدار الإنفاق والتكاليف التى كانت تشقل كاهل والد العروس فى تجهيز ابنته؛ حتى أنه كان يستدين لتكملة الجهاز ومستلزمات العرس. وكانت العادة عند أهل الأندلس أن يطلق على جهاز العروس كلمة شورة*[2]، وقد كان أغلبه يصنع فى قرطبة (Cordoba)، ويشترى من أسواقها، وأحيانًا ترد تلك الأشياء من الأقطار الأندلسية الأخرى لتباع فى قرطبة، ولقد اشتهرت مدينة مرسية (Murcia) بأنها البلد الذى «تجهز منها العروس التى تنتخب شورتها لا تفتقر فى شىء من ذلك إلى سواها»[3]، وقد تشتمل شورة العروس فضلاً عن متاع

---

(١) المقرى، نفح الطيب، (برواية ابن حيان)، ج٣، ص٨٨. ابن بسام، الذخيرة، (ق٤، مج١)، ص٦٣. الونشريسى، المعيار المعرب، ج٣، ص١٢٣. السائح، محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن، سوق المهر إلى قافية ابن عمر، المطبعة الاقتصادية، الرباط، س١٩٣٨م، ص كح. وسيشار إليه فيما بعد، السائح، سوق المهر. خلاف، قرطبة الإسلامية، ص٢٨٠.

*(٢) الشورة: لفظ يطلق على اللباس والمتاع الذى تتجهز به العروس (أى متاع البيت)، انظر تفصيلات ذلك؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة شور، مج٤، ص٤٣٤- ٤٣٧. ابن عمر، أحكام السوق، ص١٤١ -١٤٢. ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مسخ)، ص١٠٠. الشقندى، إسماعيل بن محمد، رسالة فى فضل الأندلس، نشرها صلاح الدين المنجد، ضمن ثلاث رسائل فى فضائل الأندلس وأهلها، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، س١٩٦٨م، ص٥٩. وسيشار إليه فيما بعد: الشقندى، رسالة فى فضل الأندلس. الونشريسى، المعيار المعرب، ج٣، ص١٢٢، ١٢٣، ٢٠٨، ٢٠٩، ٣٥٠، ٣٥٦. المكناسى، جذوة الاقتباس، ق ١، ص ٣٩٩. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص٢٢١.

(٣) الشقندى، رسالة فى فضل الأندلس، ص ٥٩. ابن سعيد ورفاقه، المُغرب، ج٢، ص٢٤٦؛ المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص٢٢١. حتامله، محمد عبده، ملامح حضارية فى الأندلس، نشر ضمن كتاب بحوث ودراسات مهداة إلى عبد الكريم غرايبه، عمان، س ١٩٨٨م، ص ١٩٢. وسيشار إليه فيما بعد، حتماله، ملامح حضارية.

البيت والثياب والحُلى تجهيزها حتى بالدار[1]. كما كانت العادة المتبعة عند أهل الأندلس، القيام بصناعة صندوق كبير الحجم يستجاد من عود العرعر الصلب[2]، تجمع فيه شورة العروس المكونة من الغفارة، والمحشو والقميص، بالإضافة إلى كنبوش حرير*[3]، وثوب زردخان، وملحفة قطن[4].

وهدية الخطيب التى يقدمها إلى خطيبته قبل الزواج، وقد أشار ابن سهل فى نوزاله[5] إلى الهدية التى يهديها الأزواج إلى الزوجات قبل الزواج كالخفين والجوربين، والتى تعتبر من مستلزمات العرس، وقد ذكر أنه إذا أهدى العروس ثم طلق فله أخذ ما أعطاها؛ لأنه إنما أعطى على نكاحٍ وجمال عشرة[6]. وقد وردت الهدية أو الهبة بمعنى (نِحْلَة)[7]. وهى من الأمور التى تدوَّن فى عقد النكاح، وقد تكوَّن على شكل نقد[8]، أو دار[9]، أو حتى قرية[10]، ولم تكن هدية الزوجة

---

(١) الأنصارى، الذيل والتكملة، (س١- ق١)، ص٤١٦. الونشريسى، المعيار المعرب، ج٩، ص١٢٨.

(٢) السائح، سوق المهر، ص كح .'LEVI - PROVENCAL, Histoire, Vol. III, p, 403

*(٣) كنبوش: نوع من الألبسة تجعله المرأة على رأسها، ويقال له أيضًا الغفارة أو الوقاية مأخوذ من الحرير، والكلمة ليست من كلام العرب. انظر، ابن هشام، محمد بن أحمد اللخمى، ألفاظ مغربية من كتاب لحن العامة، تحقيق عبد العزيز الأهوانى، مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، س١٩٥٧م، (مج٣، ج١)، ص٣٠٩. وسيشار إليه فيما بعد: ابن هشام كتاب لحن العامة.

(٤) الونشريسى، المعيار المعرب، ج٣، ص١٠، ١٢٢.

(٥) ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مخ)، ص٨٤. خلاف، قرطبة الإسلامية، ص٢٨١.

(٦) ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مخ)، ص٨٥. ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق محمد سالم محيسن وشعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر، س١٩٧٠م، ص٦٥. وسيشار إليه فيما بعد: ابن رشد، بداية المجتهد.

(٧) جاء ذكرها بالقرآن الكريم: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]. وقد وردت عند ابن منظور بمعنى مهر المرأة، وتأتى بمعنى الهدية أو الهبة من غير عوض ولا استحقاق، ابن منظور، لسان العرب، مادة (نحل)، مج١١، ص٦٤٩ -٦٥١.

(٨) ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مخ)، ص١٠٢.

(٩) المصدر نفسه، ص١٠٢.

(١٠) نزل عبد الجبار بن نذير فى طالعه بلج من الجانب الغربى من قرطبة، ثم انتقل إلى شرق الأندلس، وصاهر تدمير العلج صاحب أوريوله، وكان مما نحل ابنته قرية ترسه المجاورة لإلش، انظر، العذرى، ترصيع الأخبار، ص١٥. ذنون طه، عبد الواحد، دراسات فى التاريخ=

لتقتصر فقط على الزوج، بل أن هناك شواهد تاريخية تذكر لنا بأن والد العروس كان يقوم بإهداء ابنته حتى بعد الزواج، بدليل أن زياد بن عبد الرحمن السابق الذكر، كان قد تزوج من (حميدة) ابنة القاضى معاوية بن صالح الحضرمى (ت ١٦٨هـ/ ٧٨٤م) فبعث لها يومًا بهدية، وكان زوجها زياد ناسكًا ورعًا، فرفض أن يأخذ منه شيئًا[١].

٥- حفلة الزفاف:

أشار ابن سهل[٢] إلى أن سنن النكاح: إظهاره، والوليمة، والرفاه، وكانت العادة عند أهل الأندلس أن تتم متطلبات الزواج ومستلزماته، بالاتفاق بين الزوج ووالد العروس دون التطرق إلى يوم الزفاف (الدُخلة) الذى كان يتم تحديده من قبل المنجم[٣] وهو اليوم الذى تستعد فيه العروس وذلك بذهابها إلى الحمام[٤] هى وصديقاتها، وتقوم الماشطة[٥] بتزويقها فى الحمام، ثم تأتى إلى المنزل فتلبس ثوب الزفاف، وتتحلى بالحُلى المصنوعة من الذهب الخالص، وحلُيهم القلائد[٦]

= الأندلسى، ط١، كلية التربية، جامعة الموصل، س١٩٨٧م، ص١٥٤. وسيشار إليه فيما بعد، ذنون طه، دراسات فى التاريخ الأندلسى.

(١) الخشنى، أبو عبد الله محمد بن حارث، أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق ماريا لويس أبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون، العالم العربى، مدريد، س١٩٩٢م، ص٩٥ -٩٦، وسيشار إليه فيما بعد: الخشنى، أخبار الفقهاء. الخشنى، قضاة قرطبة، ص١٦، ١٧. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٨. ابن عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص٣٥٠. ابن سعيد ورفاقه، المُغرب، ج١، ص١٠٢ - ١٠٣.

(٢) الأحكام الكبرى، (مخ) ص٧٣.

(٣) LEVI - PROVENCAL, Histoire, VOI, III, P, 404.

(٤) ابن عذارى، البيان، ج٣، ص٢٩٥. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٥٣٣. خلاف، قرطبة الإسلامية، ص٢٨٣.

(٥) الماشطة: لفظ أطلق على المرأة التى تقوم بعملية تمشيط العروس وتذويقها. انظر؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة مشط، مج٧، ص٤٠٢-٤٠٣.

(٦) القلائد: ما جُعل فى العنق من الحَلْى، انظر؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة قلد، مج٣، ص٣٦٠ - ٣٦٨. المنجد فى اللغة، ص٦٤٩.

والدمالج[١]، والخلاخيل[٢]، والشنوف[٣].

هذا إذا كانت العروس من طبقة اجتماعية قادرة على شراء تلك الأشياء، أما إذا كانت العروس من طبقة اجتماعية فقيرة، ففى هذه الحالة كانت تستعير تلك الثياب والحُلى من إحدى النساء المسنات التى كانت تسعد ويدخل السرور إلى قلبها، فى حالة إعارة ثيابها وحُليها لعروس مقلة[٤]، حتى تظهر بمظهر لائق أمام نساء الأقارب والصديقات اللواتى استدعين من قِبل أهلها؛ لأجل تقديم التهانى ومشاهدة زفافها[٥].

هذا إذا كانت العروس من الأسر ذوات الدخل المعاشى المنخفض، أما فى حالة كونها من ذوات الدخل المعاشى المرتفع، فإن الدعوة تكون عادة على نطاق أوسع بحيث تضم القريب والبعيد، فقد ذكر عن الوزير أبو بكر بن عبد العزيز[٦] فى

---

(١) الدمالج: حُلى يلبس فى المعصَم، انظر؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة «ملج»، مج٢، ص ٢٧٦، المنجد فى اللغة، ص٢٢٥.

(٢) الخلاخيل: نوع من الحُلى تلبسه المرأة فى أسفل الساق؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة خلل، مج١١، ص٢٢٠-٢٢١. المنجد فى اللغة، ص١٩٠.

(٣) الشنوف: نوع من الحُلى يلبس فى أعلى الأذن؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة شنف، مج٩، ص ١٨٣ - ١٨٤. المنجد فى اللغة، ص٤٠٤. ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله، الإحاطة فى أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر، د.ت، ج١، ص١٤٤ - ١٤٥. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الخطيب الإحاطة. ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله، اللُمحة البدرية فى الدولة النصرية، ط٣، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، س١٩٨٠م، ص٤٠ - ٤١. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الخطيب، اللُمحة البدرية.

(٤) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٧٢، ١٦٥.

(٥) LEVI - PROVENCAL, Ibid, Vol, III, P. 403.

(٦) أبو بكر بن عبد العزيز، كان وزيراً ببلنسية للمظفر عبد الملك بن المنصور بن عبد العزيز بن الناصر العامرى (٤٥٣-٤٦٨هـ/ ١٠٦١- ١٠٧٥م) انظر ترجمته؛ ابن خاقان، أبو نصر الفتح ابن محمد بن عبد الله، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ط١، تحقيق حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، س١٩٨٩م، (ج١- ج٢)، ص١٩٨. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خاقان، قلائد العقيان. المقرى، نفح الطيب، ج١، هامش رقم (٣)، ص٦٤١.

سرقسطة (Zaragaza) حين أعرس ابنته أنه استدعى (أعيان الأندلس، وأمجادها، وأبطالها، وأنجادها، وكتّابها، ووزراءها، وحجّابها، وأمراءها لمشاهدة حفل زفاف ابنته، فأجابوا مناديه، وانحشروا لناديه وكان عُرسًا عظيمًا(١).

وكان يُحيى هذه الحفلات، ولمدة أسبوع، العازفون على آلات الطرب مثل الدف أو الكبَر*(٢) وغيرها(٣)، كما كانت ترافق العروس أثناء زفافها إلى زوجها في اليوم الأخير من أيام الحفل بغال تحمل صناديق خشبية تحتوى على جهازها(٤)، وكانت الراقصات يرقصن في العرس حاسرات الرأس كاشفات عن شعورهن(٥)، أمام العروس التى تبدو مجلوة وفى غاية الزينة(٦)؛ لذلك عرفت مسألة إعداد وترتيب العروس أثناء حفلة الزواج عند أهل الأندلس بالجلوة(٧) حيث يذكر بأنها من مهام الماشطة، وأجرتها ملزمٌ بها العريس(٨).

ويبدو أنهم كانوا يحتفلون بالعرس فى الشوارع، وهذا ما وصفه لنا ابن حزم

---

(١) ابن خاقان، قلائد العقيان (ج١ -ج٢)، ص١٩٨. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٦٤١.

*(٢) الكَبَر: معناه طبل له وجه واحد؛ انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة كَبَر، مج٥، ص١٣٠.

(٣) ابن عمر، أحكام السوق، ص١٢٠ - ١٢١. دندش، الأندلس فى نهاية المرابطين، ص٣٣١. فى حين يذكر المقرى فى نفحه أربعة عشر صنفًا من أصناف أدوات الطرب هى «الخيال، والكريج، والعود، والروطة، والرباب، والقانون، والمؤنس، والكثيرة، الفنار، والزلامى، والشقرة، والنورة، وهما مزماران؛ الواحد غليظ الصوت، والآخر رقيقه، والبوق» ؛ المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص٢١٣.

(٤) LEVI Provencal, Histoire, Vol,III,P. 404

(٥) ابن عبدون، محمد بن أحمد، رسالة فى القضاء والحسبة، نشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية، تحقيق ليفى بروفنسال، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، س١٩٥٥م، ص٥١. وسيشار إليه فيما بعد، ابن عبدون، رسالة فى القضاء والحسبة.

(٦) ابن عبد الرءوف، رسالة فى آداب الحسبة، ص٨٣.

(٧) الجلوة: لفظ وقع على زينة العروس التى ظهرت لزوجها مجلوّة وفى غاية الزينة، وتأتى بمعنى آخر هو ما يعطيه الزوج لعروسه وقت الزفاف، انظر؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة جلا، مج١٤، ص١٥٠-١٥١.

(٨) ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مخ)، ص٨٤. الونشريسى، المعيار المعرب، ج١١، ص٢٢٤.

في رسائله قائلاً:[1] «فلعهدى بعرس في بعض الشوارع بقرطبة (Cordoba) والنَّكورى الزامر قاعدٌ فى وسط الحفل وفى رأسه قلنسوة وشىء، وعليه ثوب خز عبيدى، وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه»، والحواة يقومون بألعابهم ليدخلوا السرور على المدعوين[2] ولم تكن الزفة لتقتصر على داخل المدينة، بل ربما تكون خارج المدينة، عندها كان لا بد لأهل العروس من أن يحصلوا على تصريح من القاضى يتضمن الموافقة على زفافها خارج المدينة؛ ليأمر بأن يصحب عدد من الأعوان حراسة الموكب من العربدة طيلة الزفة[3].

ويعزى أحد أسباب ذلك إلى ما يرافق هذه الاحتفالات من ضروب اللهو والعربدة، وشرب الشراب المسكر والخمر، مع أن رجال الدين نهوا عن حضور تلك الحفلات التى تقدم فيها المسكرات[4]، كما نهى الفقهاء عن اختلاط الرجال بالنساء فى الأعراس[5].

كما كانت العادة عند أهل الأندلس أن يتخلل هذه المناسبة إقامة الولائم التى تكون من مهام الطباخ، بحيث يقوم بعمل أصناف مختلفة من الأطعمة، وحلوى العرس، ولا يأخذ شيئًا مما يطبخه إلا عن شرط معلوم يشترطه قبل القيام بعملية

---

(١) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٣١٥- ٣١٦. الحميدى، جذوة المقتبس، ص١٤٤. الضبى، أحمد بن يحيى بن أحمد، بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس، دار الكتاب العربى، س١٩٦٧م، ص٢٠٣. وسيشار إليه فيما بعد: الضبى، بغية الملتمس. دندش، الأندلس فى نهاية المرابطين، ص٣٣١. خلاف، قرطبة الإسلامية، ص٢٨٣.

(٢) ابن عبدون، رسالة فى القضاء والحسبة، ص٥١. دندش، المرجع نفسه، ص٣٣١.
LEVI Provencal, Histoire, Vol, lll, P. 404.

(٣) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٧٦. ابن عبدون، رسالة فى القضاء والحسبة، ص٥٨. دندش، الأندلس فى نهاية المرابطين، ص٣٣١.

(٤) ابن سهل، أحكام السوق، ص١١٩.

(٥) الجرسيفى، عمر بن عثمان بن العباس، رسالة فى الحسبة، نُشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق إ.ليفى بروفنسال، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، س١٩٥٥م، ص١٢١. وسيشار إليه فيما بعد بـ: الجرسيفى، رسالة فى الحسبة. ابن عبدون، رسالة فى القضاء والحسبة، ص٤٧. دندش، الأندلس فى نهاية المرابطين، ص٣٣١. خلاف، قرطبة الإسلامية، ص٢٨٢.

الطبخ مع العريس[1]، الذى يتحمل نفقات الوليمة[2]، ويبدو أن الهدف من إقامة مثل هذه الولائم هو المبالغة فى إشهار النكاح[3]، وتشير بعض المصادر التاريخية على أن أعظم عرس شهدته قرطبة (Cordoba) هو زواج أسماء بنت غالب صاحب مدينة سالم من محمد بن أبى عامر (المنصور) سنة (٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، فى احتفال بهيج كان مضرب الأمثال فى البذخ والبهاء، ونظّم الاحتفال فى قصر الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦ - ٣٩٩هـ/ ٩٧٦ - ١٠٠٨م) تحت إشراف الخليفة، وأمه صبح، وأغدقت صبح على العروس رائع الهدايا والتحف[4].

٦- الحجاب:

يمنع الدين الإسلامى اختلاط الرجال مع النساء فى كافة المناسبات ومعظم الأماكن[5]؛ لهذا كان الحجاب مفروضًا على النساء فى الأندلس، ويُستدل على ذلك من كلام ابن حزم[6] حين أطلق على الحرائر من النساء: «ربّات الخدور المحجوبات من أهل البيوتات». كما جاء فى كتب الحسبة الكثير من الإشارات التى تمنع المخالطة بين الطرفين، حتى فى المشى أيام العيد على طريق واحد، وفى البيع والشراء، وفى السجن؛ أى لا تُسجن النساء مع الرجال فى سجن واحد[7].

---

(١) ابن عمر، أحكام السوق، ص١٢١. ابن دراج القسطلى، أحمد بن محمد بن العاصى، ديوان، ط١، تحقيق محمود على مكى، منشورات المكتب الإسلامى، دمشق، س١٩٦١م، ص٢٢٤. وسيشار إليه فيما بعد، ديوان ابن دراج القسطلى. دندش، الأندلس فى نهاية المرابطين، ص٣٣١. خلاف، قرطبة الإسلامية، ص٢٨٣. LEVI Provencal, Histoire, Vol, III, P.404.

(٢) ابن عمر، أحكام السوق، ص٨٤.

(٣) الونشريسى، المعيار المعرب، ج١١، ص٢٢٣.

(٤) المقرى، نفح الطيب، (براوية ابن حيان)، ج١، ص٤٠٠. ابن بسام، الذخيرة، (ق٤ - مج١) ص٦٥. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص ٢٦٧. الأنصارى، الذيل والتكملة، ص٨، ق٢، ص٤٧٨. حايك سيمون، صبح البشكنسية، أو الأندلس فى عهد الحكم المستنصر والدولة العامرية، د.ت، س١٩٧٦م، ص١٣٢ - ١٣٣. وسيشار إليه فيما بعد: حايك، صبح البشكنسية. النعنعى، عبد الحميد، تاريخ الدولة الأموية فى الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، س١٩٨٦م، ص٤٣١. وسيشار إليه فيما بعد: النعنعى، تاريخ الدولة الأموية. عنان، محمد عبد الله، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط٢، مكتبة الخانجى، القاهرة، د.ت، ص٢٠٨. وسيشار إليه فيما بعد: عنان، تراجم إسلامية.

(٥) ابن عبدون، رسالة فى القضاء والحسبة، ص٤٧.

(٦) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٧٠، ٧١، ١١٧.

(٧) ابن عبدون، رسالة فى القضاء والحسبة، ص١٩، ٣٢، ٤٦، ٤٧. ابن عبد الرءوف. رسالة فى=

لذا كان يغلب على الحرائر من الأندلسيات الحجاب كأهل المشرق، وربما كان حجاب حرائر الأندلسيات أشد وأعنف، وهذا ما نراه من خلال الهوادج ذات الصناعة المتقنة، التى كانت تعمل على نقل نساء وأسر أصحاب النفوذ والأعيان، والغرض منها كحجاب للمرأة تحاشى الوقوع فى المعصية(١). كما أن الحجاب لم يقتصر على ذلك، بل نجده حتى بالنسبة للمهن التى زاولتها المرأة؛ فهى تختلف اختلافًا كليًّا فى أغلبها عن المهن التى زاولها الرجال حيث كانت لخدمة النساء أنفسهن، ومن أمثلة هذه المهن: الطَّباخةَ، والرقَّامة(٢)، والخبَّازة(٣)، واللبانة(٤)، والطَّبيبة، والحجَّامة(٥)، والماشطة، وعاملة الغزل والنسيج وغيرها(٦). فضلاً على أن هذه الفئة من النساء المحجوبات كانت تدخل السرور فى قلوب الشيوخ والتقاة، فقد ذكر عن عبد الرحمن بن أحمد التجيبى (ت ٤٠٩هـ/ ١٠١٨م) المعروف بالدراية والعدالة أنه كان مُدار النساء المحتجبات، ذوات القدور والحجاب، وكان له

= آداب الحسبة، ص٧٤، ٧٦. الجرسيفى، رسالة فى الحسبة، ص١٢٢. القابسى، أبو حسن على بن محمد، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ملحقة بكتاب التربية فى الإسلام، أو التعليم فى رأى القابسى، أحمد فؤاد الأهوانى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، س١٩٥٥م، ص٢٩٢. وسيشار إليه فيما بعد: القابسى، الرسالة المفصلة.

(١) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف، المقتبس فى أخبار الأندلس، تحقيق عبد الرحمن على الحجى، دار الثقافة، بيروت، لبنان، س١٩٦٥م، ص٤٢. وسيشار إليه فيما بعد: ابن حيان، المقتبس.

(٢) الرقَّامة: جاء هذا اللفظ بمعنى المرأة التى تقوم بتطريز الأثواب لتقع المرابحة عليه ليغتر به المشترى. انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة رقم، مج١٢، ص٢٤٨، ٢٤٩.

(٣) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص٥٦.

(٤) اللبَّانة: هى المرأة التى تختص بصناعة اللبن وبيعه، انظر؛ ابن بسام، الذخيرة، (ق٣، مج١). ص٦٦٧. ابن سعيد ورفاقه المُغرب، ج٢، ص٤٠٩. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٤٤٠.

(٥) الحجامة: جاء هذا اللفظ بمعنى المرضعة، وهى المرأة التى تقوم بوظيفة الرضاعة فى البيوت. انظر؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة حجم، مج١٢، ص١١٦.

(٦) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٧٢، ١٤٢. بهجت، منجد مصطفى، أعلام نساء الأندلس مستلة من كتاب التكملة لابن الأبار (ت ٦٥٨هـ)، المورد ع١، مج١٩، س.١٩٩٠م، ص١٠١. وسيشار إليه فيما بعد بـ: بهجت، أعلام نساء الأندلس.

فى ذلك تلُّطف وحسن توصُّل[1]، لكن هذا لا يعنى أن المجتمع الأندلسى كان خاليًا من السافرات، فقد ذكر عن بعض النساء إنهن كنَّ يقضين أوقات فراغهن بمتابعة المارة من أماكن خاصة بمنازلهن تعرف بالشرفات[2]، وإمضاء الوقت بمشاهدة الرائحين والغادين[3]، كما كان بعضهن يتابعن الطريق، وذلك بالوقوف على أبواب منازلهن فى الأزقة مكشوفات الوجه[4]، ويرى ابن عبد الرءوف[5]: «منع النساء الوقوف على أبواب الدور لما فيه من الكشف وعدم الاستتار» لقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

بالإضافة إلى ذلك فقد عُرف عن بعض النساء بأنهن كُن السفيرات بين العاشقين؛ لهذا كان أرباب الأسر يُحذرون الفتيات الناشئات من النساء ذوات العكاكيز والتسابيح والثوبين الأحمرين[6]، وهو اللون الذى كان يكرهه النبى ﷺ، وفى هذا قيل عنه إنه كان يحب من الألوان الخُضرة، ويكره الحُمرة ويقول: «هى زينة السلطان»[7]. وخير مثال على ذلك ما ذكر عن القاضى زياد بن عبد الرحمن أنه خطب (حميدة) ابنة معاوية بن صالح الحضرمى (ت ١٦٨هـ/ ٧٨٤م)، وأحب رؤيتها قبل الزواج بها على ما يفعله البعض، فتحيَّل النساء عليه فى ذلك، وأتين

---

(١) ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك، كتاب الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، س١٩٦٦م، ق١، ص٣١٦. وسيشار إليه فيما بعد بـ: ابن بشكوال، الصلة.

(٢) الشرفات: كما عرفت بُعليه باعلى البيت مطلة على الطريق. انظر؛ ابن حيان، أبى مروان، حيان خلف، المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس، نشر أنطونية، باريس، س١٩٣٧م، ص١٢٤. وسيشار إليه فيما بعد، ابن حيان المقتبس، نشر أنطونية. ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص٦٥. المقرى، نفح الطيب، ج٢١، ص٢٦٤.

(٣) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٢٦٤ - ٢٦٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٤.

(٥) رسالة فى آداب الحسبة والمحتسب، ص٧٣.

(٦) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٧١.

(٧) القرطبى، ابن عبد البر أبى عمر يوسف بن عبد الله، بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، ط٢، تحقيق محمود موسى الخولى، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، س١٩٨٢م، ق٢، ص٦٠. وسيشار إليه فيما بعد بـ: القرطبى، بهجة المجالس.

به عند العشاء الآخرة[1]. كما أورد لنا ابن حزم[2] خبراً آخر ومتناقضًا لامرأة متدينة لم تشعر بأن نزاهتها قد مُست فى شىء عندما ساعدت شابًا، فدبرت له موعدًا مع جارية. كما أورد لنا خبـراً كان فيه الحمام الزاجل السفير بـين العاشقين، ولنستمع إلى ابن حزم[3]، وهو يحدثنا عن هذا التراسـل الطريف قائلاً: «وإنى لأعرف من كانت الرسول بينهما حمامة مؤدبة، ويُعقد الكتاب فى جناحها، وفى ذلك أقول:

تخَـيـرها نـوحٌ فـمـا خـاب ظنّه　　　لديهـا وجـاءت نحـوه بالبـشـائر

سـأودعهـا كُـتبى إليك فـهـاكهـا　　　رسَـائـلَ تهـدَى فى قـوادم طائر

رابعًا: الزواج المختلط بين المسلمين الفاتحين والإسبانيين:

أ- مصادر الحصول على زوجات:

مر بنا أن الجـيل الفاتح للأندلس دخلوا الأندلس رجالاً بلا نسـاء، وأن الحاجة اضطرتهم إلى أن يتـخذوا من نساء وبنات أهل البـلاد المفتـوحة زوجات وأمـهات لأولادهم، فـمـا إن وضـعت الحرب أوزارهـا هناك سنة (٩٣- ٩٦هـ/ ٧١١م - ٧١٤م)، حتى أخذ القواد والجنود بالتسرى من بنات المدن الإسبانية المفتوحة[4]، إذ

(١) الخشنى، قضاة قرطبة، ص١٨ - ١٩. ابن عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص٣٥٢. مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٥٢.

(٢) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص١٦٤ -١٦٥. عبود، محمد، التاريخ السياسى والاجتماعى لإشبيلية فى عهد الطوائف، مطابع الشويخ، ديسبريس، تطوان، س١٩٨٣م، ص١٦٥. وسيشار إليه فيما بعد بـ: عبود، التاريخ السياسى.

(٣) ابن حزم، طوق الحمامة، ص٣٥-٣٦.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٢، ٣٧. ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٢١٢. فتوح أفريقية، ص٨٤. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٧. مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢٠، ٢١، ٢٧، ٢٨. القيروانى، تاريخ أفريقية، ص٩٤- ٩٥. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٢. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٣، ٢٤. تاريخ المغرب، ص٢١٠. القلقشندى، أحمد بن عبد الله، مآثر الإنافة فى معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإرشاد، الكويت، س١٩٦٤م، ج١، ص١٣٨. وسيشار إليه فيما بعد بـ: القلقشندى، مآثر الإنافة. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٦، ٢٦٧، ٢٨١. سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب الجامعة، س١٩٦١م، ص١١٢. وسيشار إليه فيما بعد، سالم، تاريخ المسلمين. عبد المنعم، حمدى، التاريخ السياسى لمدينة إشبيلية فى العصر الأموى، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية، =

بلغ عدد زيجات المسلمين من بنات الإسبان فى بدء الفتح ثلاثين ألف نصرانية[1]. إذ من غير المعقول أن يكون الزواج قاصراً فقط على نساء السبى أثناء الفتح، بل إن هناك مصادر أخرى ومتعددة مقارنة مع الرقم الذى قدَّره غوستاف لوبون.

١ - سبايا الحروب:

تعتبر المصدر المهم لاتخاذ النساء من السبى زوجات وأمهات أولاد، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن عدد السبايا من النساء كان يزداد أو ينقص تبعًا لقوة أو ضعف الحاكم القائم، فإذا كان الحاكم قويًا استطاع أن يصد الهجمات عن ملكه، ويغزو أرضهم، أما إذا كان العكس فإنه يتقوقع داخل حدود مملكته ينتظر ضربات عدوه، فقد عُرف عن عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ/ ٩١٢ - ٩٦١م)، أنه «دوَّخ ملوك الفرنجة، وأفزع قلوبهم، وسبى نساءهم، ولم يبق أمّة سمعت به من ملوك الروم والإفرنجة والمجوس، وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة»[2].

بالإضافة إلى ما أصابه طارق بن زياد، ومن معه من السبى أول الفتح؛ فقد ذكر أن خيار ما أصاب هو السبى من النساء[3]. وفعل الصنيع نفسه محمد بن أبى عامر (المنصور) (٣٦٦ - ٣٩٢هـ/ ٩٧٦ - ١٠٠١م) إذ كانت انتصاراته على الروم

= س ١٩٨٧، ص ١٩، وسيشار إليه فيما بعد: عبدالمنعم، التاريخ السياسى. حومد، أسعد، محنة العرب فى الأندلس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، س١٩٨٨م، ص٦٣. وسيشار إليه فيما بعد: حومد، محنة العرب. الحجى، عبد الرحمن على، أندلسيات (المجموعة الأولى)، ط١، دار الإرشاد للطباعة والنشر، س١٩٦٩م، ص٧٦- ٧٧؛ و سيشار إليه فيما بعد: أندلسيات، المجموعة الأولى.

(١) لوبون، حضارة العرب. ص ٢٦٨. طرخان، إبراهيم، أوروبا والحضارة الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جماعة الرياض، س ٧١ - ١٩٧٢م، مج٢، ص ١٨. وسيشار إليه فيما بعد: طرخان، أوروبا والحضارة.

(٢) المقرى، نفح الطيب، (برواية ابن حيان)، ج١، ص٣٦٥، ٣٦٦.

(٣) مؤلف مجهول، نبذة من أخبار فتح الأندلس عن الرسالة الشريفة إلى الأقطار الأندلسية، ملحق بكتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية، دار النشر للجامعيين، بيروت، س١٩٥٨م، ق٣، ص٢١٥. وسيشار إليه فيما بعد: مؤلف مجهول، الرسالة الشريفة. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٠٨.

متوالية، فقد غـزا أكثر من خمسين غزوة[1]. وكانت نتيجة غزواته أن ازداد السبى من النساء؛ مما جعل أهل الأندلس يطلقون عليه اسم جلاَّب[2].

والملاحظة الجديرة بالاهتمام أن الفترة الممتدة ما بين (٣٠٠ - ٣٩٩هـ/ ٩١٢ - ١٠٠٨م)، هى من أخصـب الفترات؛ فنرى الأندلـس قد ملئت غناء وسـبايا من بنات الروم، الأمر الذى أدى إلى رخص أثمـان الجوارى، فقد ذكـر أنه «قد نودى على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة، وكانت ذات جـمال، فلم تساوِ أكثر من عشـرين دينارًا»[3]. فـأقبل الناس على الزواج من سـبـايا الإسبـان تاركين بنات الأحرار، مما دفع والد كل فتـاة إلى المغالاة فى تجهيز ابـنته، ولولا ذلك لم يتزوج أحد حرة[4]. لهذا كله فقد شكلت السبايا مصدرًا رئيسيًا من مصادر الزيجات عند المسلمين، وقـد روى عن الرسول ﷺ أنه قـال: «**زوِّجـوا أبناءكم وبناتكم، قـيل: يا رسول الله هذه ابناؤنـا نزوِّج فكيف بناتنا؟ قال: حلُّوهن الذهب والفـضة، وأجـيدوا لهن الكسوة، وأحسنوا إليهن بالنحلة ليرغبوا فيهن**»[5].

---

(١) مؤلف مجهول، ذكـر بلاد الأندلس، ص١٨٦-١٩٤. العذرى، ترصيع الأخبار، ص٧٤، ٨٠. ابن سعـيد ورفاقه، المغـرب، ج١، ص١٩٩. ابن عذارى، البيـان، ج٣، ص١١. أبو صالح، وائل، الجوارى فى الأندلس، ط١، منشورات دار القلم، رام الله، س١٩٨٥م، ص٧. وسـيشار إليه فيما بعد، أبو صالح، الجوارى.

(٢) ابن عذارى، البيان، ج٣، ص١٣. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٤١٦.

(٣) المراكشى، المعجب، ص٢١.

(٤) نفس المصدر، ص٢١. ابن الخطيب، لسان الدين السلمانى، تاريخ إسبـانيا الإسلامية، أو كتاب أعمال الأعلام فى من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ط٢، تحقيق إ.ليفى بروفنسـال، دار المكشـوف، بيروت، لبنان، س١٩٥٦م، ص٨٤، ٨٥. وسـيشار إلـيه فيـما بعـد: ابن الخطيب أعمـال الإعلام. الدغلى، مـحمد سـعيد، الحـياة الاجتـماعيـة فى الأندلس وأثرها فى الأدب الأندلسى، ط١، د.ن.س ١٩٨٤م، ص١٧. وسـيـشـار إليـه فيـمـا بعـد: الدغلى، الحـيـاة الاجتماعية. السامرائى، خليل إبراهيم وجماعته، تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، جامعة الموصل، العراق، س١٩٨٦م، ص٤٢٨. وسـيشار إليه فيمـا بعد: السامـرائى، تاريخ العرب. التواتى، عبد الكريم، مأساة انهيـار الوجود العربى الأندلسى، ط١، نشر وتوزيع مكتبة الرشاد، الدار البيضـاء، س١٩٦٧م، ص١٩١. وسيشار إليه فيما بعـد: التَّواتى، مأساة انهـيار الوجود العربى.

(٥) الإدريسى، أبو محمد التهامى كنون، قرة العيون بشرح نُظم ابن يامون، المكتبة الشعبية، بيروت، لبنان، د.ت، ص٥١٤. وسيشار إليه فيما بعد: الإدريسى، قرة العيون.

٢- تجارة الجوارى:

يعتبر هذا المصدر نتيجة للمصدر الأول وهو الغزو؛ ذلك لأن معظم الجوارى اللواتى كن يُبَعْن فى الأسواق ما هن إلا من نتائج الحروب، وقلة كان يتم شراؤهن من الفرنجة المتصلين بأرض الأندلس الذين قيل فيهم: «بأنهم أمة أشد بأسًا، وأحد شوكة، وأعظم إمدادًا، وأكثر خلقًا، يحاربون أمة الصقالبة المتصلين بأرضهم لمخالفتهم إياهم فى الديانة، فيسبونهم ويبيعونهم بأرض الأندلس»[1].

وهذا دليل واضح على أن عادة شراء وبيع الجارية كانت سائدة عند أهل الأندلس[2] بحيث عجت قصور الأمراء والخلفاء بالحرائر والإماء من الإسبانيات، فما بالك بالعامة! والناس كما قيل على دين ملوكهم، فقد ذكر أن «عدة النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار ست آلاف وثلاثمائة امرأة وأربع عشرة»[3].

---

(١) المقرى، نفح الطيب (برواية الرقيق)، ج١، ص١٤٥. المسعودى، أبو الحسن على بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، س١٩٦٥م، ج٢، ص٥-٦. وسيشار إليه فيما بعد، المسعودى، مروج الذهب. البكرى، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، ط١، تحقيق عبد الرحمن الحجى، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، س١٩٦٨م، ص٧٤-٧٥. وسيشار إليه فيما بعد، البكرى، جغرافية الأندلس. ابن عذارى، البيان، ج٣، ص١٦٢. العبادى، أحمد مختار، قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، س١٩٦٩م، ص٣٥. وسيشار إليه فيما بعد: العبادى، قيام دولة المماليك. العبادى، أحمد مختار، الصقالبة فى إسبانيا، المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، مدريد، س١٩٥٣م، ص٩. وسيشار إليه فيما بعد: العبادى، الصقالبة.

(٢) المراكشى، المعجب، ص٢١.

(٣) مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة الإسلامية، تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، س٦٥-١٩٦٦م، ع٥، مج١٣، ص١٧٠. وسيشار إليه فيما بعد، مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة، يذكر أن عدة النساء فى قصر الزهراء ستة آلاف وثمانمائة وأربع عشرة امرأة. ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص٤٠-٤١، يذكر أن عدة النساء فى قصر الزهراء ستة آلاف وسبعمائة وخمسين. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٣٢. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٥٦٧. المقرى، شهاب الدين أحمد بن محمد، أزهار الرياض فى أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وجماعته، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، س١٩٤٠م، ج٢، =

لكن هذا لا يعنى أن شراء الجارية وبيعها كان من الأمور السهلة، كما يتصور البعض، بل كان من الواجب أن يتم شراؤها بحضور الشهود، وكاتب العقد الذى كان يسأل عن ذكر الأسباب التى تطلب الجارية من أجلها حتى يتم تدوينها فى العقد[١]، كذلك نلاحظ من خلال النصوص التاريخية أن أثمان الجوارى كانت ترتفع لاعتبار العلم والجمال، لا لاعتبار الحسب والنسب، فالعشق كان من الوسائل التى تعين الجارية على ارتفاع ثمنها، بدليل ما ذكر عن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٣٨ - ٢٧٣هـ/ ٨٥٢ - ٨٨٦م)، الذى كان قد تعشق جارية جميلة فى حياة أبيه، وقبل أن يصل إلى الخلافة، لكن الذى حصل أن أخاه هشامًا، قد ظفر بها دونه، فاشتراها أو أهديت إليه، فلما ولى الأمير محمد اشتغلت نفسه بطلبها، فوجّه إلى أخيه هشام رسولاً معه عشرة آلاف دينار مقابل عودتها له[٢].

ومن الوسائل الأخرى التى تعين الجارية على ارتفاع ثمنها العلم، فالجارية المتعلمة أغلى ثمنًا من الجارية الأمّية، فقد ذكر عن الإمام الفقيه ابن حزم أنه قد تلقى علومه الأولية فى بيته، حيث طلب والده إلى بعض جواريه أن يقمن بتلقينه الأشعار، والأخبار، وفى هذا يقول: «وهنّ علّمننى القرآن، وروّيننى كثيراً من الأشعار، ودرّبننى فن الخط»[٣].

= ص٢٦٥. وسيشار إليه فيما بعد: المقرى، أزهار الرياض. عتيق، عبد العزيز، الأدب العربى فى الأندلس، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، س١٩٧٦م، ص١٤٥، وسيشار إليه فيما بعد: عتيق، الأدب العربى.

(١) ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشى، معالم القربة فى أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان، وصديق أحمد عيسى، الهيئة المصرية العامة، س١٩٧٦م، ص٢٣٨. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الأخوة، معالم القربة. حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، س١٩٦٧م، ج٤، ص٦٤٣. وسيشار إليه فيما بعد، حسن، تاريخ الإسلام السياسى. حسن، إبراهيم حسن وآخرون، النظم الإسلامية، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، س١٩٦٢م، ص٣١٥. وسيشار إليه فيما بعد، حسن، النظم الإسلامية.

(٢) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود على مكى، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، س١٩٧٣م، ص٢١٦- ٢١٨. وسيشار إليه فيما بعد: ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى.

(٣) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص١٦٦.

وقد ذكر عن المتطبب محمد بن الكنّانى (ت ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م)، انه أوجد سوقًا لقيانه يعلّمهن الكتاب والإعراب، وغير ذلك من فنون الآداب ثم يبيعهن بأغلى الأثمان، فقد ورد عنه أنه باع قيْنة بثلاثة آلاف دينار[١]. مما تقدم نستطيع أن نخلص إلى القول: بأن أثمان الجوارى تزداد ارتفاعًا كلما تعددت صفات الجارية واتسعت ثقافتها؛ فقد ظهر من بينهن من أجادت العزف والغناء، وحفظت الأخبار، وروت الشعر؛ لهذا السبب تسرّى الملوك بالكثير منهن، أو تزوج من بعضهن، فصرن بهذا أمهات أولاد، وأنجبن بعض الملوك المشاهير والأمراء اللامعين، وكان لهن دور فى أمور الحكم والسياسة، نذكر منهن على سبيل المثال صبح البشكنسية زوج الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م)[٢].

ب- المصاهرات:

اختلط أفراد الفتح الإسلامى بسكان البلاد المفتوحة منذ اللحظة الأولى، وعاشوا معهم فى ظلال وحدة واحدة وإخاء تام، وأسلم كثير من المسيحيين واليهود، واندمج بعضهم فى بعض عن طريق المصاهرة، فكان عبد العزيز بن موسى أول من شجع على الزواج من الإسبانيات، فنراه يتزوج من أمرأة لذريق (Roderic) إيلونا (Egilona) التى تكنيها مصادرنا الأندلسية بـ (أم عاصم)، وسكن معها إشبيلية[٣].

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، (ق٣، مج١)، ص٣١٩ - ٣٢٠. ابن عذارى، البيان، ج٣، ص١٨، ٣٠٨.

(٢) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧٣-١٧٤. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٢. عبد الله، نافع، الهجاء فى الشعر العربى الأندلسى، ط١، منشورات مركز الوثائق والابحاث، جامعة بيرزيت، س١٩٨٤م، ص٤١. وسيشار إليه فيما بعد: عبد الله، الهجاء فى الشعر العربى الأندلسى.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٣٧. ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ص ٢١٢، ٢١٣. ابن عبد الحكم، فتوح أفريقية، ص٨٤. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ص٢٧-٢٨. مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢١-٢٢. القيروانى، تاريخ أفريقية، ص٩٤-٩٥. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٢. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٣؛ النويرى، تاريخ المغرب، ص٢١. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٦. مؤنس، فجر الأندلس، ص ١٣٠-١٣١. بروفنسال، ليفى، الحضارة العربية فى إسبانيا، ط١، ترجمة الطاهر أحمد مكى، دار المعارف، س١٩٧٩م، ص ١٠٤. وسيشار إليه فيما بعد: بروفنسال، الحضارة العربية.

ثم تبعه الكثير من رجال الفتح مقلدين، أمثال زياد بن النابغة التميمى الذى تزوج هو الآخر[1]، وعيسى بن مزاحم الذى تزوج من سارة القوطية بنت المند بن غيطشة (Sarre - Al-Gothe)، ووُلد له منها ولدان هما إبراهيم وإسحاق، ثم توفى عنها فى العام الذى ملك فيه عبد الرحمن بن معاوية الأندلس سنة (١٣٨هـ/ ٧٥٥م)، فتزوجت عمير بن سعيد وولدت له حبيباً[2]، أما بالنسبة لأمراء بنى أمية، فلم يكن منهم من كانت أمهُ حرة أصلاً[3]، إذ كانت أمهاتهم من نصارى الشمال الإسبانى، أو من البربر، أو من الرقيق الصقلب.

وخير مثال على ذلك طروب الجارية الصقلبية زوجة عبدالرحمن الثانى (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٦-٨٥٢م)، وما كان لها من سلطان وتأثير عليه[4].

ومن المصاهرات الطريفة أيضًا، زواج الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ - /٨٨٨-٩١٢م) من ونقه ابنة فرتون بن غرسية (Iniga)، التى تسميها المصادر الإسلامية (دُر) من شمال إسبانيا، أنجبت للأمير عبد الله ابنه محمداً والد عبد الرحمن الثالث[5].

---

(١) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص ٢٧-٢٨. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٣. ذنون طه، دراسات (المجموعة الأولى)، ص٩٢. سالم تاريخ المسلمين، ص١٢٨. فروخ، العرب والإسلام ص ١٠٤.

Guichard, Structures, P.106

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٢. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص ٢٦٦-٢٦٧. مؤنس، فجر الأندلس، ص١٧-١٨. مطلق، البير حبيب، الحركة اللغوية فى الأندلس من الفتح العربى حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، س ١٩٦٧م، ص١٦٦. وسيشار إليه فيما بعد، مُطلق، الحركة اللغوية.

'Guichard, structures,p.143

(٣) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص ١٠٤.

(٤) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص١٤٤. ابن الأثير الكامل، ج٧، ص ٦٩. ابن الأبار، أبو عبد الله بن محمد بن عبدالله، الحلة السيراء، ط١، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة، القاهرة س١٩٦٢م ج١، هامش رقم (١)، ص١٤٤. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الأبار، الحلة السيراء. ابن عذارى، البيان، ج٢ ص٩٢. المقرى، نفح الطيب، ج١ ص٣٤٩. بالنثيا، أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسى، ترجمة حسين مؤنس، ط١، مكتبة النهضة العربية، القاهرة . د. ت ص٤. وسيشار إليها فيما بعد: بالنثيا، تاريخ الفكر.

(٥) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٩٧، ١٥١، الحجى، أندلسيات (المجموعة الأولى)، ص٨٣، =

وكانت ونقه هذه، قد تزوجت قبل ذلك من أمير نبرى (Navarra) هو أزنار بن شانجة (Aznar-sancho)، وأنجبت منه ابنة هى طوطة (Toda) التى أصبحت ملكة نبرة (Navarra)[١]، وعاصرت عبد الرحمن الثالث الناصر، وبهذا تكون طوطه عمة الخليفة الناصر لأنها أخت والده من جهة الأم، وقد وفدت الملكة طوطه سنة (٣٤٧هـ/ ٩٥٨م)، على الناصر لعقد السلم لها ولولدها شانجة بن رذمير (Ramiro Sancho) ،وأعانه حفيدها غرسيه بن شانجة (Garcia sancho) على ملكه ومناصرته، فاحتفل الناصر لقدومهم، وعقد الصلح لشانجة وأمه، وردّ لغرسيه (Garcia) ملكه فى جليقية (Calicia) بعد أن كان أهلها قد انتفضوا عليه[٢].

كما كانت أم عبد الرحمن الثالث الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢/ ٩٦١م) نبريةً (Navarra) تدعى ماريا (Maria)، وتسميها الرواية العربية مزنة[٣]، كذلك زوجة ابنه وخليفته الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م)، والتى تسميها الرواية العربية (صبح) البشكنسية الأصل التى وصفت بأنها ذات نفوذ وسلطان فى عهد زوجها، ثم بداية عهد ابنها هشام المؤيد[٤]، حتى استبد محمد بن أبى عامر

= السامرائى خليل إبراهيم، الثغر الأعلى الأندلسى دراسة فى أحواله السياسية (٩٥-٦١٣هـ) مطبعة اسعد، بغداد، س ١٩٧٦م، ص٣٣٩. وسيشار إليه فيما بعد: السامرائى، الثغر الأعلى.

(١) الحجى، اندلسيات (المجموعة الأولى) ص٨٣-٨٤. ذنون طه، عبد الواحد، قيام الممالك الإسبانية وعلاقتها مع العرب فى الأندلس، مجلة أوراق، المعهد الإسبانى العربى للثقافة، س٨٢-١٩٨٣م، ع٥-٦، ص٩٦. وسيشار إليه فيما بعد بـ: ذنون طه، قيام الممالك الإسبانية.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمى، العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، س١٩٧١، ج٤، ص١٤٣. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، العبر. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٦٥-٣٦٦. ذنون طه، دراسات (المجموعة الأولى)، ص١٧٠. الحجى، أندلسيات (المجموعة الأولى)، ص ٨٣-٨٤. السامرائى، الثغر الأعلى، ص٣٣٩. ستانلس لين بول، قصة العرب فى إسبانيا، ترجمة على الجارم، دار المعارف، مصر س١٩٦٠م، ص١١١-١١٢. وسيشار إليه فيما بعد: ستانلس، قصة العرب.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٥٩. ابن الأثير الكامل، ج٨ ص٥٣٦. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٥٦. البتنونى، محمد، رحلة الأندلس، ط١، مطبعة الكشكول، س١٩٢٧م، ص٣١. وسيشار إليه فيما بعد: البتنونى، رحلة الأندلس.

(٤) صبح: فتاة رائعة الحسن والخلال شغف بها الحكم، وأغدق عليها حبه وعطفه وسماها بجعفر،=

(المنصور) بالسلطة دونهما (٣٦٦-٣٩٣هـ/ ٩٧٦- ١٠٠٢م)، والذى تزوج بدوره من ابنة شانجة الثـانى بن غرسية (Sancho-Garcai II)، وقد أسلمت وحسن إسـلامها، وأطلق عليها اسم عبده، وقد ولدت له عبد الرحمن الملقب بشنجول (sanchuelo or sanchol) بالإسبانية، وهو تصغير لاسم شانجة جده لأمه[(١)].

كما ساقت المصادر التاريخية خبر زواج الوزير تمام بن عامر[(٢)]، من أم الوليد بنت خلف بن رومان النصرانية، فولدت له ابنة، فتزوجها فطيس بن أصبغ، فجاء من نسلها الوزير الكاتب عيسى بن فطيس[(٣)]، فتمام جده لأمه[(٤)]، وكانت «أم الوليد بارعة الجمال، سبَّاءة للألباب، فرآها تمام وهام بها فانقاد لهواه فى نكاحها، فكان أعداؤه يعيبونه بها، ومن قوله فيها لما عُذل فى نكاحها:

= انظر؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧٣، ١٧٤. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٢. بيضون، إبراهيم، الدولة العربية فى إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (٩٢-٤٢٢هـ/ ٧١١-١٠٣١م) ط١، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، س ١٩٨٠م، ص ٣٤٢. وسيشار إليه فيما بعد: بيضون، الدولة العربية.

(١) ديوان ابن دراج القسطلى، (هامش) ص٥٠، ٣٩٥؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، هامش رقم (١) ص ٢٧٢. ابن عذارى، البيان، ج٣، ص٣٨، ٤٢. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٦٦. البتنونى، رحلة الأندلس، ص٣١. بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى، دار العلم للملايين، بيروت، س١٩٧٧م، ص٣٠٣. وسيشار إليه فيما بعد: بروكلمان، تاريخ الشعوب. عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام فى الأندلس ط٣، مكتبة الخانجى، القاهرة، س ١٩٨٨م، ق٢، ص٥٣٠. وسيشار إليه فيما بعد: عنان، دولة الإسلام.

(٢) تمام بن عامر، كان أديبًا شاعرًا غزير القول، ولى خطة الوزارة للأمير محمد بن عبد الرحمن وولديه من بعده. انظر تفصيلات ذلك؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص ١٧٩. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، هامش رقم(٢)، ص٧٠.

(٣) عيسى بن فطيس، استكتبه الخليفة الناصر (س٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) ثم ولاه الوزارة مكان أبيه فطيس، انظر؛ رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، هامش رقم(٣)، ص٧٠. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، أعتاب الكتاب، ط١، تحقيق صالح الأشتر، د. ن، س ١٩٦١م، ص١٩٠. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الأبار، أعتاب الكتَّاب.

(٤) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٧٠. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٨٢.

يُكلِّفني العُذّالُ صبرًا على التي   أبَى الصبر عنها أن يحِلَّ مَحلّها
إذا ما ورعتُ النفسُ يومًا فأبصرتْ   سبيلَ الهُدى عاد الهوَى فأضلّها[1]

وفي بعض الأحيان كانت تحدث زيجات عكسية؛ أى زواج الإسبان بالمسلمات على اعتبار أن أبناء الجيل الأول أو غيره من (المولدين) مسلمين، مثال ذلك المصاهرات التى تمت بين أسرة بنى قسى (المولدين) مع بنى حكام نبرّة (Navarra) فى الشمال[2]، فمثلاً أرملة موسى بن فرتون بن قسى، تزوجت من ونقه أريستا (Iniga- Arista) الأمير النبرى، كما أن موسى هذا زوّج بنات أخيه لب (Lope) لأولاد ونقه بن شانجة (Iniga-sancho)[3]، وقد أدت هذه المصاهرات إلى وقوف بنى قسى أحيانًا إلى جانب أصهارهم فى الحروب[4].

وتزوج مطرف بن موسى بن موسى من فليشكيطة بنت شانجة (Velasquita) صاحب بنبلونة (Pamplona)، عندما استدعى من قبل أهل وشقة (Huesca) لمساعدتهم للقضاء على تمرد عمروس الثانى على حكومة قرطبة سنة (٢٥٦هـ/٨٦٩م)[5]، ويروى ابن حزم[6]، خبر زواج أركة ابنة عبد الله بن محمد

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ١٨٢، ١٨٣.

(٢) ابن حزم، أبو محمد على بن احمد الأندلسى، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، س ١٩٦٢م، ص٥٠٢. وسيشار إليه فيما بعد، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٠٢. الحجى، أندلسيات (المجموعة الأولى) ص٨١-٨٢.

' Abdurrahman Ali ElHajji, Andlusian Diplomatic Relations with, Western Europe During the Umayyad Period (A-H- 138-366) (755-976) A. D) ph. D.THESIS, dar-el -irshad- BEIRUT-1970. P102. it will be abriviated to: HAJJI, ANDLUSIAN DIPLOMATIC.

(٤) العذرى، ترصيع الأخبار، ص٣٠-٣١.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٣٣١. العذرى، ترصيع الأخبار، ص٦٢. السامرائى، الثغر الأعلى، ص٣٤٠. عبد الحليم، محمد رجب، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، د. ت، ص٦٧. وسيشار إليه فيما بعد: عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس.

(٦) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٣. السامرائى، الثغر الأعلى، ص٣٤١. عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس، ص١٩٧.

بنلب (Arkeh) سنة (٣٠٣هـ/ ٩١٥م) من ملك ليون (Leon) فُرويله بن أدفونش (Fruela, Ibn-Advonesh) فولدت له ردُمير (Ramiro)، وأردونى (ordono)، ولم تقف المصاهرات عند هذا الحد، بل إن بعض النصارى أنفسهم شجعوا المصاهرات مع المسلمين أمثال ذلك مورقاط أو (مارجاتو) (mauregato) حاكم جليقية (Galicia) (ت ١٧٣هـ/ ٧٨٩م)، حيث شجع زواج الفتيات المسيحيات من المسلمين بحماس[١]، ونلاحظ أن الزواج من الإسبانيات لم يقتصر على الحكام فى الأندلس، بل تعداه إلى القادة، حيث يشير العذرى[٢]، إلى مصاهرة حدثت بين القائد عبد الجبار بن نذير وتدمير (Theeodemir) صاحب أوريوله (orihuela)، وقد جاء عبد الجبار فى طالعة بلج، ونزل فى الجانب الغربى من يرطبة، حيث ينسب إليه باب عبدالجبار، ثم انتقل بعدها إلى شرق الأندلس[٣]. وبإمعان النظر فيما سبق نجد أن جميع هذه المصاهرات كانت مع النصارى، لكن ما بين أيدينا من إشارات تاريخية تثبت لنا بأن هناك بوادر للتصاهر مع البيت الأموى نفسه، حيث برزت أول إشارة إلى ذلك منذ دخول عبد الرحمن الأول الأندلس سنة (١٣٦هـ-٧٥٣م)، فقد أبدى الصميل بن حاتم رغبة فى البداية لتزويج ابنته أم موسى، أرملة قطن بن عبد الملك من عبد الرحمن الداخل، إلا أن هذا لم يتم[٤].

ثم نسمع عنه محاولة زواج أخرى من ابنة يوسف الفهرى[٥]، كما نلاحظ أيضًا مثل هذه المصاهرات، فالمصاهرة التى تمت بين محمد بن الأمير المنذر بن محمد بن

---

(١) عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٢١٦، LEVI - PROVENCAL, Histoire, Vol III. p404.
الحجى، أندلسيات (المجموعة الأولى)، ص٨١. ذنون طه، قيام الممالك الإسبانية، ص ٩٦.
ذنون طه، دراسات (المجموعة الأولى)، ص١٦٤.

(٢) العذرى، ترصيع الأخبار، ص١٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١٥-. ذنون طه، دراسات فى التاريخ الأندلسى، ص١٥٤.

(٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٧٢. مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٤٩. ابن عذارى، البيان؛ ج٢، ص٤٣. فروخ، العرب والإسلام، ص١٧٠. محمود، منى حسن، المسلمون فى الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربى، القاهرة، س ١٩٨٦م، ص ٤٦. وسيشار إليه فيما بعد: محمود، المسلمون فى الأندلس.

(٥) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٧٠-٧١. مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٥٢-٥٣. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٤٥-٤٦.

عبد الرحمن (ت٣١٦هـ/ ٩٢٨م)، وبين عبد الرحمن بن محمد الناصر الذى عرف بأنه من أكمل رجال البيت الأموى خلقًا، وعقلاً، وأدبًا تامًا، وحظًا من الشعر الجيد، وكانت أخته لأبيه فاطمة عند عبد الرحمن بن محمد الناصر، حيث حظى بمصاهرته[1]، ويبدو أن أغلبية المصاهرات التى كانت قائمة خلال الفترة محل البحث جاءت نتيجة لأغراض سياسية ثلاثة:

أولاً: منها ما استخدم من أجل كسب طاعة العدو، كما فى المصاهرة التى تمت بين موسى بن موسى القسى، وأزراق بن منت (منتيل) صاحب وادى الحجارة، وثغرها، وكانت ابنة موسى التى زوّجها لأزراق توصف بأنها أجمل نساء الأندلس، فلما بلغ الخبر للأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) خاف أن يؤدى هذا الأمر إلى اتفاق الطرفين عليه، وأنه سيخسر الثغر الأدنى كما خسر الثغر الأقصى، فوجه إليه أمينًا يمتحن طاعته، ولكن أزراق أظهر له طاعته وذكرله أن هدف هذه المصاهرة هو من أجل استمالة موسى بن موسى إلى الطاعة، وإذا فشلت فى ذلك فإننى ساكون فى جملة من يقاتله فى طاعتك، فلما بلغ الخبر موسى بن موسى حشد جيشه، وهاجم أزراق، لكنه أصيب فى قدمه، ويذكر أنه توفى قبل أن يصل تطيلة (Tudela) سنة (٢٤٨هـ/ ٨٦٢م)[2] ثم صار الأمر بعده إلى ابنه لب بن موسى (Lope)[3].

ثانيًا: كان يستفاد من هذه المصاهرات من أجل زيادة النفوذ، كما هو الحال فى المصاهرة التى تمت بين عثمان بن أبى نسعة[4]، والذى تسميه الروايات النصرانية (منوسه) (Munossa) وبين دوق أكوتين (Acquitoine) أودو (Eudo)، وذلك

---

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢١٢.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١١٧-١١٨. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص ٣١٥-٣١٦. العذرى، ترصيع الأخبار، ص٣٠.

(٣) العذرى، ترصيع الأخبار، ص٣٠.

(٤) منوسه: هو تحريف لاسم عثمان بن أبى نسعة، وأنهما اسمان لشخص واحد، فالروايات النصرانية تذكر بأنه منوسه، فى حين تذكر الروايات الإسلامية أن عثمان بن أبى نسعة، كان زعيمًا عربيًا ينتسب إلى خثعم إحدى البطون العربية العريقة ولى الأندلس (س١١٠هـ/ ٧٢٨م) واستمرت ولايته خمسة أشهر أو ستة، وانصرف إلى القيروان فمات بها. انظر بشأن ذلك؛ المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٣٥، ٢٩٩، ج٣، ص١٨. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٨.

للاستعانة به على تنفيذ مشروعه في الخروج على حكومة الأندلس، وبالتالى الاستقلال بحكم الولايات الشمالية (البرت) (Pirineos) فرحب الدوق بهذا التحالف، وقدم ابنته الحسناء لامبيجيا (Lampegie)، عروسًا لعثمان؛ الأمر الذى أدى إلى تقوية عُرى التحالف بين الدوق والزعيم المسلم، ويبدو أن ابن أبى نسعة أراد أن يصبغ على مشروعه صفة الكتمان، لكن عبد الرحمن الغافقى (١١٢-١١٤هـ/ ٧٣٠-٧٣٢م)، أمير الأندلس يومئذٍ وقف على حقيقة مشروعه، وأرسل لقتاله جيشًا قويًا، وأخذ يطارده فى الجبال، حتى أخذ وقُتل، وأسرت زوجه الأميرة الحسناء لامبيجيا (Lampegie) وأرسلت إلى بلاط دمشق سنة (١١٣هـ/ ٧٣١م)[١] مثلما كانت المصاهرة السابقة تهدف إلى زيادة النفوذ، كان الحال بالنسبة للمصاهرة التى تمت بين برمودو الثانى (Vermudo-II)، ومحمد بن أبى عامر (المنصور)، حين اندلعت الثورة فى ليون (Leon) بين أنصار ردمير الثالث (Redmeer III) وبرمودو الثانى (Vermudo-II)، حيث استولى الأخير على ليون (Leon)، ولم يطل الأمر حتى توفى ردمير الثالث (RedmeerIII)، فهرعت أمه إلى طلب المساعدة من محمد بن أبى عامر (المنصور)وفى الوقت ذاته طلبها برمودو الثانى (Vermudo II) مقدمًا شروطًا أفضل، إذ أنه وفى عام (٣٨١هـ/ ٩٩١م) بعث ابنته (تريسا - Terese) إلى المنصور)[٢]، فقادها إليه أشراف من ليون (Leon)، وفيما هم سائرون فى الطريق إلى قرطبة (Cordoba) أخذوا يوصونها بما يجب أن تفعله، فكان جوابها لهم «الأجدر بكم الاتكال على سواعدكم لا على أفخاذ نسائكم»[٣].

وهناك خبر آخر لمحمد بن أبى عامر نستدل من خلاله أيضًا على تعزيز وتقوية نفوذ، وذلك فى المصاهرة التى تمت بينه وبين أبى تمام غالب الناصرى (٣٧١هـ/

(١) عنان، مواقف حاسمة، ص٤٤. عنان، تراجم إسلامية، ص١٩٩. عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٨٧. الحجى، أندلسيات (المجموعة الأولى)، ص٧٧-٧٨. ذنون طه، دراسات (المجموعة الأولى)، ص٩٢. مؤنس، فجر الأندلس، ص٣١٦-٣١٧. بروفنسال، الحضارة العربية، ص١٠٤. التواتى، مأساة انهيار الوجود العربى، ص ١٤٤-١٤٦.

(٢) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٥٣٠. الحجى، أندلسيات (المجموعة الأولى)، ص٧٩. أحدادن محمد، المرأة فى الأدب الأندلسى فى عصر بنى أمية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلب، حلب، س ١٩٨٧م، ص٣٧، وسيشار إليه فيما بعد: أحدادن، المرأة فى الأدب الأندلسى.

(٣) حايك، صبح البشكنسية، ص١٦٥.

٩٨١م). صاحب مدينة سالم مولى الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م)، للاستعانة به على نكبة الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى(١).

كذلك كانت مصاهرة لب بن عبيد الله بن أمية المعروف بابن الشالية، وعبيد الله هذا كان أبوه من كبار الثوار فى أيام الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م)، ووَالَى عميد المخالفين عمر بن حفصون، وأوصله بالصهر فزوج ابنته من جعفر ولد ابن حفصون، الأمر الذى أدى إلى تقوية نفوذ لب بن عبيد الله(٢).

كذلك نستدل على أهداف سياسية من موقف صاحب برشلونة (Barcelone) شنير ابن غيفريد (shunair - Geifrid)، الذى فسخ زواجه من ابنة صاحب بنبلونة (pamplona) غرسية بن شانجة (Carcia- Sancho) من أجل رضا وطاعة الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م)(٣).

ثالثًا: استخدم المصاهرات من أجل زيادة ولاء وكسب رجال الدولة، كما فى المصاهرة التى تمت ما بين الوزير عيسى بن سعيد، ومحمد بن أبى عامر حين تزوج ابن الوزير عيسى والمكنى بأبى عامر أخت عبد الملك الصغرى من بنات المنصور، فتمت تلك المصاهرة فى سنة (٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م)، وكانت وليمة عظيمة وتناهت بعدُ أمورُ عيسى فى الجلالة، وأخذته الألسنةُ(٤).

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، (ق٤، مج١) س٦٥. ابن سعيد ورفاقه، المُغرب، ج١، ص٢٠١. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٦٧. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨-ق٢) ص ٤٧٨، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٦١، ابن خلدون العبر، ج٤، ص١٤٧. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٤٠٠. حايك، صبح البشكنسية، ص١٣٤. التّواتى، مأساة انهيار الوجود العربى، ص١٨٥-١٨٦؛ نعمى، تاريخ الدولة الأموية. ص٤٣١؛ عنان، تراجم إسلامية، ص٢٠٨.

(٢) الكتانى، أبو عبدالله محمد، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، س١٩٦٦م، ص ٣٢٦-٣٢٧. وسيشار إليه فيما بعد). الكتانى، كتاب التشبيهات. ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص١٠. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٣٠.

(٣) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف، المقتبس، نشر ب . شالميتا وآخرون، المعهد الإسبانى العربى للثقافة، مدريد، س١٩٧٩م، ج٥، ص٤٥٥. وسيشار إليه فيما بعد: ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، (ق١ - مج١)، ص١٢٤.

بعد هذا العرض السريع يتضح أن موضع الأهمية هنا أن هذه الأمثلة السابقة من الزواج المختلط كانت قاصرة على طبقة الملوك والقادة فقط، فما بالنا ببقية أفراد الشعب، ويكفى أن نورد هنا نصًا لصاحب المعجب[1]؛ لنبين مدى انتشار هذه الظاهرة الاجتماعية بين عامة الأندلسيين، وذلك عن قوله: «وملأ محمد بن أبى عامر (المنصور) الأندلس غنائم وسبيًا من بنات الروم وأولادهم ونسائهم، وفى أيامه دَغالَى الناس بالأندلس فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلى والدور؛ وذلك لرخص أثمان بنات الروم، فكان الناس يُرغِّبون فى بناتهم بما يجهزونهن به، ولولا ذلك لم يتزوج أحد.

خامسًا: مبررات اتخاذ الإسبانيات زوجات للمسلمين وأمهات لأولادهم:

أ- إباحة الإسلام اتخاذهن:

إن الله عز وجل لم يأمر المسلم بصرف قلبه عن هوى النساء، بل أمره بنكاح ما طاب له منهن من واحدة إلى أربع لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا ﴾ [النساء: ٣].

ومن الجوارى الإماء ما شاء ذلك؛ لأن بعض الرجال تفوق غريزتهم الاكتفاء بأربع نساء، ولو ظلوا عليهن لشذوا ومارسوا الزنا واللواط؛ لذا أعاذهم الله منهما بالتسرى بصنوف النساء الحسان[2]. بدليل أن عبد الرحمن بن أبى عامر الملقب بشنجول (Shanchol) وهو الاسم الذى غلب عليه من قبل أمه عبده بنت شانجه النصرانى، ذكر أن عدد جواريه سبعون كُن يعشن تحت سقف واحد[3]، كما ذكر عن عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م)، أنه جمع يومًا

---

(١) المراكشى، المعجب، ص ٢٠-٢١. أمين، ظهر الإسلام، ج٣، ص١٢٨. أبو صالح، الجوارى، ص ٤٧.

(٢) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبى بكر، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، س١٩٨٣م، ص١٠. وسيشار إليه فيما بعد: ابن قيم الجوزية، روضة المحبين.

(٣) ابن عذارى، البيان، ج٣، ص٣٨، ٧٢.

الفقهاء في قصره «وكان قد وقع على جارية يحبها في شهر رمضان، ثم ندم أشد الندم، فسألهم عن التوبة والكفارة، فقال يحيى بن يحى الليثي: تُكفّر بصوم شهرين متتابعين. فسكت بقية الفقهاء، ولما انفض المجلس، قالوا: لماذا أفتيت له بصيام شهرين مع أن الدين يسمح له بعتق عبد؟ فقال لهم يحيى: لئلا يعود مرة ثانية إلى فعل ذلك، ولأنه يسهل عليه أن يعتق عبداً كل يوم، لكنه لا يقدر أن يصوم شهرين»(1).

كما سمح الإسلام للرجل المسلم أن يتزوج الحُرة النصرانية واليهودية في مذهب مالك؛ إذ هما من أهل الكتاب(2)؛ لقوله عز وجل ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] ولقد كان من نتائج هذا التساهل أن أقبل أفراد الفتح الإسلامي على اتخاذ فتيات البلاد المفتوحة زوجات وأمهات أولادهم.

٢- جمالهن:

كما يُعزى أحد أسباب اتخاذ المسلمين الإسبانيات زوجات وأمهات أولاد إلى ما في الفتاة الإسبانية نفسها من سمات جمالية(3) لا توجد عند الفتاة العربية، بدليل أن ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)(4) وصف لنا حريمهم وصفًا لطيفًا في وقت متأخر نسبيًا، ولكنه بلا شك ناتج عن أصول تمتد إلى فترة البحث حين قال: «وحريمهم جميل موصوف بالسحر، وتنعم الجسوم، واسترسال الشعور، ونقاء الثغور، وطيب النشر، وخفة الحركات، ونُبل الكلام، وحسن المحاورة، إلا أن الطول يندر فيهن»، لذا نرى الشاب هناك يطمح في الظفر بفتاة تتصف بمثل هذه الصفات؛ لأنه محروم من هذا الضرب من الجمال؛ لأجل هذا نرى طارق بن زياد

(١) المقري، نفح الطيب، ج٢، ص١٠-١١.

(٢) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص١٧.

(٣) ابن أبي زرع، علي الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر والوراقة، الرباط، س١٩٧٥م، ص٤٣. وسيشار إليه فيما بعد: ابن أبي زرع، الأنيس، المطرب.

(٤) الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، ص١٤٥. اللمحة البدرية، ص٤١.

فى الخطبة المنسوبة إليه، يُغرى جنده بفتيات إسبانيا وأنهم إذا حازوا النصر سيظفرون بهن؛ «وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات فى الدرّ، والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات فى قصور الملوك ذوى التيجان»[1].

وما إن تم لهم الفتح حتى أخذ أمراء بنى أمية هناك بالزواج من هؤلاء الشقراوات، فكان كل أبناء السلالة الحاكمة هناك من إنجاب الجوارى، ولا يوجد واحد منهم ابن حرة[2]، ولا غرابة إذا قلنا إن شاعراً من أبناء أمية وهو مروان بن عبدالرحمن المعروف بالطليق (ت ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) قد قصر جُل شعره الغزلى على نساء شقراوات[3]، وكذلك كان الوزير تمام بن عامر قد تزوج من أم الوليد بنت خلف بن رومان النصرانية لجمالها، فقد وُصفت بأنها «بارعة الجمال سباءة للألباب، فرآها تمام فعلقها وهام بها»[4].

٣- علمهن:

مرّ بنا أن أثمان الجوارى كانت ترتفع لاعتبار العلم، لا لاعتبار الحسب والنسب، الأمر الذى ترتب على ذلك اتخاذهن زوجات وأمهات أولاد، كونه ظهر من بينهن الشاعرات، والأديبات، والمغنيات، والمتفقهات، اللواتى يروين الحديث، وخير مثال على ذلك عابدة المدنية، التى عرفت بأنها جارية سوداء من رقيق المدينة تروى عن مالك بن أنس وغيره عشرة آلاف حديث، وعلى الرغم من أنها لا تتصف بصفة الجمال، إلا أن حبيب بن دحون أعجب بعلمها وفهمها، فاتخذها لفراشه، وولدت له بشراً الذى صار هو الآخر مُحدثًا، وذلك أيام الأمير عبد الرحمن الثانى (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م)[5].

---

(١) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٤١.

(٢) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص١٠٤.

(٣) المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص١٩٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٥٨٦. بروفنسال، الحضارة العربية، ص٤٢. مكى، دراسات اندلسية، ص٢٤٢.

(٤) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٧٠. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٨٢، ١٨٣.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٩٦. ابن الابار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، التكملة =

كما ساق لنا ابن حيان[1]، خبراً آخر مفاده أن زوجة الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م)، فينان التى فاقت براعته فى الأدب، والتى وصفت بالسر والجلالة، والصلاح، والعفة، والحصافة، وبُعد الهمة، ولولا ذلك لما اتخذها لفراشه، وهى أول من أحدثت تضميخ نعوش من مات من خلفائهم بالغالية.

= لكتاب الصلة، نشر عزت العطار الحسينى، مكتبة الخانجى، مكتبة المثنى، بغداد، س ١٩٥٦م، ج١ ص٢٢٤، ٢٢٥. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الأبار، التكملة. ابن سعيد ورفاقه، المُغرب، ج١ ص٦٢-٦٣. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص١٣٩-١٤٠. ريبيرا، خوليان، التربية الإسلامية فى الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة الطاهر أحمد مكى، دار المعارف، مصر، د. ت، ص١٦٠. وسيشار إليه فيما بعد: ريبيرا - التربية الإسلامية، مؤنس حسين. شيوخ العصر فى الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، س١٩٨٦م، ص٤٢. وسيشار إليه فيما بعد: مؤنس، شيوخ العصر.

(١) المقتبس، تحقيق مكى، ص ٢١٣-٢١٤.

الفصل الثانى

أثر المرأة والزواج المختلط

فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس

أولا: منزلة المرأة الاجتماعية:

١- منزلة المرأة فى المجتمع الأندلسى.

٢- منزلة المرأة الأندلسية داخل الأسرة.

٣- ملابس وزينة المرأة الأندلسية.

٤- المهن التى زاولتها المرأة.

٥- مشاركة المرأة فى الأعمال الدينية.

ثانيًا: التركيب الاجتماعى للمرأة الأندلسية:

١- نساء القصر المترفات.

٢- نساء العامة.

٣- الجوارى.

ثالثًا: الزواج المختلط وأثره الاجتماعى:

١- ظهور جيل من الأبناء عرف (بالمولدين).

٢- دقة مصطلح (مولد).

رابعًا: النتائج الإيجابية والسلبية للزواج المختلط:

١- الاقتصاد فى نفقات الزواج.

٢- الأثر العمرانى.

٣- تفتيت وحدة الأسرة الحاكمة.

خامسًا: صفات وطبع جيل الأبناء:

١- الصفات الجمالية.

٢- تعصبهم لأبناء جلدتهم

أولا: منزلة المرأة الاجتماعية

١ - منزلة المرأة فى المجتمع الأندلسى:

تمتعت المرأة فى المجتمع الأندلسى بمكانة متميزة، وقسط كبير من الحرية، فأتيح لها أن تكوّن شخصيتها الأندلسية المستقلة، وفرضت احترامها فى البوتقة التى تعيش فيها، مما أدى بالتالى إلى رفض المجتمع لإهانتها أو حتى مسها بحيف(١)، والمرأة الأندلسية كانت محمية بالتشريع الإسلامى ضد تعسف زوجها، فحقوقها محفوظة فى حالة طلاقها(٢).

وتتضح مكانة المرأة الأندلسية من كثرة أعلام النساء اللائى ترجم لهن مصنفو كتب التراجم حيث ذكرت من بينهن الشاعرة، والكاتبة، والعاملة، والفقيهة، والمحدثة، والواعظة، والنحوية، واللغوية(٣).

وكان من حظ المرأة الأندلسية أن علا شأنها الذى قد يعود إلى غياب تعدد الزوجات(٤)، لاسيما عند العامة من الناس فى الوقت الذى كانت عادة تعدد الزوجات شائعة بين الخاصة منهم، وهذا نستقيه من خلال النصوص التاريخية التى هى مدار البحث، فقد ذُكِر عن الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١ - ٨٥٢م)أن عدد أولاده مائة وخمسون من الذكور، وخمسون من

---

(١) ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص١٥. المقرى، أزهار الرياض، ج٤، ص١٢٢.

(٢) انظر حول حقوق المرأة الأندلسية؛ ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص٧-٨. ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مخ)، ص١٠٣-١٠٧. الونشريسى، المعيار المعرب، ج١، ص٢٥٠.
LEVI Provencal, Histoires, Vol lll. p. 402

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص ٩٦. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٤٣، ٤٠١، ٤١٢؛ ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٥٤، ٦٩٣. الضبى، بغية الملتمس، ص٦٠، ٥٤٦. المراكشى، المعجب، ص٢٠٩. ابن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله، التكملة لكتاب الصلة، (مخ)، المكتبة الأزهرية، تحت رقم (٤٥٠/ ٦٧٤٤) أباظة، ص١٤٩-١٥٤. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الأبار، التكملة، (مخ). الأنصارى، الذيل والتكملة (س٨، ق٢) ص٤٧٧، ٤٨١، ٤٨٨، ٤٩٢.

(٤) LEVI Provencal, Ibid. vol lll. p. 402

الإناث[1] نذكر من الذكور على سبيل المثال: الأمير محمد، وأبو العاصى الحكم، وأبو أيوب سليمان، وأبو القاسم المطرف، وأبو الحكم المنذر، وأبو الوليد هشام، وأبو بكر يحيى، وأبو عبدالملك مروان، وأبو سعيد مسلمة، وأبو مروان عبيد الله. ومن الإناث: أسماء وعاتكة، وعائشة الغالب عليها عيشونة، وأم الأصبغ، وأم هشام، وفاطمة الغالب عليها فطيمة، وعبدة، وأمة العزيز، وأم كلثوم، وأم عمرو[2]، فى حين ذكر أن عدد أولاد ابنه محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) مائة ولد من الذكور[3].

ولربما تكون هذه الأرقام مثيرة للشكوك؛ إذ من غير المعقول أن يجيئوا جميعًا من أم واحدة، لكن هذه الشكوك تصبح يقينًا أمام الشواهد التاريخية التى نوثقها، بدليل ما ذكر عن الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى أنه كان كثير الميل للنساء، وأقام علاقات عشق مع الجاريات التالية أسماؤهن فأعتقهن وتزوجهن:

١- طروب[4] ٢- مدثرة ٣- الشفاء[5].

وذكر عن الأمير عبد الله بن محمد، أن عدد زوجاته إحدى عشرة زوجة، أغلبهن يحملن أسماء تعود فى جذورها إلى أصول عربية، وهذه الأسماء هى: دُرّ، وتمام، غزلان، شأن، قريش، فتيان، مَلَك، رُقية، ماجن، شارق، ومَلْحة[6].

---

(١) مؤلف مجهول، ذكر عن بلاد الأندلس، ص١٣٨. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٧. فى حين تذكر المصادر التالية أن عدد أولاده من الذكور والإناث سبعة وثمانون ولدًا، يذكر ابن حيان منهم أربعين ذكرًا، بينما ابن عذارى والنويرى يذكران خمسة وأربعين ذكرًا. انظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٢٢-٢٤. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٨١. النويرى، تاريخ المغرب، ص ١٠٣، بينما تذكر المصادر التالية أيضًا أن عدد أولاده مائة النصف ذكور. انظر: رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٧٨. ابن سعيد ورفاقه، المغرب (برواية ابن حزم)، ج١، ص٤٥. ابن حزم جمهرة أنساب العرب، ص٩٨. الدغلى، الحياة الاجتماعية ص٤٦.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٢٢-٢٤.

(٣) النويرى، تاريخ المغرب، ص١١٠.

(٤) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٤٤؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٠٦. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٤٧.. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٩، ج٣، ص٦١٣.

(٥) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس ص١٤٤. المقرى نفح الطيب، ج١، ص٣٥٠.

(٦) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٥١.

في حين ذكر عن الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر، أنه احتاج لشراء دار بقرطبة لحظية من نسائه[1]، جميع هذه الشواهد تقودنا إلى القول بأن ظاهرة تعدد الزوجات كانت منتشرة بين الحكام والخلفاء في حين غياب ذلك عند العامة، وبهذا الخصوص فقد أورد لنا الفقيه ابن العطار (ت٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م) في وثائقه[2] إشارة إلى أحد عقود النكاح التي تمت في الأندلس، حيث التزم الزوج لزوجته ألا يتزوج عليها، وألا يتسرى معها، وألا يتخذ معها أم ولد، فإن فعل شيئًا من ذلك فأمرها بيدها، وهذا يؤكد على علو مكانة المرأة الأندلسية التي كان لها رأي مسموع، وتستطيع وضع شروط قبل الزواج لكي تضمن لها حياة زوجية مستقرة، ويحتمل أن أهل الفتاة هم الذين وضعوا مثل هذه الشروط من أجل ضمان مستقبل ابنتهم، أو ربما جاءت هذه الشروط نتيجة ما تشكله مسألة وجود الجواري داخل الأسر من تأثير في الحياة الاجتماعية، سيما وأن الجارية إذا أنجبت ولدًا تصبح حرة وتدعى (أم ولد)، وتقاسم الزوجة في الحقوق الزوجية[3].

ونستطيع أن نتلمس مكانة المرأة في الأندلس، من خلال ما تشير إليه المصادر التاريخية، من أشخاص يكنون بأسماء أمهاتهم مثل: ابن آمنة، وابن عائشة، وابن خديجة، وابن سارة، وابن الأندلسية، وابن كوثر، وابن عجب، وابن مريم، وابن فاطمة، وابن هند[4]. ويبدو أن هذه التسميات جاءت نتيجة ما كانت تتمتع به

---

(١) ابن عاصم، جنة الرضا، ج١، ص١٦٤.

(٢) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص٧-٨. ابن سهل، الأحكام الكبرى (مخ)، ص ١٠٠، الونشريسي، المعيار المعرب، ج١، ص ٢٥٠؛ نفس الدراسة، (باب الزواج).

(٣) الخشني، قضاة قرطبة، ص٢٠. الخشني، أخبار الفقهاء، ص ١٨٦-١٨٧. الونشريسي، المعيار المعرب، ج٩، ص ٢١٤. المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٤٧٤.

LEVI Provencal - Histoire, Vol III, P 400

(٤) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص٢٤١-٣٩٥؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٩٦، ٤٠٤. ابن خاقان قلائد العقيان، ج١-٢، ص١٩٦. ابن بسام، الذخيرة (ق٢-مج٣)، ص٨٩٧. ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ١٠٣، ١٠٨. ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص٩. الضبي، بغية الملتمس، ص١٣٠. الشقندي، رسالة في فضل الأندلس، ص٥٤. ابن القطان، أبو محمد حسن بن علي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ط١، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، س١٩٩٠م، ص ٦٥. وسيشار إليه فيما =

بعضهن من نفوذ واسع خوّل لهن تغيير مجرى حدث معين، إذ أصبح اسمها يتردد من جيل إلى آخر، إضافة إلى تسمى البعض بحرفة أمه، مثال ذلك ابن اللبانة[1] أبو بكر محمد بن عيسى*[2].

---

* بعد: ابن القطان، نظم الجمان. ابن الأبار، التكملة، ج١، ص٤٣، ٥٧، ١٦٣، ١٦٦، ٢٢٥، ٣١٧. ابن سعيد، أبو الحسن على بن موسى، رايات المبرزين، وغايات المُميّزين، تحقيق نعمان عبدالمتعال القاضى، لجنة إحياء التراث الإسلامى، مصر، القاهرة، س ١٩٧٣م، ص١١٣، وسيشار إليه فيما بعد، ابن سعيد، رايات المبرِّزين. ابن عذارى، البيان، ج٣، ص٢٠٢، ٣١٤، ج٤ ص ١٧، ٣١، ٣٢، ١٤٩، ١٥٠. الأنصارى، الذيل والتكملة (س١-ق٢)، ص٤٢٢. الأنصارى أبو عبدالله محمد، فهرست الرصاع، ط١، تحقيق محمد العنابى، نشر المكتبة العتيقة، تونس، س١٩٦٧م، ص٩٦. وسيشار إليه فيما بعد، الأنصارى، فهرست الرصاع. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٥٣. ابن الخطيب، الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٤، ص١٠٨، ١٩٠، ٢٧٨، ٢٩٦. الونشريسى، المعيار المعرب، ج٤، ص٤٤. المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص١٤، ٥٣.

(١) ابن خاقان، قلائد العقيان ج١ -٢، ص٥٧، ٩٠، ٩٣، ١٠٢، ١١٢، ٤٩٤، ج٣-٤، ص٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٨٣، ٧٨٥، ٨٠٥. ابن بسام، الذخيرة (ق٣- مج٢)، ص٦٦٦، ٧٠٢، ٧٧١، ٨١٤. الأصفهانى عماد الدين محمد، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب والأندلس، تحقيق آذرتاش آذرنوش، الدار التونسية، س١٩٧١م، ج٢، ص١١٧، وسيشار إليه فيما بعد. الأصفهانى، خريدة القصر. الضبى، بغية الملتمس، ص١٠٩-١١٠. المراكشى، المعجب، ص٧٩، ٨٠. الكتبى، محمد بن شاكر، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، س١٩٧٣م، ج٤، ص٧، وسيشار إليه فيما بعد، الكتبى، فوات الوفيات. الصفدى، صلاح الدين بن أيبك، الوافى بالوفيات، ط٢، تحقيق محمد بن عبيد الله، دار النشر فرانز شتايز، بفسبادن، س ١٩٧٤م، ج٣، ص ٢٩٧. وسيشار إليه فيما بعد، الصفدى، الوافى بالوفيات. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص١٦٩، ٦٦٢، ج٣، ١٩٩، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٦٨، ٣٦٩، ج٤، ص٤٩، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٠٢، ١٥٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٧٤، ٢٧٩، ج٧، ص٣٠، ٤٢.

*(٢) شاعر دولة المعتمد وصاحب المراثى فيه، ومؤلف كتاب سقيط الدرر ولقيط الزهر فى ابن عباد توفى سنة (٥٠٧هـ) بميورقة، انظر ترجمته؛ ابن خاقان، قلائد العقيان، ج ١-٢، ص٥٧، ٩٠. ابن بسام، الذخيرة (ق٣-مج٢)، ص٦٦٦-٧٠٢. الأصفهانى، خريدة القصر، ج٢، ص١١٧. الضبى، بغية الملتمس، ص١٠٩-١١٠. المراكشى، المعجب، ص٧٩. الكتبى، فوات الوفيات، ج٤، ص٧. الصفدى، الوافى بالوفيات، ج٤، ص٢٩٧. المقرى، نفح الطيب، هامش رقم (١)، ج١، ص١٦٩.

كما كـان بعض الأشخاص يكنون بأسـماء بناتهم مثل أبو هند، وابو ميـمونة[1] ولعل السبب فـى هذه التسمـية على الوجه التـالى معقـول حين ينعـدم الذكور فى ذرياتهم، ونستـدل من ذلك على احترام المجتـمع للمرأة، وتقديره لها، كـما أطلق على بعضهن تسميات عديدة مثل اسم الظبية[2]، والحور[3]، والحمامة[4]، ونستطيع أيضًا أن نتلـمس مكانة المرأة الأندلسية مـن خلال اهتمـام الحكام بالمحافظة عليـها، وعلى حقوقـها، ولعل صيانة الحُرم، والمحـافظة عليها كان جـزءًا من كرامة الرجل وكبريائه، وأبرز مثال على ذلك تعفف عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٥-٧٨٨م) على حريم يوسف الفـهرى، وذلك بضم زوجتـه وابنته إلى داره وبات تلك الليلة فى قصره[5]، كما عرف عن عمر بن حفصون (٢٦٧-٣٠٦هـ/ ٨٨٠-٩١٨م) المعروف بفسقه وقسـاوته، أنه كان شديد الغيرة على الحريم مستـبصرًا فى عيونهن، غليظًا على رجاله فى مخالفة أمره، فكان لا جزاء عنده لمن كشف ستر امرأة أو رفع أثوابها عما سترته من خفى حليها أو منفس ذخائرها إلا السيف[6].

وفى عهـد الأمير المنذر بـن محمـد (٢٧٣-٢٧٥هـ/ ٨٨٦-٨٨٨م) كانت المرأة تجىء بالمال والمتاع من بلد إلى آخر لا يعترضها أحد[7]، وحتى عندما يؤسر زوجها أو أبوها، وإن كان من الخارجين على الحكم، كانت لا تتعرض للأذى، بل تصان

---

(١) ابن عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص٣٥٣. ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص٢٣٢، ٢٤٩.

(٢) الضـبى، بغيـة الملتمس، ص٣٢٢. المراكـشى، المعجب، ص١٩. المقـرى، نفح الطيب، ج٣، ص٢٦٢.

(٣) ديوان ابن دراج القـسطلى، ص ٢٢٤. الأنصـارى، أبو عبد الله محمـد، الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة، تحـقيق إحسـان عبـاس، دار الثقافـة، بيروت، د.ت (س٤)، ص١٢٨. ابن الأحمـر، الأمير إسمـاعيل على بن يوسف، نثيـر فرائد الجمان فـى نظم فحول الزمان، تحـقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، س ١٩٦٧م، ص٢٧٣. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان.

(٤) المراكشى، المعجب، ص١٩.

(٥) الخشنى، قـضاة قرطبـة، ص١٤، ١٥. ابن القوطيـة، تاريخ افتتـاح الأندلس، ص٥٣. مؤلف مجـهول، أخبار مـجموعـة ، ص٨٨. مؤنس، فجـر الأندلس، ص٦٨٥-٦٨٦. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص ١٨٤. دوزى، تاريخ مسلمى إسبانيا، ج١، ص٢١٣-٢١٤.

(٦) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١١٤. الونشريسى، المعيار المعرب، ج١٠، ص١١٢.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص١١٤. الونشريسى، المعيار المعرب، ج١٠، ص١١٢.

حرمتـها وتعامَل معامـلة كريمة، وذلك بسدل الستـر عليها ومن معـها من النساء والخدم[1].

هكذا كانت المرأة فى المجـتمع الأندلسى تحظى بمكانة مرمـوقة وبقدر كبير من الاحترام الذى مكَّنها من المحافظة والمطالبة بحقوقها، وقد صوَّر لنا النويرى مجلسًا ألطف تصوير وأعذبه، حـيث ناقضت فيه امرأة فى عهـد الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) حين قال:[2] إن امرأة «منقطعـة كانت لها أريضـة تجاور بعض قصور الأمير، فاحـتاج إليها ليبتنى فيها شيئًـا مما أراد بناءه، فساومها الوكيل فى البيع، فامتنعت، فـأخذها الوكيل قهرًا، وبنى فيهـا قنطرة بديعة، وأنفق عليها جملة وافرة، فوقـفت المرأة لابن بشير القاضى*[3] وقصت عليه قصـتها، فركب حماره وجـعل عليه خُرجًا كبيـرًا، لا يطيق حمله إلا جماعة من الرجـال، وقصد الزهراء والمستنصر فى تلك المنظرة، فدخل عليه، فـقال: ما جاء بالقاضى فى هذا الوقت؟ قـال: أريد ملء هذا الخُـرج من تراب هذا الموضع، فـعجب الحكم وأمـر فمُـلىء الخُرج، ثم خـلا القاضى به، فـقال: أدل عليك إدلال العلمـاء على الملوك الحلماء أن لا ينـقل هذا الخرج على الحمـار إلا أنا وأنت. فضـحك الحكم، وقال: كيف تطيق ذلك أيهـا القاضى؟ فبكى ابن بشيـر، وقال: فكيف تطيق أن نطوق هذا المكان أجمـعه؟! وقص عليه القـضية، فـبكى الحكم، وقال: وعظتَ فـأبلغت أيها القاضى، ثم خرج عن المكان وسلمه إلى المرأة بكل ما بُنى فيه من غرسٍ وأشجار».

وبإمعان النظر فـيما أورده النويرى يتضح لنا أنه كان للمرأة حـرية التقاضى فى مجلس القاضى حتى لو كان خصمها من المقرَّبين لدى الأمير[4]، فحقوقها محفوظة

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجى، ص ١٤٤.

(٢) النويرى، تاريخ المغرب، ص١١٩.

*(٣) ربما يرجع بنسبه إلى سعـيد بن قاضى الجماعة بقرطبـة محمد بن بشير بن شراحـبيل المعافرى، أصلهم من مدينة باجة وكان سعـيد هذا رجلاً صـالحًا عاقلاً سمع من يحيى بن يحـيى، استقضاه الأميـر عبد الرحمن بـعد والده الحكم، وتوفى سنة (٢١٠هـ/ ٨٢٥م). انظر؛ الخشنى، قـضاة قرطبة، ص٣٧، ٣٨. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٤١، ٧٨.

(٤) النباهى، أبو الحسن بن عبد الله، تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، المكتب التجارى، بيروت، لبنان، د. ت، ص٥٧-٥٨. وسيشار إليه فيما بعد، النباهى تاريخ قضاة الأندلس.

فى دار القضاء، ويجب على القاضى مراعاتها والعمل بها، وعلى القاضى أن «ينظر فيهن ويقدم أمرهن؛ فإنهن فيما يحتجن إليه من أمورهن عورات، ولا يشتغل فيقعدهن لينظر الناس إليهن»(١).

وعرفت المرأة فى الأندلس بالتقوى وأداء فرائض الصلاة فى الجوامع بدليل ما بين أيدينا من إشارات تدلل على وجود أماكن لصلاة النساء؛ فقد بنى الأمير هشام ابن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ/ ٧٨٨-٧٩٦م)، فى نهاية المسجد الجامع بقرطبة: سقائف لصلاة النساء(٢)، ثم تسوق لنا المصادر التاريخية زيادةً وتوسعًا آخر لهذا الجامع أمر به عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م)، حيث زاد بهوين؛ بهواً من جهة الشرق، وبهواً من جهة الغرب، وأوصلها بسقيفتين، ثم أوصلها بالسقائف التى كانت معدة بجوف المسجد الأقدم لصلاة النساء، وعقد كل سقيفة منها على تسع عشرة سارية(٣)، كما أنه استوسع بهنَّ ثلاثين مكانًا مصلى للنساء إذا حضرن المسجد الجامع(٤)، هذه الزيادة والتوسع تدل دلالة قاطعة على كثرة توافد النساء على الجوامع لاسيما جامع قرطبة.

٢- منزلة المرأة الأندلسية داخل الأسرة:

مثلما كانت العائلة فى المشرق ذات طبيعة أبوية، كان الحال فى الأندلس، فالأب هو المسئول الأول عن رعاية أفراد عائلته وتوفير الحاجات الضرورية لها، وإذا قصَّر فى حق أسرته كان يتعرض لنقد الناس(٥) كذلك كان للمرأة داخل العائلة عظيم

---

(١) ابن عبدون، رسالة فى القضاء والحسبة، ص١٢-١٣.

(٢) مؤلِّف مجهول، وصف جديد لقرطبة، ص١٧٣. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٣٠. المقرى، نفح الطيب، ج١ ص٥٥٠. محمود، المسلمون فى الأندلس، ص٨٠. سالم، السيد عبد العزيز، أضواء على مشكلة تاريخ بنيان المسجد الجامع بقرطبة، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، س ١٩٧٠م، مج ١٥، ص ٧٣. وسيشار إليه فيما بعد: سالم، أضواء على مشكلة تاريخ بنيان المسجد.

(٣) مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة، ص١٧٣-١٧٤. ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجى، ص٢٤٦. العذرى، ترصيع الأخبار، ص١٢٣-١٢٤. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٣٨٧.

(٤) المصدر نفسه، ص١٧٤. ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجى، ص٢٤٦.

(٥) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٥٤٩.

الأهميـة؛ لأن دورها كان يتـمثل فى إنجـاب وتربية الأطفـال، ولعل أبلغ وصف للمرأة فى هذا المجال ما ذكره المقرى[1] عند حديثه عن الحـرم، حيث قال: «وأما الحُرم فهن مغارس الولد ورياحين الخلد، وراحة القلب الذى أجهدته الأفكار».

وكانت المرأة داخل الأسرة تعين الزوج فى الحصول على قوت العائلة اليومى[2] ولدينا من المبررات مـا يدفعنا إلى الاعتـقاد بذلك؛ فقـد ذكر خبر نسـاء كن يقمن بنسج النسيج فى كسر البيت[3]، وأخريات يقمن بعملية الرضاع مقابل الأجر[4]، كما ذكر خبـر امرأة عاملة مجدة أخذت على عاتقـها إعالة أولادها ببيع اللبن[5]، وقد ذكر خبـر نساء بادية إشبيلية أنهن مارسن حرفـة بيع اللبن، وذلك بوضعه فى أوعية خاصة تعـرف بالقِرَب ليتم تسويقه[6]، بالإضافة إلى قيامـها برعاية أطفالها الصغار فى حال افتراق زوجـها عنها سواء كان بالموت أو بالطلاق[7]، ولم تقتصر مهمـة الأم على رعاية الأطفال داخل المنزل الذى تعيش به، بل نرى رعـايتها لهم تعدَّت ذلك، فقد ساقت لنا المصادر التاريخية الكثير من الإشارات بهذا الخصوص، منها ما ذكر عن امرأة منقطعة الرجاء فى عـودة ابن لها كان قد أُسِر فى يد الإسبان أنها ذهبت إلى بقى بن مخلد (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)*[8] المعروف بالتقوى والزهد،

(١) المقرى، نفح الطيب، ج٦، ص٤٣٩. خالص، إشبيلية فى القرن الخامس، ص٩١.

(٢) نفس المصدر، ج٣، ص٣٣٩.

(٣) الخشنى، قضاة قرطبة، ص٢٥. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٥٩.

(٤) الونشريسى، المعيار المعرب، ج٨، ص٢٨٤.

(٥) ابن بسام، الذخيرة، (ق٣-مج٢)، ص٦٦٧. ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٤٠٩. خالص، إشبيلية فى القرن الخامس، ص٩١.

(٦) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٤٤٠.

(٧) ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مخ)، ص١٠٣. الونشريسى، المعيار المعرب، ج٤، ص٢٣، ٤٤.

*(٨) بقى بن مخلد أبو عبدالرحمن: هو من الحفاظ المُحدثين وأئمة الدين الزهاد الصالحين، رحل إلى المشرق، فروى عن الأئمة، وبالغ فى جمع الروايات، ورجع إلى الأندلس فملأها علمًا جمًا، وألف كتبًا حسانًا تدل على احتفاله واستكثاره (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م). انظر ترجمته؛ الخشنى، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص ٤٩-٦٢؛ رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، هامش رقم (٤) ص١٩٢-١٩٣. الحميدى، جذوة المقتبس، ص١٧٨-١٧٩. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص٤٠٧. ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص١١٦-١١٧. الضبى، بغية الملتمس، ص٢٤٦-٢٤٧. ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم الأدباء، دار المشرق، بيروت، لبنان، د. ت =

«تطلب مساعدته فى فك أسر ولدها لأنها فقيرة الحال، ولا نوم لها ولا قرار، فما أن قصّت عليه قصة أسر ولدها، حتى أطرق الشيخ وحرك شفتيه قائلاً: انصرفى فسيطلق ابنك إن شاء الله تعالى»[1].

وذكرت المصادر التاريخية خبراً آخر مفاده أنّ «امرأة رفعت رقعة استعطاف إلى محمد بن أبى عامر (المنصور) من أجل فك ولدها المسجون الذى ضاق ابن أبى عامر عليه حنقًا لجرم استعظمه منه فلما قرأها اشتد غضبه، وقال: ذكرتنى والله به، وأخذ القلم يُوقِّع، وأراد أن يكتب (يُصلب) فكتب يطلق، ورمى الكتاب إلى الوزير». . وفى قصه تطول يقع محمد بن أبى عامر فى الخطأ ثلاث مرات، وأخيراً قال: «نعم يُطلق على رغمى فمن أراد الله إطلاقه لا أقر على منعه»[2].

وبإمعان النظر فى تفاصيل كلتا الروايتين نجد أنهما تحملان طابعًا خيالياً، وأسطورياً، إلاَّ أنهما يعكسان فى مضمونهما صورة المرأة التى لا تنام الليل من شدة شوقها لولدها، مشغولة على ابنها حتى أنها كانت تقصد الشفاعة من أجل تخليص ولدها من ضائقته؛ لهذا استطاعت المرأة الأندلسية أن تحرز منزلة اجتماعية رفيعة لدورها الفعال فى المجتمع.

٣- ملابس وزينة المرأة الأندلسية:

معظم المعلومات عن الملابس وزينة النساء تكاد تكون ضئيلة، ومع ذلك فقد وردت إشارات مقتضبة هنا وهناك نستطيع أن نستدل من خلالها على ملابس وزينة المرأة الأندلسية. وأول هذه الإشارات:

= ج٧، ص٧٥-٧٦. وسيشار إليه فيما بعد: الحموى، معجم الأدباء. الزركلى خير الدين، الأعلام، ط٦ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، س١٩٨٤م، ج١، ص٢٧١، وسيشار إليه فيما بعد: الزركلى، الأعلام. راضى على محمد، الأندلس والناصر، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، س١٩٦٢م، ص١٨. وسيشار إليه فيما بعد بـ: راضى، الأندلس والناصر.

(١) الحميدى، جذوة المقتبس، ص١٧٨-١٧٩. ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص١١٨-١١٩. الضبى، بغية الملتمس، ص٢٤٦-٢٤٧. ياقوت، معجم الأدباء، ج٧، ص٨٤-٨٥. ابن عاصم، جنة الرضا، ج١، ص ٢٢٧-٢٢٨. المقرى، نفح الطيب، ج٢، ص٥١٩-٥٢٠.

(٢) الحميدى، جذوة المقتبس، ص١٢٦-١٢٧. الضبى، بغية الملتمس، ص١٨٢-١٨٣. ابن الأبار، أعتاب الكتّاب، ص١٩٢-١٩٣.

ما ورد عن عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م) فقد ذكر صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس[١]، أن الناس اتخذوا فى أيامه الثياب المطرزة كما أخبر عن إنشائه داراً للطراز[٢] وُصِفت بأنها حديث الرفاق وطرفة أهل الآفاق[٣]، ثم أخذت هذه الصناعة تتطور تدريجياً حتى أصبحت فى أيام عبد الرحمن الناصر الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) مضرب الأمثال، فاتخذ داراً للطراز على باب قصره؛ لنسج ما يحتاج إليه من الخلع الكسى وملابس الحُرم، وغير ذلك، فقد كانت فى عهده مدينة تضم آلاف الخلق[٤]، ومن المدن التى ازدهرت بصناعة الملابس مدينة المرية (Almeria)*[٥] كان بها من طرز الحرير ثمانمائة طراز تعمل بها الحلل، والديباج، والجرجانى، والستور المكللة، والثياب المعينة، والعتابى، والمعاجر*[٦] وصنوف أنواع الحرير[٧].

---

(١) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٤٠. السيوطى، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، ط١، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار العلوم الحديثة، بيروت، لبنان، د. ت، ص٥٢٢. وسيشار إليه فيما بعد بـ: السيوطى، تاريخ الخلفاء.

(٢) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٩١. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٠.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٠.

(٤) نفس المصدر، ص٤٠. سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، ص٢١٦.

*(٥) المرية: تعرف بمدينة الإسلام، تقع جنوب الأندلس بين مملكتى إشبيلية وغرناطة على بحر الزقاق، انظر تفصيلات ذلك؛ مؤلف مجهول، عجائب البلدان والجبال والأحجار وغير ذلك (مخ)، محفوظ لدى مكتبة الدراسات العليا - جامعة بغداد، تحت رقم ١٤٥٠/ ١٤ د.ت. ص ٤١-٤٢، وسيشار إليه فيما بعد. مؤلف مجهول، عجائب البلدان. القلقشندى، أحمد بن على، صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه نبيل خالد الخطيب، دار الفكر، د. ت. ج٥، ص٢١٢. وسيشار إليه فيما بعد بـ: القلقشندى، صبح الأعشى. الحميرى، محمد عبد المنعم، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، د. ت. ص٥٣٨. وسيشار إليه فيما بعد بـ: الحميرى، الروض المعطار. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص١٦٢.

*(٦) المعاجر: لفظ مشتق من كلمة (معجر)، نوع من الألبسة تَلُفُّه المرأة على استدارة رأسها، انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة عجر، مج٤، ص٥٤٢- ٥٤٤.

(٧) مؤلف مجهول، عجائب البلدان (مخ)، ص٤١ - ٤٢. الحميرى، الروض المعطار، ص٥٣٨.

وقد أشار ابن حوقل إلى شهرة قرطبة (Cordoba) على زمن الناصر فى صناعة جيّد الثياب والكسى من ليّن الكتان، وجيّد الخز والقز[1].

ومن عجائب مدينة شنترين (Santaren)[2]، أن دابّة تخرج من البحر تحتك بحجارة ساحله، فيسقط منها وبرها على لون الذهب ولين الخزّ، وهى قليلة عزيزة جداً، فيجمعها الناس وينسج منها الثياب، وتزيد قيمة الثوب على ألف دينار لحسنه وعزّته[3].

أما بالنسبة للألبسة الشائعة عند نساء أهل الأندلس فمنها: المقنع العراقى، الذى كان يحتاج إلى ثوب من جنسه ورداء من جنسه[4].

كذلك البرنس الذى كان لبسه شائعًا بين الجوارى بشكل خاص[5]، ولربما تكون هذه الكسوة الجديدة قد دخلت الأندلس من المشرق عن طريق الجوارى والمغنيات اللواتى جُلبن إلى الأندلس[6]، وخصوصًا بعد دخول زرياب سنة (٢٠٦ هـ/ ٨٢١م)، وابنتيه علية وحمدونة، وجاريته متعة[7]، كذلك كان شائعًا فى هذا

---

(١) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبى، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ص ١٠٨. وسيشار إليه فيما بعد بـ: ابن حوقل، صورة الأرض.

(٢) شنترين: مدينة بالأندلس تقع بالقرب من مدينة باجة على ساحل البحر، انظر: الحميرى، الروض المعطار، ص ٣٤٦. القزوينى، زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د. ت، ص ٥٤٢. وسيشار إليه فيما بعد بـ: القزوينى، آثار البلاد.

(٣) القزوينى، آثار البلاد، ص ٥٤٢.

(٤) الخشنى، قضاة قرطبة، ص ٩٦.

(٥) ابن عذارى، البيان، ج ٣، ص ٤٠. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٩٠. المقرى، نفح الطيب، ج ١، ص ٥٩١.

(٦) المقرى، نفح الطيب، (برواية الأرقمى)، ج ٣، ص ١٤٠ - ١٤٢؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، المختصر فى أخبار البشر، ط ١، المطبعة الحسينية المصرية، س ١٩٠٧م، ج ٢، ص ١٠٠ - ١٠١. وسيشار إليه فيما بعد بـ: أبو الفداء، المختصر. ابن الوردى، الشيخ زين الدين عمر، تتمة المختصر فى أخبار البشر، ط ١، تحقيق أحمد رفعت البدراوى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، س ١٩٧٠م، ج ١، ص ٤٢٧ - ٤٢٨. وسيشار إليه فيما بعد بـ: ابن الوردى، تتمة المختصر.

(٧) المقرى، نفح الطيب، ج ٣، ص ١٣١.

الوسط النسوى وضع اللثام، ولبس الإزار[1] ويبدو أن لبس البياض كان عادتهم فى الحزن على موتاهم، مخالفين بذلك أهل المشرق الذين كانوا يلبسون فيه السواد، وفى هذا قال بعضهم شعراً:

لبستم فى مآتمكم بياضًا ... فجئتم منهُ فى زىٍّ غريبِ
صدقتم فالبياضُ لباسُ حزنٍ ... ولا حُزْنٌ أشدُّ من المَشيبِ[2]

ويبدو أنهم خالفوا الشرقيين فى أمور كثيرة؛ فتحرروا من لباس الرأس، ومشوا فى الطرقات حاسرين، فالغالب عليهم ترك العمائم، ولا سيما فى شرق الأندلس، أما أهل غربها لا تكاد ترى منها قاضيًا ولا فقيهًا إلاَّ وهو بعمامة، وأما الأجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه بعمّة فى شرق أو غرب الأندلس[3].

وكثيراً ما تزيًّا سلاطينهم، وأجنادهم بزى النصارى المجاورين لهم، وأكثر أعوانهم من يمشى دون طيلسان، إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم إلاَّ الأشياخ المعظَّمون، وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حُمراً وخُضراً، والصُّفر مخصصة باليهود، ولا سبيل لليهودى أن يتعمم البتة، وإن رأوا فى رأس مشرقى داخل بلادهم شكلاً منها أظهروا التعجب والاستظراف؛ لأنهم لم يعتادوا على هذا، وكذلك تفصيل الثياب[4].

وجعلوا للشهود العدول القلانس والرداء، ومن محاسنهم أنهم أشد الناس اعتناءً بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك ممّا يتعلق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوت يومه فيطويه صائمًا، يبتاع صابونًا يغسل به ثيابه[5].

---

(١) البكرى، جغرافية الأندلس، ص ١٧٥ - ١٧٦. ابن بسام، الذخيرة، (ق ٤ - مج ١)، ص٣١٥.
(٢) ابن الساعى، تاج الدين أبى طالب بن أنجب، نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق مصطفى جواد، دار المعارف، مصر، د. ت، ص ٩٧. وسيشار إليه فيما بعد بـ: ابن الساعى، نساء الخلفاء. المقرى، نفح الطيب، ج ٣، ص ٤٤٠ - ٤٤١.
(٣) المقرى، نفح الطيب، ج ١، ص ٢٢٢.
(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٣.
(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٣.

والملاحظة الجديرة بالذكر، أن ملابس أهل الذمة سواء من نصارى أم يهود، كانت تختلف عن زى المسلمين؛ لأنهم كانوا يلبسون زناراً مميزاً لملابسهم، وهذا يظهر من إشارة ابن عبدون حين قال: «إنه يجب أن تكون لهم علامة يُعرفون بها على سبيل الخزى لهم»[(١)]. ويؤيد ذلك الجرسيفى حين قال: «بأن يمنع أهل الذمة من التزيى بما هو من زىّ المسلمين، أو بما فيه أبّهة، ويُنصب عليهم عَلَمًا يمتازون به من المسلمين؛ كالشكلة فى حق الرجال، والجُلجُل فى حقّ النساء»[(٢)].

أما عن الحُلى فهى تعتبر من مظاهر الأبهة والبذخ عند نساء أهل الأندلس، ويكفى دليلاً على ذلك، ما استجلب إلى الأندلس من روائع الحُلى، ونفيس الجوهر، وما كانت تحتويه قصور بغداد فى أعقاب مقتل الأمين سنة (١٩٨هـ/ ٨١٣م)[(٣)]. مثل عقد الشفاء[(٤)]، وأعلاق زبيدة بنت جعفر زوجة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ/ ٧٨٦ - ٨٠٨م)[(٥)]، ويذكر عن الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦ - ٢٣٨هـ/ ٨٢١ - ٨٥٢م)، أنه كان شديد الهوى إلى النساء كثير الإعجاب بهن، قيل إنه عشق طروب فكلف بها كلفًا شديداً، وأعطاها عقداً شراؤه عليه عشرة آلاف دينار، فجعل بعض من حضر من وزرائه يُعظم ذلك[(٦)].

---

(١) ابن عبدون، رسالة فى القضاء والحسبة، ص ٥١. البكرى، جغرافية الأندلس، ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) الجرسيفى، رسالة فى الحسبة، ص ١٢٢.

(٣) السيوطى، تاريخ الخلفاء ص ٣٠٣.

(٤) هذا العقد من ضمن ممتلكات الأميرة العراقية زبيدة زوجة هارون الرشيد، ويعرف بعقد الشّبا أى الملتف مثل الثعبان، وقد سُرق ضمن الأشياء الثمينة التى نهبت فى بغداد إبان الفتنة والحروب التى قامت بين الأمين والمأمون (١٩٥ - ١٩٨هـ/ ٨١٠ - ٨١٣م). انظر، العبادى فى تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٥) ابن سعيد ورفاقه، المُغرب، ج ١، ص ٤٦. ابن عذارى، البيان، ج ٢، ص ٩١. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٠. سالم، السيد عبد العزيز، فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، س ١٩٨٥م، ص ٣٦١. وسيشار إليه فيما بعد بـ: سالم، فى تاريخ وحضارة الإسلام.

(٦) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٣٦. ابن عذارى، البيان، ج ٢، ص ٩٢.

فى حين ذكر أن قيمته مائة ألف دينار، وهذا الرقم مبالغ فيه، والأقرب إلى الصواب ما جاء سابقًا[١]. هذا ولم تقتصر عادة التزين بالحُلى على نساء الخلفاء، بل نجد إشارات نستدل من خلالها على تزين الجوارى أيضًا بالحُلى، فقد ذكر عن جارية الأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢ - ١٨٠هـ/ ٧٨٨ - ٧٩٦م) أنها كانت ترتدى عقدًا ثمنه ثلاثة الآف دينار[٢] كما كانت جارية الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ/ ٩١٢ - ٩٦١م) ترتدى عقدًا فاخر الجرم حصْباء ياقوت، وزبرجد يترقرق كالجمر[٣].

لهذا كُن مضرب المثل فى الحسن والجمال[٤] ويعزى ذلك إلى أن المرأة الأندلسية كانت تسابق أختها فى اتخاذ الحُلى كزينة، فقد وصف لنا ابن الخطيب[٥] فى وقت متأخر زينتها وصفًا جميلاً حين قال: «قد بلغت من التفنن فى الزينة لهذا العهد، والمظاهرة بين المصبغات، والتنافس فى الذَّهبيات، والدِّيباجيّات، والتَّماجُن فى أشكال الحُلى إلى غاية بعيدة» وزاد قائلاً: «إن حُليهن القلائد، والدمالج، والخلاخيل، والشنوف، التى هى من الذهب الخالص؛ لهذا غلب على زيهن الأناقة، والبذخ والتفنن فى الزينة وأشكال الحُلى».

٤ - المهن التى زاولتها المرأة:

غنيت المصادر التاريخية بالكثير من الإشارات التى نستدل من خلالها على المهن التى زاولتها المرأة الأندلسية، وقد جاءت هذه الإشارات على شكل نتف مبعثرة هنا وهناك حتى خلصنا إلى القول بأنه كان من بينهن الطبَّاخة، والخبَّازة، والرقَّامة[٦]، واللّبانة[٧]،

---

(١) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٤١. المقرى، نفح الطيب، ج ١، ص ٣٤٩.
(٢) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٢٣. ابن عذارى، البيان، ج ٢، ص ٦٧. المقرى، نفح الطيب، ج ١، ص ٣٣٦. الشعراوى، الأمويون أمراء الأندلس، ص ١٩٨ - ١٩٩.
(٣) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج ٥، ص ٣٨ - ٣٩.
(٤) ابن الأحمر، نثر فرائد الجمان، ص ٤٢.
(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٤٤ - ١٤٥. ابن الخطيب، اللّمحة البدرية، ص ٢٩.
(٦) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص ٥٦.
(٧) ابن بسام، الذخيرة (ق ٣ - مج ٢)، ص ٦٦٧. ابن سعيد ورفاقه، المُغرب، ج ٢، ص ٤٠٩. المقرى، نفح الطيب، ج ١، ص ٤٤٠.

والطبيبة، والحجّامة، والسَّراقة[١]، والدَّلالة[٢]، والماشطة[٣]، والنائحة[٤] والمغنية والكاهنة، والمعلمة، والمستخدمة، والصناع فى المغزل والنسيج[٥]. وذكر عن نساء كُن يقمن بنسج النسيج فى كِسْر[٦] البيت[٧] فما أن تنتهى عملية النسيج حتى تأتى عملية التبييض، فعند شراء المرأة رماد الحطب، كانت تقوم بحله فى الماء وتجعل غزلها فيه، وبه تستطيع معرفة جودة الرماد من عدمه، وقد صوَّر لنا ابن عمر[٨] رماداً عديم الجودة: «أن امرأة اشترت رماداً، فقال لها البائع: جيد، فجعلت فيه غزلها فخرج لها كيف جعلته، ولم يُبَيِّض» فما أن تنتهى عملية التبييض حتى تأتى عملية تسويقه، وذكر عن محمد بن أبى عامر (المنصور) أنه قال: «أنا ابن امرأة من تميم طالما تقوَّتت من غزلها، أغدو به إلى السوق»[٩].

---

(١) السَّراقة: جاء هذا اللفظ بمعنى بائعة الحرير؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (سرق)، مج ١، ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٢) الدلالة: جاء هذا اللفظ بمعنى المرأة التى تدلل على بضاعةٍ ما فى السوق، ليقبل الناس إليها؛ ابن منظور لسان العرب، مادة (دلل)، مج ١١، ص ٢٤٧ - ٢٥٠.

(٣) الماشطة: أطلق هذا اللفظ على المرأة التى تقوم بتمشيط العروس وتزويقها ليلة زفافها؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (مشط)، مج ٧، ص ٤٠٢ - ٤٠٣.

(٤) النائحة: لفظ يقع على النساء اللواتى يجتمعن للمناحة، على أمر جلل؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (نوح)، مج ٢، ص ٦٢٧ - ٦٢٨.

(٥) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج ١، ص ١٤٢، ١٦٦. بهجت، أعلام نساء الأندلس، ع ١، مج ١٩، ص ١٠١. حسين، حازم غانم، الحياة العلمية والثقافية فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الموصل، الموصل، س ١٩٧٥م، ص ٥٦. وسيشار إليه فيما بعد. حسين، الحياة العلمية.

(٦) كِسْر: لفظ وقع على أسفل شُقَّة البيت التى تلى الأرض، من حيث يكسر جانباه عن يمينك ويسارك، ولكل بيت كسران، انظر؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (كسْر)، مج ٥، ص ١٤٠ - ١٤١.

(٧) مؤلف مجهول، بيوتات فاس أو ذكر بعض مشاهير أعيان فاس، تحقيق وتقديم عبد القادر زمامه، السنة الأولى (ع ١/٣)، مجلة البحث العلمى، الرباط، س ١٩٦٤م، ص ٥٦. وسيشار إليه فيما بعد بـ: مؤلف مجهول، بيوتات فاس. الخشنى، قضاة قرطبة، ص ٢٥. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص ٥٩.

(٨) أحكام السوق، ص ١٣٧. الونشريسى، المعيار المعرب، ج ٦، ص ٣٥٨.

(٩) ابن حيان، المقتبس، مقدمة المحقق مكى، ص ١٥. ابن الأبار، إعتاب الكتَّاب، ص ١٩٨.

ويبدو أن عادة البيع والشراء كانت تتم عند أهل الأندلس بواسطة عجائز[١] أو وسطاء مشهود لهم بالتقوى والأمانة، والفضل فى مخالطة النساء والكلام معهن، والأخذ منهن، والإعطاء لهنَّ فى موضع يجتمعن فيه لبيع غزلهن[٢]. ويشير ليفى بروفنسال[٣] إلى نساء زاولن مهنة الخدمة فى بيوت المترفين، ذاكراً الأعمال الواجبة على الخادمة القيام بها داخل بيت سيدها منها على سبيل المثال؛ عجن الطحين وإعداد وجبات الطعام وإحضارها، والكنس، وترتيب الفراش، وإحضار الماء لغسل الغسيل، والغزل، وحياكة الصوف، وترتيب الأبناء، وأجورها مثبتة على السنة، عدا أكلها وملبسها، ومسكنها، كما تشير المصادر إلى نساء زاولن مهنة الطب[٤]، وأخريات قابلات زاولن عملية التوليد[٥]. تشير أيضًا إلى امرأة احترفت مهنة البيع، وذكر أن امرأة عطارة قدمت إلى الأندلس، فسخرجت بخمسمائة رأس من السبى، وأن ما خرجت به من الذهب، والفضة، والجوهر، والآنية لا يحصى عدده ولا يحاط علمه[٦]. كما عملت المرأة مرضعة، وكانت تذهب بانتظام إلى بيت أهل الطفل، مقابل أن يقوم والد الطفل بدفع مرتب شهرى لها[٧]. كما نجد إشارات لنساء احترفن صناعة الغناء[٨] وهذا ما أخبر عنه صاحب كتاب ترصيع

---

(١) المقرى، نفح الطيب، ج ٣، ص ٣٤٠.

(٢) ابن عبد الرءوف، رسالة فى آداب الحسبة، ص ٨٥.

(٣) LEVI - Provencal, Histoire, Vol. 1, 111, p. 404,

(٤) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج ١، ص ١٤٢، ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مخ)، ص ١٦١.

(٥) LEVI - Provencal, Histoire, Vol. 1, 111, p. 404,

(٦) ابن حبيب عبد الملك، استفتاح الأندلس، تحقيق محمود على مكى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، س ١٩٥٧م، (مج ٥) (ع ١ - ٢)، ص ٢٢٨. وسيشار إليه فيما بعد بـ: ابن حبيب، استفتاح الأندلس. ابن قتيبة، قصة فتح الأندلس، ص ١٤٧. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص ١٨.

(٧) LEVI - Provencal, Histoire, Vol. 1, 111, p. 404- 405,

(٨) الحميدى، جذوة المقتبس، ص ٧١ - ٧٢. ابن خاقان، مطمح الأنفس ص ٢٦١. أبو الفداء، المختصر، ج ٢، ص ١٠٠ - ١٠١. ابن الوردى تتمة المختصر، ج ١، ص ٤٢٧ - ٤٢٨. الونشريسى، المعيار المعرب، ج ٥، ص ١٨٨. المكناسى، محمد بن عثمان، الإكسير فى فكاك الأسير، تحقيق محمد الفاسى، نشر المركز الجامعى للبحث العلمى، المغرب، د. ت، ص ٥٢. وسيشار إليه فيما بعد بـ: المكناسى، الإكسير

الأخبار[1]. أن مغنية في بلنسية بلغت أكثر من ألف مثقال طيّبة، وأما دون الألف فكثيرات. وأخريات زاولن مسئولية سجن النساء، وهذا نستقيه من حديث ابن عبدون حين قال:[2] «إنه يجب أن يسجن القاضي من وجب عليها السجن من النساء في حكم من الحكومات عند امرأة قابلة خيِّرة، قد عرف القاضي فضلها، إلى أن تنطلق، ويجعل لها القاضي أجرة على ذلك من بيت مال المسلمين». كما مارست المرأة بعض المهن في الاحتفالات كالأعراس مثل الماشطة، وضاربة الدف والكَبَر[3]. خلاصة القول: إن المرأة الأندلسية زاولت شتى المهن، وإن كانت معظم هذه المهن لخدمة النساء أنفسهن، لكن الأمر الذي يثير الإعجاب بأنك نادراً ما تجد امرأة في الأندلس دون عمل، وذلك خوفًا من أن تتعرض لنقد الناس وتكون مدار حديث الرجال في مجالسهم، وهذا ما أخبر عنه ابن حزم[4] بقوله: «إنهم كانوا يقولون فيها أنها تتشوق للرجال وتحنُّ إلى النكاح»، ثم تزداد الصورة طرافة حين نسمع أن أهل الأندلس لم يكن من بينهم من هو فقير، وأنهم تحرروا من بعض المفاسد الاجتماعية كالتسول، وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدورة[5]، التي تُكسلُ عن الكد، وتحوج الوجوه للطلب في الأسواق فمستقبحة عندهم إلى النهاية، وإذا رأوا شخصًا صحيحًا قادراً على الخدمة يَطلب، سبّوه، وأهانوه فضلاً عن أن يتصدقوا عليه، فلا تجد بالأندلس سائلاً إلا أن يكون ذا عذر[6]؛ ذلك لأنهم أهل احتياط وتدبير في المعاش، وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال[7].

٥ - مشاركة المرأة في الأعمال الدينية:

كان للمرأة الأندلسية حضور متقدم في ميادين النشاط الديني والاجتماعي، وبرزت في العمل الخيري أسماء كثير من النساء اللواتي أثبتن وجود المرأة وكذّبن ما

(١) العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٨.
(٢) ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص ١٩.
(٣) ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مخ)، ص ٨٤.
(٤) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج ١، ص ١٦٦.
(٥) الدورة - تعني الشحذة؛ المقري، نفح الطيب، هامش رقم (١)، ج ١، ص ٢٢٠.
(٦) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٢٢٠.
(٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٣.

يحلو لبعض الدارسين ترديده، من أن المرأة ليست سوى متاع للرجل يقضى وطره منها، دون أن يكون لها نصيب تسهم من خلاله فى شئون الحياة؛ فقد عرف عن الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى أنه كان كثير الميل للنساء[1]. نزل فى قصره ما لا يحصى من الجوارى والقيان، أغدق على من أحب منهن ما لا حدود له من المال، والعطايا، ولما كان عنده من التدين، فقد شجع جواريه المقربات منه على بناء المساجد من أموالهن الخاصة مرضاة لوجه الله، فقد ذكر عنهن بأنهن أو لعن ببناء المساجد، والقيام بالأعمال الخيرية[2]. وهذا يدل على أن المرأة كانت شديدة الورع والتقوى، بحيث ساهمت فى الإنفاق على بناء هذه المساجد، وكان أولها المسجد المنسوب إلى الشفاء إحدى جواريه، ويقع فى الربض الغربى من قرطبة، وقد وُصِفَت الشفاء بكثرة أوقافها على المساجد، كذلك كانت ممن يعتنى بالمرضى والضعفاء، وهى التى عنيت بالأمير محمد بن عبد الرحمن الثانى (٢٣٨ - ٢٧٣هـ/ ٨٥٢ - ٨٨٦م) من صغره بعد وفاة أمه، التى اعتلت صحتها حين كانت مع الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦ - ٢٣٨هـ/ ٨٢١ - ٨٥٢م) فى بعض مغازيه على مقربة من طليطلة (Toledo) فلحقتها المنية بفج البشر، وهى فى طريقها إلى قرطبة، فدفنت هناك وصار قبرها معروفًا، وقد أكرمها الأمير محمد أيام دولته، وذلك بتحرير مغارم أهل تلك القرية لاحتراسهم قبرها[3]. ومن المساجد الأخرى التى تحمل أسماء نساء: مسجد أم سلمة[4]

---

(١) ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج ١، ص ٤٥.

(٢) ابن الابار، التكملة، (مخ)، ص ١٤٩. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٤٢. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج ١، ص ٤٥.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٤٢. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص ١٠٥ - ١٠٦. ابن الأبار، التكملة (مخ)، ص ١٤٩. المقرى، نفح الطيب، ج ١، ص ٤٦٥. بهجت، أعلام نساء الأندلس، ص ١٠٥. الدويدرى، هناء وحيد، الموجز فى تاريخ الأدب الأندلسى والمغربى، مطبعة الاتحاد، دمشق، س ١٩٨٥م، ص ٦٤ - ٦٥. وسيشار إليه فيما بعد بـ: الدويدرى، الموجز فى تاريخ الأدب الأندلسى.

(٤) الأنصارى، الذيل والتكملة، (س ٥ - ق ١)، ص ٤١٠. المقرى، نفح الطيب، ج ١، ص٤٦٦. سالم، السيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس (دراسة تاريخية وعمرانية فى العصر الإسلامى)، دار النهضة، بيروت، لبنان، س ١٩٧١م، ج ١، ص ١٨٠. وسيشار إليه فيما بعد بـ: سالم، قرطبة حاضرة الخلافة.

ومسجد كوثر[١] ومسجد أم هشام بقرطبة[٢] ومسجد متعة[٣]، ومسجد عجب[٤]، ومسجد طروب[٥] ومسجد فخر أو مجد[٦].

كذلك اشتهرت السيدة مرجان إحدى نساء الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (٣٠٠ - ٣٥٠هـ/ ٩١٢ - ٩٦١م) بالفضل، وأعمال البر، والصدقات، وزلفات قدَّمتها، ومساجد ابتنتها، وأحباس فى سبيل الله وقفتها[٧]، ومن أشهر آثارها كان الجامع الكبير المنسوب إلى السيدة بالربض الغربى، كان أوسع مساجد قرطبة بناءً وأحسنها عمارة[٨]، بحيث أوقفت له مالاً للإنفاق على مصالحه، وأحواضه، وسدنته، وعلى غيره من مساجدها الأخرى بطرف قرطبة الغربى[٩]. ومسجد أم معاوية بقرطبة[١٠].

كما عرف عن مقابر حملت أسماء نساء مثل؛ مقبرة متعة، التى تقع فى الجانب الغربى من قرطبة[١١]، ومقبرة مومرة جارية عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦ -

(١) ابن الأبار، التكملة، ج ١، ص ١٠٣ - ١٠٤. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س ١ - ق ١)، ص ٣٩٧، (س ١ - ق ٢) ص ٤٤٨.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ج ٢، ص ٥٣٤. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س ٥ - ق ٢)، ص ٤٨٦، ٥٨٦.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ق ١، ص ١٧٧. ابن الأبار، التكملة، ج ١، ص ٣٦٢.

(٤) ابن سهل، الأحكام الكبرى (مخ)، ص ٣٣٧. سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ١، ص ١٨٠.

(٥) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٤٢. ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص ١٤٩. سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ١، ص ١٨٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٤٢. ابن بشكوال الصلة، ق ١، ص ١٨.

(٧) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج ٥، ص ١٣.

(٨) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٣. ابن بشكوال، الصلة، ق ١، ص ١٨. المقرى، نفح الطيب، ج٢، ص ٢٢. المقرى، أزهار الرياض، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٩) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٤.

(١٠) الأنصارى، الذيل والتكملة، (س ٥ - ق ٢)، ص ٥٠٠.

(١١) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق ١: ص ٤٦، ٥٦، ٦٦، ٦٩، ١٠١، ١٣٣، ١٣٨، ١٣٩، ١٥٢، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٩٨، ٤١٦، ٤٣٢، ٤٧٦، (ق٢): ص ٨٠، ٩٣، ١١٤، ١٩٥. ابن بشكوال، الصلة (ق ١)، ص ٢٤٧، (ق ٢)، ص ٣٥٧؛ الأنصارى، الذيل والتكملة (س ٥ - ق ٢)، ص ٤٨٠. سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج ١، ص ٢٢٦.

٢٣٨هـ/ ٨٢١ - ٨٥٢م)[١]، ومقبرة أم سلمة[٢]، التى تقع فى شمال قرطبة خارج سورها الشمالى[٣]. وأم سلمة هذه هى بنت محمد بن الأمير الحكم الربضى (١٨٠ - ٢٠٦هـ/ ٧٩٦ - ٨٢١م)، تزوجت من ابن عمها الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣هـ/ ٨٥٢ - ٨٨٦م)[٤]. كذلك التربة المنسوبة إلى السيدة مرجان بمقبرة الربض بقرطبة المعروفة بحصانة أبوابها، ومناعة أسوارها[٥]. كما وردت إشارة إلى منية[٦] عجب حَظِيَّة الأمير الحكم الربضى[٧]، ومنية أم سلمة[٨]، ومنية جعفر[٩]. وبإمعان النظر فى نشاطات المرأة الأندلسية نجدها تحمل فى طياتها شيئًا من الطرافة.

(١) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، (ق ١)، ص ٥٣، ٥٧، ١١٣، ١٢٠، ٣٣١، (ق ١) ص ٧٤، ٨٧، ١١٣، ١٦٣.
(٢) المصدر نفسه، (ق ١): ص ٩٩، ١٣٦، ٢٣٧، (ق ٢) ص ٢٧، ٨٠، ١٠٤، ١١٥، ١٩٠. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج ٢، ص ٢٢٩. ابن بشكوال، الصلة (ق ١)، ص ١٨٨، ١٨٩، ٢٧٧، (ق ٢): ص ٢٣٢، ٣٨٦، ٣٨٧، ٤٥٠، ٥٢٠، ٥٥٧، ٥٧٠، ٥٧٣، ٥٧٤، ٦٩٤. ابن الأبار، التكملة، ج ١: ص ١٠٣، ١٠٤، ٢٢٠، ٢٥١، ٣٢٥، ٣٨٧، ج ٢: ص ٥٢٩، ٥٣٣، ٥٣٧، ٥٨٦، ٦٨٨، ٨٨٧. ابن الأبار، محمد بن عبد الله، المعجم فى أصحاب القاضى أبى على الصدفى، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، س ١٩٦٧م، ص ١٤٠. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الأبار، المعجم. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س ١ - ق١)، ص ٣٩٧، (س ١ - ق ٢)، ص ٤٤٨، (س ٤ - ق ٢)، ص ٥٩، ٢١٩، (س ٥ - ق ١)، ص ١٤٨، ١٦٩، ٢٨١، ٢٨٥، (س ٥ - ق ٢)، ص ٥٢٠، ٦٢٧.
(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٩٩.
(٤) المصدر نفسه، ص ٩٩.
(٥) النباهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص ٧٩.
(٦) منية: لفظ مشتق من منى، وتعنى البيت الريفى المعمور داخل حديقة محاط بالأشجار، ابن منظور، لسان العرب، مادة (منى)، مج ١٥، ص ٢٩٢ - ٢٩٧.
(٧) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق ٢، ص ٩٨، ٢٠٣. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٤٤. ابن سهل، الأحكام الكبرى (مخ)، ص ٣٧٣. الضبى، بغية الملتمس، ص ٣٨٢. الأنصارى الذيل والتكملة، (س ٥ - ق ٢) ص ٥٤٤. النباهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص ٥٥. المقرى، نفح الطيب، ج ١، ص ٤٦٥.
(٨) العذرى، ترصيع الأخبار، ص ١٢٢.
(٩) جعفر: اسم أطلق على صبح البشكنسية حظية ومغنية الخليفة الحكم المستنصر. انظر؛ ابن عذارى، البيان، ج ٢، ص ٢٥٣، ج ٣، ص ٤٢

ثانيًا: التركيب الاجتماعي للمرأة الأندلسية

١- نساء القصر المترفات

تدل جميع الإشارات التى بين أيدينا، والمتعلقة بالمرأة الأندلسية فى هذا الوسط على أنها كانت تعيش خلف حجاب غليظ[(١)]، لكن هذا لا يمنع المرأة أن تتخطى أحيانًا ذلك السور المتين الذى عاشت خلفه، وتخاطر بنفسها لتتبادل المراسلة مع عشيقها خفية. وفى هذا قال ابن حزم[(٢)]: «وإنى لأعلم فتى من أبناء الكتاب رأته امرأة سرية النشأة، عالية المنصب، غليظة الحجاب، وهو مجتاز، ورأته فى موضع تطلع منه كان فى منزلها، فعلقته وعلقها، وتهاديا المراسلة زمانًا على أرق من حد السيف». ولربما قد أحدث ذلك الحجاب الغليظ لدى النساء يقظة عاطفية؛ وذلك لسرعة إجابة طبائعهن إلى الهيام[(٣)]، وقد تميزت المرأة بأنها لم تكن مُضْطَرة إلى القيام بأى عمل لا فى داخل البيت ولا فى خارجه، ويعود ذلك إلى أنها كانت محفوفة بالخدم والحشم[(٤)]، وفى حال زواجها يكون همها الأول انتزاع حب زوجها، وإعجابه ليزداد تعلقه، وتصبح حظية عنده، وقد زخرت المصادر التاريخية بكثير من الأمثلة بهذا الخصوص مثال ذلك؛ عجب حظية الأمير الحكم بن هشام الربضى (١٨٠-٢٠٦هـ-٧٩٦/ ٨٢١م)[(٥)]، وفنيان زوجة الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م)، كانت حظية عنده موصوفة بالصلاح والعفة وبعد الهمة[(٦)]. كذلك كانت الحرة القرشية زوجة الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠/ ٩١٢-٩٦١م) فاطمة بنت الأمير المنذر بن محمد عم أبيه تحظى بمكانة متميزة عنده[(٧)]. كما حظيت زوجته الأخرى مرجان

(١) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج٥، ص٩- ١٠.
(٢) رسائل ابن حزم الأندلسى، ص١٢٣.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ج ١، ص ٧١.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٧١.
(٥) النباهى، تاريخ قضاة قرطبة، ص٥٥.
(٦) ابن حيان، المقتبس ، تحقيق مكى، ص ٢١٣- ٢١٤.
(٧) المصدر نفسه، نشر شالميتا، ج٥، ص٩.

التى اتخذها سيدة نسائه وكبرى حظاياه التى فاقت مرتبة جميع نسائه، وسماها السيدة الكبرى[1] كما عرفت فى هذا الوسط بكرائم الخليفة، وأمهات أولاده[2]. تقوم على خدمتهن الوصائف*[3]، القوامات*[4] أو الرواشد*[5]، وجميع هؤلاء كن من مسؤولية كبرى الخدم التى تعرف باسم القهرمانة[6]، التى تتولى معاينة الجوارى الجدد، وذلك بامتحان جميع ما جاءت به الجارية من كسوة وحلى، ومتاع بكتابته على أعداده وصفاته، وتجىء به إلى الأمير، وبحوزتها تقرير مفصل عن ذلك[7]. ويرى الناظر فى الروايات التاريخية أنها تحمل فى طياتها الكثير من المعانى؛ أولها أن المرأة كانت تعيش حياة مترفة، حيث أن المكان المخصص لمعيشتهن يكون على شكل بهو يزهو بالعز والفخامة، ويضم فى داخله مقاصير العقائل، وحجرات الكرائم[8]، فقد ذكر عن قصر الزهراء بأن عدة الدور فيه أربعمائة دار، وذلك لسكن السلطان وحاشيته وأهل بيته، وعدد الفتيان والصقالبة الخصيان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون، حيث كان أهل الأندلس يستخدمونهم فى خدمة الحرم، وعدة النساء بقصر الزهراء الكبار والصغار، وخدم الخدمة ستة آلاف وثلثمائة امرأة [9].

---

(١) المصدر السابق، ج٥، ص٧، ٩، ١٠. المقرى،أزهار الرياض، ج٢ ص٢٦٥، ٢٩٥. المقرى، نفح الطيب، ج٢، ص٢٢.

(٢) الخشنى، قضاة قرطبة، ص ٣٧. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧٩. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص ٧٨. ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج٥، ص١٠، ١١، ١٢. المراكشى،المعجب ، ص٤٥.

*(٣) الوصائف: مفردها وصيفة، وهو لفظ يطلق على الخادم سواء كان غلامًا أو جارية، انظر؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (وصف)، مج٩، ص ٣٥٦-٣٥٧.

*(٤) القوامات: مفردها قوامة وهو لفظ يطلق على المرأة التى تقوم بشأن بيتها؛ انظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (قوم)، مج١٢، ص٤٩٩. ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج٥، ص١٠.

*(٥) الرواشد: مفردها رشيدة، وقع هذا اللفظ على المرأة التى تقوم بعملية الرشد للوصول إلى سبيل القصد؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة (رشد)، مج٣، ص١٧٥-١٧٦. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٢١٨. مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة، ص١٧٠.

(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٢١٨. ابن حيان، المقتبس،تحقيق شالميتا، ج٥، ص١١. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣٠.

(٧) المصدر نفسه، تحقيق مكى، ص٢١٨.

(٨) ابن بسام، الذخيرة، (ق١-مج١)، ص١٩٦.

(٩) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص ٢٣٢. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٤١. المقري، أزهار =

لهذا كانت القصور الملكية تزخر ببنات الأمير أو الخليفة، بدليل ما بين أيدينا من إشارات عن أعداد بعضهن، حيث عرف عن هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ/ ٧٨٨-٧٩٦م)، أن له خمسًا من البنات[١]. فى حين ذكر عن ابنه الحكم ابن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢١م)، أن عدد أولاده من الإناث إحدى وعشرون بنتًا[٢]. بينما ذكر عن عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م) أن عدد أولاده من الإناث خمسون بنتًا[٣]. كما عرف عن بعض بنات حكام الأندلس اتخاذهن مولى بدليل أن إحدى بنات الأمير عبد الرحمن بن معاوية الداخل اتخذت بدورن الصقلبى مولى لها[٤]، كما أخبر عن مولى آخر لإحدى بناته، واسمه عمرو بن عبد الله بن لبيب القاضى من أهل قرطبة عين قاضيًا على قرطبة سنة (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٩٦م)[٥] ويبدو أن عادة التهادى من قبل الأمراء لحظايا نسائه شائعة، فقد عرف عن الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله أنه أهدى حظية من نسائه، دارًا بقرطبة[٦]، فى حين كان التعرض لبنات الخلفاء والتغزل بهن من الأمور الجسيمة، مثال ذلك قتل أحمد بن مغيث*[٧]، واستئصال

= الرياض، ج٢، ص٢٦٨. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٥٦٧. مؤلف مجهول، وصف جديد لقرطبة، ص. ١٧ يذكر بأن عدة الدور بقصر الزهراء أربعمائة وثلاثون دارًا. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٣٤. يذكر بأن عدة الدور بقصر الزهراء مائة وخمس وعشرون دارًا. ستانلس، قصة العرب، ص١٢٣. العبادى، الصقالبة، ص٩.

(١) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٦١؛ النويرى، تاريخ المغرب، ص١٢١.

(٢) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٢٥. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٦٨. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٣٨. حيث يذكر أن عدد أولاده من الإناث ثلاثون.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٢٨. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٧٨. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٤٥. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٢٢-٢٤. يذكر أن عدد أولاده من الإناث سبعة وأربعون، فى حين تذكر المصادر التالية، أن عدد أولاده من الإناث اثنتان وأربعون. انظر؛ ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٨١. النويرى، تاريخ المغرب، ص١٠٣.

(٤) ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص١٥٢.

(٥) الخشنى، قضاة قرطبة، ص٦٧. ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص٣١٩. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٢٠٨.

(٦) ابن عاصم، جنة الرضا، ج١، ص١٦٤. المقرى، نفح الطيب، ج٢، ص١٦.

*(٧) ينتسبون إلى مغيث الرومى فاتح قرطبة، كان مع طارق، وقد نجبوا فى قرطبة وسادوا وعظم =

آل مغيث، فلم يبقَ منهم إلا الشريد الضال؛ وذلك بسبب تغزله بإحدى بنات الخلفاء، فكان هذا سببًا فى هلاكهم وانقراضهم[1]، ولعل السبب البعيد للقتل فى مثل هذه الحالة أن الغزل كان وسيلة من وسائل التشهير والتعريض، وجزءًا من الهجاء السياسى، بحيث نستطيع القول بأن النساء لم يكن جميعهن موضع طلب وغزل.

وكثيرًا ما كان يخضع الزوج لأوامر زوجته، وخير مثال على ذلك طروب جارية عبد الرحمن بن الحكم الثانى التى وُصِفَت بكونها كثيرة الدلال عليه[2]، ومما يقال فى ذلك أن السلطان أغضبها ذات يوم فهجرته، وصدت عنه، وابت أن تأتيه ولزمت مقصورتها، فاشتد قلقه لهجرها، فضاق ذرعه من شوقها، وجهد نفسه فى مرضاتها بكل وجه، فأعياه ذلك، فأرسل من خاصة خصيانه من يكرهها على الوصول إليه، فأغلقت باب مجلسها فى وجوههم، وأبت أن تخرج إليهم طائعة، فانصرفوا إليه، وأعلموه بقولها، واستأذنوه فى كسر الباب عليها، فنهاهم عن ذلك، وأمرهم بسد الباب عليها من خارجه ببدر الدراهم، ففعلوا، وبنوا عليها بالبدر، وأقبل حتى وقف بالباب وكلمها مسترضيًا، راغبًا فى المراجعة على أن لها جميع ما سُد به الباب، فأجابت، وفتحت الباب، فانكبت على رجليه، تقبلها، وحازت المال وكان مبلغه ألف بدرة*[3] فى كل بدرة ألف دينار، ووهب لها عقد جوهر اشتراه بعشرة آلاف دينار[4]. ولم يكُن عبد الرحمن بن الحكم الثانى هو الوحيد الذى تذلل لحظاياه، وأنفق ماله، وأراق ماء وجهه فى سبيل نيل رضاهن،

= بيتهم، وتفرعت دوحتهم، وكان منهم عبد الرحمن بن مغيث حاجب عبد الرحمن الداخل، رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، هامش رقم (٢)، ص١٤٧. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص١٢.

(١) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص١٤٧.

(٢) ابن حيان ، المقتبس، تحقيق مكى، ص ١١٠. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ٦٩. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٣٠.

*(٣) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار، سميت ببدرة والجمع بدور؛ انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة بدر، مج٤، ص٤٩.

(٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٣-١٢٤. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٤٤. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٩١-٩٢. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٩-٣٥٠.

بل نجد الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله يقع تحت إذلال زوجه رسيس المقربة منه، حتى أنه جعلها تخرج معه في مركبه وهي تلبس قلنسوة، وتتقلد سيفًا، وتشق قرطبة على هذه الحال حتى تبلغ معه الزهراء[1]. وفي كلتا الروايتين ما يدل على تبذل الملوك في سبيل مرضاة حظاياهم، واندفاعهم إلى أعماق الهاوية في سبيل كسب رضاهن، الأمر الذي يحملنا على القول بأن المرأة كانت تحاول انتزاع حب زوجها الذي كان يحتل حيزًا كبيرًا من تفكيرها؛ لأنه هو الطريق الوحيد لتحقيق رغباتها.

٢- نساء العامة:

كان من أخلاق العربي صيانة شرف المرأة وحرمتها؛ لذا كفل لها المجتمع هذا الحق؛ فقد عرف عن حكام بني أمية أنه ما من امرأة من العامة حلّت بها كارثة إلا وأسرع لتخليصها، فالأمير الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) لم يتوانَ عن إغاثة إحداهن حين أسرها العدو[2]. وفعل الصنيع ذاته محمد بن أبي عامر المنصور (ت٣٩٢هـ/ ١٠٠١م) الذي لم يتوانَ هو الآخر عن إغاثة إحداهن حين كانت محبوسة بيد الإسبان[3]. كما نجده يفعل نفس الصنيع مع امرأة أخرى عندما بالغ في دفع عوض دار تعود ملكيتها إليها، جاءت وسط مسجد قرطبة عندما أمر بالزيادة[4]، وأضيف إلى ذلك كله صيانة الشرع لحقوقها[5].

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص٧٦. عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ط٢، دار الثقافة، بيروت، لبنان، س ١٩٦٨م، ص٢٥-٢٦. وسيشار إليه فيما بعد، عباس تاريخ الأدب الأندلسي. شلبي، سعد إسماعيل، الأصول الفنية للشعر الأندلسي عصر الإمارة، دار النهضة، مصر، القاهرة، س١٩٨٢م ص١٠٢. وسيشار إليه فيما بعد، شلبي، الأصول الفنية. علي، سلمى سلمان، المرأة في الشعر الأندلسي (عصر الطوائف) رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، بغداد، س١٩٨٦م، ص٢٥. وسيشار إليه فيما بعد بـ: المرأة في الشعر الأندلسي.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١١٧. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٢٩-١٣٠.

(٣) ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٢٩٧-٢٩٨. المقري، نفح الطيب، (برواية ابن خاقان)، ج١، ص٤٠٣-٤٠٤.

(٤) المقري، نفح الطيب، (برواية ابن بشكوال)، ج١، ص٥٤٦-٥٤٧.

(٥) ابن العطار، الوثائق والسجلات، ص٧. ابن سهل، الأحكام الكبرى، (مخ)، ص١٠٠.

أما بالنسبة إلى بيوت نساء العامة لاسيما الأغنياء، فكانت تضم الكثير من الإماء المملوكات والخدم[1]. وهذا ما أخبر عنه ابن حزم[2] حين قال: «إنى لأعلم امرأة ذات جوارٍ وخدم».

فى حين ذكر عن بعض النساء فى هذا الوسط إنه لم يكن بينهن جوارٍ إلا نادراً وذلك بسبب ارتفاع أسعار الجوارى بالمقارنة مع دخل الرجل[3]، إذا علمنا أن سعر الجارية قد يصل إلى ألفين أو ثلاثة آلاف دينار[4]، تبعًا لسنها وجمالها وثقافتها وصفاتها الأخرى، وقد عرفت المرأة بالحرة والحرة العربية[5]، كما امتازت بالجمال والحسن إلا أن الطول يندر فيهن[6].

ويظهر أنها كانت تخرج إلى باب العطارين، وهو المكان الذى تؤمه النساء[7]، لشراء حاجياتهن الخاصة من عطور وزيوت، وصابون، وتوابل، وبخور[8] هذا بالإضافة إلى حضورها الولائم والحفلات[9]، والمآتم[10]، كما وصفت المرأة بأنها كانت شديدة الوفاء لزوجها حتى بعد وفاته، وقد تحدث ابن حزم[11] عن أخيه أبى بكر الذى كان متزوجًا بعاتكة بنت قند (Conde)[*][12] صاحب الثغر الأعلى أيام محمد بن أبى عامر (ت٣٩٢هـ/١٠٠١م) أنه لم يتصل طيلة حياته بامرأة غير

(١) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص١٢١، ١٦٥. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٣٧٠.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٦٥.
(٣) خالص، إشبيلية فى القرن الخامس الهجرى، ص٩٢، ص ٣٠٨.
(٤) ابن بسام، الذخيرة، (ق٣-مج١)، ص١١٢. ابن عذارى، البيان، ج٣
(٥) ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص٢٠١. المقرى، نفح الطيب، ج٥، ص ٤٠٩.
(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٤٥. ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٤١.
(٧) ابن عمر، أحكام السوق، ص١٢٠-١٢١. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص٣٢. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص١٢٠-١٢١. العذرى، ترصيع الأخبار، ص١٢٢. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٤. خلاف، قرطبة الإسلامية، ص٢٩٤.
(٨) خلاف، قرطبة الإسلامية، ص٢٩٤.
(٩) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٢٤٩-٢٥٠.
(١٠) ابن عمر، أحكام السوق، ص١٢٥. العذرى، ترصيع الأخبار، ص٣٢.
(١١) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٢٥٩.
*(١٢) قند: هذا هو الذى استرد مدينة سالم فى أيام الناصر سنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م). رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، هامش رقم (١)، ص٢٥٩.

زوجه التى حزنت عليه عند وفاته حزنًا شديدًا، وأنها رفضت الزواج من غيره. كما أخبر عن امرأة رائعة جميلة، كانت فى دار محمد بن وهب المعروف بابن الركيزة من ولد بدر[1]، الداخل مع الإمام عبد الرحمن بن معاوية، كان لها مولى، وعندما جاءته المنية بيعت فى تركته، فأبت أن ترضى بالرجال بعده، وما جامعها رجل قط، علمًا بأن سيدها قد ألح عليها لضمها إلى فراشه مع سائر جواريه، فأبت، فضربها ضربًا مبرحًا، وبقيت على امتناعها إلى أن لقيت الله عز وجل[2].

ويبدو أنها كانت كثيرة الإدلال على زوجها بدليل ما ذُكِر عن القاضى محمد بن زياد أحد قضاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م)، أنه قد نقم الناس عليه لخضوعه لامرأته كفات، لا لأن هذا الخضوع كان مستهجنًا بحد ذاته؛ بل لأن القاضى يجب أن يكون فوق هذا المستوى[3].

٣- الجوارى:

كثر عدد الجوارى بالأندلس، بسبب الأسر الذى واكب الفتح، ثم بسبب تجارة الرقيق التى انتشرت فى الأندلس حتى زخرت بهن القصور، بحيث لم تعرف المصادر الأندلسية واحدة من حكام بنى أمية من أمة حرة[4]، وهم على التوالى:

عبد الرحمن بن معاوية (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٥-٧٨٨م)- أمه أم ولد- اسمها راح أو رداح.

هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠ هـ/٧٨٨-٧٩٦م) - أمه أم ولد- حوراء، أو حلل، أو جمال.

الحكم بن هشام الربضى (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢١م)- أمه أم ولد- زخرف.

---

(١) انظر أخبار بدر مولى عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٥-٧٨٨م) وجهوده فى خدمته لإقامة الدولة فى الأندلس؛ المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص٢٧-٣١.

(٢) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٢٠٨.

(٣) الخشنى، قضاة قرطبة، ص٦٠-٦١. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٧٥، ذكر اسمها تكفات. عباس، تاريخ الأدب الأندلسى، ٢٥-٢٦.

(٤) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص١٠٤.

عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م)- أمه أم ولد- طروب أو حلاوة.

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م)- أمه أم ولد- تهتر أو تهتز أوبهير.

المنذر بن محمد بن عبد الرحمن (٢٧٣-٢٧٥هـ/ ٨٨٦-٨٨٨م) - أمه أم ولد- أثل.

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م)- أمه أم ولد- عشار أو بهار أو در.

كذلك الحال بالنسبة للخلفاء من بنى أمية فى الأندلس، فلم تعرف المصادر واحداً منهم من أمة حرة، وهم على التوالى:

عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠/ ٩١٢ -٩٦١م)- أمه أم ولد- اسمها مزنة.

الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر (٣٥٠-٣٦٦/ ٩٦١- ٩٧٦م)- أمه أم ولد- مرجانة أو مهرجان أو مرجان.

هشام المؤيد بن الحكم (٣٦٦- ٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٨م)- أمه أم ولد- صبح.

محمد بن هشام بن عبد الجبار (٣٩٩-٤٠٠ هـ/١٠٠٨- ١٠٠٩م) - أمه أم ولد- مزنة.

سليمان بن الحكم بن سليمان (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) - أمه أم ولد - ظبية.

عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار (٤١٤هـ/ ١٠٢٣م)- أمه أم ولد- غاية.

محمد بن عبد الرحمن بن هشام المستكفى (٤١٤-٤١٦هـ/ ١٠٢٣-١٠٢٥م) أمه أم ولد- حور أو حوراء.

هشام بن محمد بن عبد الملك (٤١٨-٤٢٢هـ/ ١٠٢٣-١٠٣٠م)- أمه أم ولد- عاتب[1].

---

(١) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢. ٢٠٣؛ ابن حزم الأندلسى، على بن أحمد، رسالة فى أمهات الخلفاء، ط٣، تحقيق=

ونقصد من هذا العرض لأمهات الخلفاء بيان حقيقة مفادها، إنه لم يعُد يُرَى فى هجنة الأم بالأندلس أية سبة، وأن النساء المملوكات اللائى عشن فى المجتمع الأندلسى كن على نوعين؛ أحدهما: يشمل جوارى الخدمة، وهؤلاء جاوزن سن الشباب، أما النوع الآخر: فيطلق عليهن جوارى اللذة[1].

ذلك النوع الذى يتمتع بمنزلة كبيرة كونه محاطًا بالخدم[2]. وكون بعضهن اتخذن للإنجاب، فكان واجبهن جلب المتعة والسرور إلى نفوس أسيادهن، فقد كن على وجه العموم يبحثن عن حب السيد، ورضاه، ولاشك أن عددهن الكبير كان يجعل مهمتهن هذه صعبة الأداء، وهذا نستقيه من كلام ابن حزم[3] حين قال: «إنه يعرف رجلاً كان له أكثر من ستين جارية، ولكنه مع ذلك كان يقصد منازل البغايا».

ومما تجدر الإشارة إليه أن مصادر الحصول على الجوارى متعددة وكثيرة، فبعضهن جلبن من المشرق أمثال فضل، وعلم، وقلم المدنيات الثلاث[4]. وكذلك الحال

= صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، س١٩٨٠م، ص٢٨-٣١. وسيشار إليه فيما بعد بـ: ابن حزم الأندلسى، رسالة فى أمهات الخلفاء. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١١٨، ١٢٤، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٩، ١٦٨، ١٧٣، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٢. ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج ٥، ص ٤٢، ٤٣. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص ١٠٦. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٨-١٠، ١١، ١٣، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٧. ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٤٩٣. الضبى، بغية الملتمس، ص١٢-٣٣. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص١٤٨، ٣٧٧، ج٨، ص٧٣، ٥٣٦، ٦٧٨. ابن الوردى، تتمة المختصر، ج١، ص٤٣١. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٤٧، ٦١، ٦٨، ٨٠، ٩١، ٩٢، ١١٣، ١٢٠، ١٥١، ١٥٦، ١٥٨، ٢٣٣، ٢٥٣. النويرى، تاريخ المغرب، ص٥٧، ٧٢، ٧٩، ١٠٥، ١١٢، ١١٤، ١١٧، ٢٠٦. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٤٢، ٤٣. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤١، ٣٤٩، ٣٦١، ٣٩٩، ج٣، ص٥٠، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٥، ٦١٣.

(١) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٢٠٨. ابن الحداد الأندلسى، ديوان، ط١، تحقيق يوسف على طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، س١٩٩٠م، مقدمة المحقق، ص٦٥. وسيشار إليه فيما بعد بـ: ديوان ابن الحداد الأندلسى.

(٢) الخشنى، أخبار الفقهاء، ص١٨٦-١٨٧؛ الخشنى. قضاة قرطبة، ص١٩-٢٠.

(٣) ابن حزم، طوق الحمامة، ص٨٢.

(٤) ابن الأبار، التكملة (مخ) ص١٤٩. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص١٤٠.

بالنسبة لقمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمى التى جُلبت من بغداد[1]. وعابدة التى وصفت بأنها جارية سوداء من رقيق المدينة، والتى أصبحت لحبيب بن الوليد المعروف بـ «دحون» زوجه، كان قد رحل إلى المشرق، فلقى عابدة، فتزوجها، وعاد بها إلى الأندلس، وقد أنجبت منه ابنًا سمى بشرًا، وأصبح فيما بعد محدثًا[2].

والصنف الآخر من السبى[3]، أو الرقيق الذى كان يأتى عن طريق الشراء والبيع، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن شراء الجارية وبيعها فى الأندلس لم يكن من الأمور السهلة؛ لأنها كانت تحتاج إلى كثير من الإجراءات[4]، بدليل ما ذكر عن جارية كانت فى حوزة رجل من أهل جيان(Jaen) ، اغتصبها أحد عمال الحكم بن هشام الربضى (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢١م)، فصيَّرها إلى الحكم، فوقعت من قلب الحكم، فاثبت الرجل أمره عند القاضى، وأتاه ببينة تشهد على معرفتها، فتظلم منه، وبملكيته للجارية وبمعرفته بها، فتم إحضار الجارية، عندها استأذن القاضى الحكم فأذن له، فلما دخل عليه قال: أيها الأمير إنه لايتم عدل فى العامة دون إفاضته فى الخاصة، وعندما علم الحكم بالأمر طلب من القاضى شراء الجارية من صاحبها بأغلى الأثمان، لكن القاضى رفض، خوفًا من أن يقال: باع ما لا يملك بيعه، فهو بيع مقهور لأنه لا يتضمن الشروط الواجب توافرها فى عملية شراء وبيع الجارية، مثل رغبة المالك، ووجود شهود يشهدون على شراء الجارية،

---

(١) ابن الأبار التكملة (مخ) ص١٥٣، ١٥٤. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٢٨. المقرى، نفح الطيب ج ٣، ص ١٤٠.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٩٦. ابن الأبار، التكملة، ج١، ص٢٢٤-٢٢٥. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٦٢-٦٣. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨-ق٢)، ص٤٨٨. المقرى، نفح الطيب، ج٢، ص٥٠٤، ج٣، ص١٣٩-١٤٠. مؤنس، شيوخ العصر، ص٤٢. ريبيرا، التربية الإسلامية، ص١٦٠.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٨٦-١٩٤. المراكشى، المعجب، ص٢١. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص١٩٩. ابن عذارى، البيان، ج٣، ص١١. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص١٤٥.

(٤) انظر تفصيلات ذلك؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٣٨. ابن عذارى، البيان، ج٣، ص١٦٢. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص١٤٥

فلما رأى عزمه على ذلك أسر بإخراج الجارية من قصره، فشهد الشهود عنده على عينها وقضى بها لصاحبه(١).

والمتمعن فى سياق الرواية يتضح له أن الحكم كان محباً للعدل شجاع النفس عظيم العفو، يسلط قضاته على نفسه فضلاً عن ولده وخاصته(٢).

كذلك كان الحال بالنسبة إلى عملية عتق الجوارى والزواج منهن؛ لا تتم إلا بشهود، فقد ذكر عن صاحب الصلاة فى جامع قرطبة أيام الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) سعيد بن منذر(*) (٣) أنه أحب جارية حباً شديداً، فعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها، ثم دعا بجماعة الشهود، وأشهدهم على عتقها، ثم خطبها إلى نفسه، فلم ترضَ به، وإنما تزوجت من أخيه الحكم بن منذر(٤).

لكن الملاحظ أن أهل الأندلس كانوا يفضلون شراء الجوارى اللائى يمتلكن مواهب عديدة، وخصوصاً المعلمات اللواتى قمن بتعليم الصغار، وخير مثال ما قاله ابن حزم، حينما حدثنا عن نشأته وتعليمه(٥): «إننى تربيت فى حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا فى حد الشباب، وهنَّ علمننى القرآن، وروينى كثيراً من الأشعار، ودربننى فن الخط».

(١) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسى، العقد الفريد، تحقيق وضبط أحمد أمين وآخرون مطبعة لجنة التأليف والترجمة، س١٩٤٤م، ج٤، ص٤٩١. وسيشار إليه فيما بعد، ابن عبد ربه، العقد الفريد. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٧٨. الشعراوى، أحمد إبراهيم، الأمويون أمراء الأندلس الأول، دار النهضة، القاهرة، س١٩٦٩م، ص٢٢٢-٢٢٣. وسيشار إليه فيما بعد بـ: الشعراوى، الأمويون، أمراء الأندلس.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٤-١٢٦. الشعراوى، الأمويون أمراء الأندلس، ص٢٢٣.

(٣) أولاد منذر بن سعيد البلوطى، كان ولده سعيد أبو عثمان خطيبًا بليغًا، ذكيًا نبيهًا قُتل كما يقول ابن حزم، يوم تغلب البرابرة على قرطبة (س٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) أما عن ثانى أبنائه الحكم بن منذر المعروف بأبى العاصى، كان من أهل الأدب والذكاء، قديراً فى الأدب، توفى بمدينة سالم (س٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م)، انظر بشأن ذلك؛ رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص١٥٧. ابن بشكوال الصلة، ق١، ص١٤٦، ٢٠٨.

(٤) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص١٥٦-١٥٧.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٧٠.

كما أجاد بعضهن فن الغناء، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن صناعة الغناء قد راجت فى الأندلس، لاسيما بعد دخول الكثير من الجوارى القادمات من المشرق، ودخول زرياب*[1] وابنتيه علية وحمدونة الأندلس (٢٠٦هـ/ ٨٢١م)، اللتين مارستا صناعة الغناء، مع العلم أن الأخيرة كانت متقدمة علـى أختها فى صناعة الغناء؛ لهذا فقد تزوجها الوزير هاشم بن عبد العزيز[2]، وظهر نتيجة ذلك العديد من الجوارى اللواتى أخذن هذه الصناعة عنه أمثال؛ مصابيح جارية الكاتب أبى حفص عمر بن قلهيل، التى اشتهرت بطيبة قلبها ونبلها وإحسانها وجودة غنائها[3]، كذلك اشتهرت متعة جاريته التى أدبها، وعلمها أحسن أغانيه، حتى شبت وغنت يومًا بين يدى الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦-٢٣٨ هـ/ ٨٢١-١٥٢ م)، فأعجب بصوتها وجمالها، فلما انكشف لزرياب أمرها أهداها إليه فحظيت عنده[4]. كما اشتهرت من جواريه غزلان وهنيدة[5]. ويبدو أن عادة تعليم الجوارى عند أهل الأندلس الكثير من فنون الأدب كانت شائعة؛ وذلك ليتمّ بيعهن بأغلى الأثمان[6]؛ فقد ذكر أن بعضهن بلغ ألوف الدنانير، أما دون الألف فكثيرات[7]. الأمر الذى تجدر الإشارة إليه أن أثمان الجوارى تزداد ارتفاعًا، كلما

* (١) زرياب: أبو الحسن على بن نافع، رئيس المغنيين، كان مولى لأمير المؤمنين المهدى العباسى، دخل الأندلس (س٢٠٦ هـ/ ٨٥٢م)، وذلك أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦-٢٣٨ هـ/ ٨٢١-٨٥٢م)، وتوفى سنة (٢٣٨ هـ/ ٨٥٢م)، أى قبل وفاة الأمير عبد الرحمن بأربعين يومًا: انظر المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٤، ج٣، ص١٢٩-١٣١.

(٢) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٤، ج٣، ص١٢٩-١٣١.

(٣) ابن دحية: ذى النسبين أبو الخطاب عمر بن حسن، المطرب فى أشعار أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبيارى وجماعته، دار العلم للجميع، سوريا، د.ت، ص١٥٢. وسيشار إليه فيما بعد: ابن دحية، المطرب. ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٥٢. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص١٣١؛ على، المرأة فى الشعر الأندلسى، ص١٨.

(٤) المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص١٣١. ضيف، أحمد، بلاغة العرب فى الأندلس، ط١، مطبعة مصر، مصر، س١٩٢٤م، ص٢١، وسيشار إليه فيما بعد، ضيف، بلاغة العرب.

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص١٢٦. بالنشيا، تاريخ الفكر الأندلسى، ص٥٤. البتونى، رحلة الأندلس، ص١٤٤.

(٦) ابن بسام، الذخيرة (ق٣-مج١)، ص٣١٩-٣٢٠. ابن عذارى، البيان، ج٣، ص١٨.

(٧) الإصطخرى، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق نولكة، طبع بمدينة ليدن، مطبع بريل، س١٩٦٧م، ص٤٥. وسيشار إليه فيما بعد، الإصطخرى، المسالك والممالك.

تعددت صفات الجارية المبيعة واتسعت ثقافتها، ويبدو أنه كان يطلق على الجوارى تسميات عديدة منها: السريات[1]، والقينات أو القيان[2] والوصائف[3] كما ساقت لنا المصادر كلمة ستر، وهى الكلمة التى تطلق على المكان الذى تستتر فيه الجوارى فى قصور الحكام[4]، ثم استخدمت فيما بعد للدلالة على القيان المغنيات[5]. لكن يبدو أن كثرة الجوارى التى دخلت الأندلس كان لا بد لها أن تترك بعض السلبيات على المجتمع الأندلسى، **أولها**: ما عانى منه الأبناء نتيجة معاشرتهم الجوارى منذ نعومة أظفارهم، فخرج من بينهم جيل اتصف بالخلق السيء كثير الظن بالنساء، وخير مثال على ذلك ابن حزم الذى شب فى القصور، وتحت رعاية الخدم وبين مناغاة النساء من القيان والجوارى؛ فهو على أيديهن نشأ، ومعهن تربى، ولم يعرف غيرهن من الرجال حتى الشباب، فتعرف من خلالهن على أسرار الحياة الجنسية، ومناورات القصور، وحيل النساء فنشأ صبياً سريع التأثر، سيء الظن بالمرأة[6]، كذلك كان هشام المؤيد بن الحكم المستنصر (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٨م)، الذى أجبر على الإقامة بين مناغاة النساء والجوارى من قبل محمد بن أبى عامر للحيلولة دون وصوله السلطة[7]. ولم يقتصر خطرهن على المنعمين من أبناء الشعب الأندلسى، بل انتقل إلى العامة، وذلك عن طريق اللجوء إلى دار البنات[8]، فى حين يسميها ابن هشام[9] دار الخراج، وتسمى الواحدة منهن فى

(١) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج٥، ص٩. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٥٢٣.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، رسائل، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، مصر الجديدة، س١٩٦٤م، ج١، ص١٧٠. وسيشار إليه فيما بعد، رسائل الجاحظ. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٢٨٥. ابن بسام، الذخيرة، (ق٣-مج١) ص١١٢. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٨٤.

(٣) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج٥، ص١٠.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٣٢. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٢١٩. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٩٢. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٧١. ابن بسام، الذخيرة (ق٣-مج١) ص١١٢. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٦٧. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٦.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، هامش رقم (٢٤٣)، ص٥٠٠.

(٦) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٧٠.

(٧) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٨-٣٩٩، ٥٩١، ج٣، ص٨٨، ٩٢.

(٨) ابن عذارى، البيان، ج٣، ص٨١.

(٩) ابن هشام، كتاب لحن العامة، ص١٥٥-١٥٦.

لهجة الأندلس خراجية، والتى تعرف حسب تعبيرنا اليوم ببيوت الدعارة، تلك البيوت التى كانت تقدم لروادها من أسباب اللهو والمجون والخلاعة الشيء الكثير، وقد يكون أحد أسباب ذهابهم إلى تلك البيوت عدم قدرتهم على شراء الجوارى، كما نجد الكثير من المتاعب التى خلفتها الجوارى، وخصوصًا عند بعض الأسر الغنية؛ فقد ذكر عن أحد الأشخاص أنه ذهب عقله بسبب تعلقه بجارية أخيه التى باعها لغيره[1]. ثم نسمع خبرًا آخر ذا علاقة فيما ذكر عن مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر المعروف بالطليق، الذى كان قد تعشق جارية ربّاها أبوه معه، فاستأثر بها الأب دون الابن فاشتدت غيرته، فانتضى سيفًا، وانتهز فرصة خلوات أبيه معها فقتله، وأخذ إلى السجن، وذلك فى أيام محمد بن أبى عامر (ت٣٩٢هـ/١٠٠١م)، وهو ابن ست عشرة سنة، ومكث فى السجن ست عشرة سنة، وعاش بعد إطلاقه ست عشرة سنة، وهذا نادر الاتفاق، ومات قريبًا من سنة (٤٠٠ هـ/١٠٠٩م)[2].

* * *

(١) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٢) الكتانى، كتاب التشبيهات، هامش رقم (١)، ص٣٢. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٣٤٢-٣٤٣، الضبى، بغية الملتمس، ص٤٤٧. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٢٠-٢٢١. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص١٩١. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص٥٨٨. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسى، ص٧٢.

ثالثًا: الزواج المختلط وأثره الاجتماعى

١- ظهور جيل من الأبناء عُرِف (بالمولدين)

عند الحديث عن آثار الزواج المختلط فى المجتمع الأندلسى الذى أتينا على ذكر أهم آثاره، لا بد من القول إن ندرة الأخبار المتعلقة بهذا الجانب تشكل المعضلة الأولى التى تصادف الدارس، فقد أعرض جُلُّ من أرّخ لهذه البلاد عن ذكر آثار الزواج المختلط، بينما اكتفت القلة بتدوين شوارد لا تكاد تغنى الباحث؛ لذلك كان علينا، ونحن نبتغى كشف النقاب عن أثر الزواج المختلط -خاصة فى عهد بنى أمية بالأندلس- أن نتقصى الأخبار هنا وهناك، فكان أول الآثار ظهور جيل جديد من الأبناء، هؤلاء هم حصيلة الزواج المختلط بين الجانبين، أى الذين وُلدوا من آباء مسلمين، وهؤلاء من الإسبان دخلوا الإسلام، وأطلق عليهم اسم«الأسالمة»[1]، أو «المسالمة»[2] وأمهات إسبانيات، فى حين أطلق على جيل الأبناء اسم (المولدين)[3] وهو الجيل الذى يمثل الجمهرة العظمى من سكان الأندلس، ويبقى اسم (المولدين) يطلق على هذا الجيل حتى نهاية القرن الثالث الهجرى، ثم تلاشت هذه التسمية ولم نعد نسمع بها، وربما يُعزَى ذلك إلى اختلاط الناس، وتحوُّل أهل الدولة الإسلامية فى الأندلس إلى الأندلسيين دون تمييز[4] حتى لم يعد يرى فى هجنة

---

(١) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٧٥.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٩. ابن الأبار، التكملة، ج١، ص١٩٨. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٩.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٨، ١٠٧، ١٠٨. ابن رشيق، أبو على الحسن، العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط١، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، مطبعة حجازى، القاهرة، مصر، س ١٩٣٤م، ج١، ص٨٢، ٨٩. وسيشار إليه فيما بعد. ابن رشيق، العمدة، ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٩٩. ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص٥٥، ٧٤. ديوان ابن الحداد الأندلسى، مقدمة المحقق، ص٦٦. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٤٨، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٦، ١٣٣، ١٣٥.

(٤) عتيق، الأدب العربى فى الأندلس، ص١٣٥. ذنون طه، دراسات أندلسية (المجموعة الأولى)، ص٨٨. أبو دياك، صالح، الوجيز فى تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عصر المرابطين وملوك الطوائف، دراسة سياسية وحضارية، ط١، مكتبة الكتانى، أربد، س١٩٨٨م، ص٢٠٠. ويشار إليه فيما بعد: أبو دياك، الوجيز.

الأم بالأندلس أية سبة، بحيث تزايد عدد أبناء هذا الجيل (المولدين) حتى صاروا يكوِّنون مع طول الوقت أغلبية سكان الأندلس، وحسبنا أن نتصفح كتب التراجم الإسلامية؛ لنجد العديد من الأسماء التي تدل على أن أصحابها من أصل إسباني:

مثل ابن لب (Ibn-Lop)[1]، وابن فرتون (Foroon)[2]، وابن مارتين (Maritn)[3]، وابن القوطية (Al-Gothe)[4]، وشنجول (Shanchol)[5]، وابن غرسية (Garcia)[6]، وابن شبطون (Shebtoon)[7]، والأقشتين

---

(١) مثل لب بن موسى الثائر على غرسية في سرقسطة سنة (٢٥٧هـ/ ٨٧٠م). ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٣١٨. العذري، ترصيع الأخبار، ص٣١, ٣٢.

(٢) مثل فرتون بن موسى، قائد الثغر الأعلى (ت٢٦٠هـ/ ٨٧٣م). العذري، ترصيع الأخبار، ص٣٤.

(٣) سليمان بن مرتين، المولَّد الأصل، والثائر في بلدة ماردة على عبد الرحمن بن الحكم الثاني سنة (٢٢٠هـ/ ٨٣٥م). ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٨٤.

(٤) المؤرخ القرطبي، أبو بكر بن القوطية (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) صاحب كتاب افتتاح الأندلس. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، ص٧٦؛ الحميدي. جذوة المقتبس، ص٧٦. الضبي، بغية الملتمس، ص١١٢، المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٧٣، ٧٤، ١٧١، ج٤، ص٢٥.

(٥) مثل عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر، الملقب بشنجول، ديوان ابن دراج القسطلي، ص٥٠-٥١. ابن شهيد الأندلسي أبو عامر أحمد بن أبي مروان، ديوان، تحقيق يعقوب زكي، مراجعة محمود على مكي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ت، ص١٧. وسيشار إليه فيما بعد، ديوان ابن شهيد الأندلسي. ابن عذاري، البيان، ج٣، ص٤٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠٩.

(٦) الكاتب أحمد بن غرسية، من أهل مدينة الفرج، يكنى أبو عامر السرقسطي، أبو عبد الله بن محمد، روضة المحاسن وعمدة المحاسن، ديوان أبي بكر يحيى بن محمد الجزار السرقسطي، وفصول من كتاب بادرة العصر، تحقيق منجد، بهجت، مطبعة المجمع العلمي العراقي، س١٩٨٨م، ص٤٦. وسيشار إليه فيما بعد، السرقسطي، روضة المحاسن.

(٧) الفقيه زياد بن عبد الرحمن أول من أدخل إلى الأندلس فقه مالك، وكانوا قبل ذلك يتفقهون على مذهب الأوزاعي (ت١٩٩ أو ٢٠٣هـ/ ٨١٤ أو ٨١٨م) انظر في ذلك؛ الخشني، قضاة قرطبة، ص١٨-١٩. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص١٥٤-١٥٥. الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢١٩. ابن عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص٣٤٩-٣٥٠. المقري، نفح الطيب، ج١، هامش رقم (٨) ص٣٤٠. الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، س١٩٥٤م، ج١، ص١٣. وسيشار إليه فيما بعد، الناصري، الاستقصا.

(Al-Agustaine)[1] فى حين احتفظ الكثير من المولدين بأسمائهم الإسبانية القديمة أمثال بنو أنجلين (Angelino)[2]، وبنو شبرقة (Sabarica)[3]، وبنو الجريج(Jorge)[4]، وبنو القبطرية (Kabturna)[5]، وبنو مردنيش (Martinez)[6]، وبنو غرسية (Gercia)[7]، وبنو زدلف (Zadulfo)[8].

كما تلقبَ بعض المسلمين بألقاب الإسبان النصارى، تأثرًا بأمهاتهم الإسبانيات؛ أمثال ذلك: الأديب أبو جعفر بن عبد الله، الذى كان يعرف بابن شانجة[9]، كما عرف الشاعر أبو يوسف هارون الرمادى (ت٤٠٣هـ / ١٠١٢م) بلقب أباخنيث (الفارس)[10]، فى حين عرف عن بعض (المولدين) المشهورين بالعلم والفضل والتقوى من يرفع نسبه إلى أصول إسبانية، وهذه أسماء وألقاب تدل على أن أصحابها من أصل إسبانى نصرانى:

- أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية، من أهل قرطبة، كان من أعلم أهل زمانه، حافظًا للحديث والفقه يرجع بنسبه إلى جدته سارة القوطية حفيدة غيطشة (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧)[11].

(١) محمد بن عاصم المعروف بالأقشتين (ت٣٠٧هـ/ ٩١٩م) أول من ألّف طبقات الكتّاب بالأندلس، انظر، المقرى، نفح الطيب، (برواية الرازى)، ج٣، ص١٧٤-١٧٥. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٧٩. الضبى، بغية الملتمس، ص١١٧.

(٢) محمد بن عمر بن خطاب بن أنجلين، أحد زعماء المولدين فى إشبيلية فى عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) انظر؛ ابن حيان، المقتبس، نشر انطونية، ص٧٠، ٧٣، ٧٤.

(٣) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص٣١٢، ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص٧٤.

(٤) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص٧٤.

(٥) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٦٣٦، ٦٣٨، ج٣، ص٢٧٠، ج٤، ص٢٣٦.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٦، ٤٤٢.

(٧) ابن الأبار، التكملة، ج١، ص١٥.

(٨) مثل يحيى بن بكر بن زدلف المتزى بكورة اشكونية، والقائم بدعوة المولدين فى عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م)، ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص١٦.

(٩) الحميدى، جذوة المقتبس، ص٣٦٩-٣٧٠. ابن بسام، الذخيرة، (ق١-مج٢) ص٨١٤. ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص١٧٥.

(١٠) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٤٧. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٣٩٢-٣٩٣.

(١١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣١-٣٢. ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، ص٧٦. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٧٦. الضبى، بغية الملتمس، ص١١٢. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٥، ٢٦٦، -٢٦٧، ج٤، ص٢٥.

- سليمان بن أيوب بن سليمان بن حكم بن عبد الله بن بلكاش القوطى، من أهل قرطبة، كان من أهل العلم والنظر، بصيرًا بالاختلاف، حافظًا للمذاهب (ت٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)[١].

- الأديب محمد بن حسين المعروف بابن رُلان (أرليان) من أهل بلنسية «كان أديبًا متفننًا، متسع المعرفة واللغة، خيّرًا من أهل القرن والحمل له» (ت٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م)[٢].

- أبو عمر أحمد بن سليمان بن أيوب بن سليمان بن حكم بن عبد الله بن البلكايش بن أليان (يليان) القوطى، (ت٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) من أهل قرطبة «كان رجلاً صالحًا مشاركًا فى فنون من العلم مع سلامة وأمانة»[٣]، وهو كما يبدو من عقب يليان حاكم سبتة أيام الفتح الإسلامى للأندلس.

- محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة المعروف البرجون (ت٣٣٠هـ/ ٩٤١م)[٤] وبنو لبابة أو اللبابيّون أسرة قرطبية شهيرة ظهر منها العديد من العلماء منهم محمد ابن عمر بن لبابة (٢٢٥-٣١٤ هـ/ ٨٣٩-٩٢٦م)[٥]، وأخوه أحمد بن عمر بن لبابة (ت٣٢٥هـ/ ٩٣٦م)[٦].

- أبو وهب منتيل بن عفيف المرادى من أهل وشقة (ت٣١٧هـ/ ٩٢٩م)[٧].

- أبو عمر أحمد بن فرج بن منتيل، من أهل قرطبة (ت٣٤٤هـ/ ٩٥٥م)[٨].

- أبو عمر أحمد بن قزلمان (قرلمان) من أهل قرطبة، كان من العباد المتبتلين أمضى عمره يؤدب بالقرآن (ت٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)[٩].

---

(١) ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص١٨٨-١٨٩.

(٢) ابن الأبار، التكملة، ج١، ص٣٩٤.

(٣) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص٥٧.

(٤) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص٥٢، المقرى. نفح الطيب، ج٣، ص١٧١.

(٥) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، ص٣٤-٣٥.

(٦) المصدر نفسه، ق١، ص٣٧.

(٧) المصدر نفسه، ق٢، ص١٥٣.

(٨) المصدر نفسه، ق١، ص٤٠.

(٩) المصدر نفسه، ق١، ص٥٣-٥٤.

- أبو القاسم أحمد بن بيطير، من أهل قرطبة «حافظًا للفقه، عاقدًا للشروط مشاورًا فى الأحكام» (ت٣٠٣ هـ/ ٩١٥م)[١].

- صدقة بن أحمد بن لب من أهل إلبيرة، يكنى أبا القاسم، رحل إلى المشرق وسمع بمصر سنة (٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م) [٢].

- أحمد بن إبراهيم بن عجنس بن أسباط، من أهل وشقة (ت٣٢٢ هـ/ ٩٣٣م)[٣].

- عبد الله بن محمد بن خالد بن مرتنيل، من أهل قرطبة، كان من رأس المالكية بالأندلس (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)[٤].

- عبد السلام بن بسيل الرومى، أحد مشاورى عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٥- ٧٨٨م) ومولى عبد الله بن معاوية [٥].

يبدو من خلال العرض السريع لأسماء أبناء هذا الجيل أنهم كانوا يتخذون أسماء عربية، ويلفقون لأنفسهم أنسابًا إسبانية، كما كان من مظاهر التأثير الإسبانى على الأسماء العربية فى الأندلس إضافة المقطع الإسبانى الأخير، الذى يتكون من الواو والنون بالإسبانية للدلالة على التعظيم أو التكبير مثل: سحنون على سحن، وقنون على قن[٦]، وحفصون على حفص[٧]، وزيدون

(١) المصدر نفسه، ق١، ص٢٨.
(٢) المصدر نفسه، ق١، ص٢٠٣.
(٣) المصدر نفسه، ق١، ص٣٢.
(٤) المصدر نفسه، ق١، ص٢١٣. الضبى، بغية الملتمس، ص٣٢٩-٣٣٠.
(٥) المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص٤٥.
(٦) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص٨، ٣٠. ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجى، ص١٤٣. ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص٧٩. الحميدى، جذوة المقتبس، ص١-٣.
(٧) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٣٥. ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص٣، ٥، ٥٢، ٥٣، ٧٠، ٧٣. ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج٥، ص٦٦، ٦٧، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٣١، ١٣٨. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٩٩، ٤٠٦، العذرى، ترصيع الأخبار، ص١١، ١٢، المراكشى، المعجب، ص٣٠، ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٥٩، ٢٣٠. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٠٦، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٣١، ١٣٣. ابن الخطيب ، أعمال الأعلام، ص٣١، ٣٢، ٣٣، ابن خلدون، العبر، ج٤. ص١٣٤، المقرى، نفح الطيب، ج١، ص ٥٥٦، ج٢، ص١٤٩، ١٥٠، ٢١٥، ٦٣٠.

على زيد[١]، وفرتون على فرت[٢]، وخلدون على خالد[٣]، وسعدون على سعد[٤]، وغلبون على غالب[٥]، وزرقون على أزرق[٦]، كما أضافوا صيغة (يط) التى تدل على التكبير كما نرى فى لفظ مجريط (Madrid)[٧].

٢- دقة مصطلح (مُوَلَّد):

كانت طبيعة المجتمع الأندلسى مزيجًا من عناصر مختلفة اختلطت بالتزاوج والتقى فيها العربى والبربرى والقوطى واللاتينى، بحيث دفعهم بعدهم عن أوطانهم وأسرهم إلى مصاهرة أهالى البلاد المفتوحة، فقد أقبل على الزواج من الإسبانيات كما أسلفنا أول أمير عربى ولى أمر الأندلس بعد الفتح، كما أقبل عليه غيره من العرب[٨]، حتى ثبت أن جميع أمراء وخلفاء بنى أمية أبناء لغير عربيات، ومع هذا لا نسمع من يقول من مؤرخى الأندلس الأول فى أمراء وخلفاء بنى أمية أبناء أولئك السبيات كلمة (مولد)، مع العلم أن الإنصاف يقتضى جعلهم ضمن هذه الفئة، ولربما يعود أحد أسباب سكوت المصادر الأولية عن نعتهم بهذه الكلمة

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، (ق١-مج١) ص٣٧٧، ٤١٩. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٦٣. ابن عذارى، البيان، ج٣، ص٢٣٣. المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص٢٣، ٢٧، ٣٥٩.

(٢) العذرى، ترصيع الأخبار، ص٢٧، ٣٤.

(٣) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص١٥، ٧٠، ٧٩، العذرى، ترصيع الأخبار، ص١٠٣.

(٤) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص٢٨. ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص١٥، ٢٣. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢١.

(٥) المقرى، نفح الطيب، ج٢، ص١٣٥، ٢١٥، ج٤، ص٣١، ج٥، ص٦٢.

(٦) ابن عذارى، البيان، ج٤، ص٥٧.

(٧) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص٢٦٧. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٥٨. ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن أحمد، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادى التازى، وزارة الثقافة والفنون، العراق، س١٩٧٩م، هامش رقم (٢)، ص٢١٧، ٤٥٢. وسيشار إليه فيما بعد: ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن.

(٨) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٢١٢-٢١٣. ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا، ص٨٤. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٧-٢٨. مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢١-٢٢. القيروانى، تاريخ إفريقية، ص٩٤-٩٥. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٢، ابن عذارى، البيان ج٢، ص٢٣. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١.

إلى عامل الخوف؛ فلا نسمع من يقول فى الأندلس عن هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩ هـ/ ٩٧٦-١٠٠٨م) بأنه مولد، مع أنه تجرى فيه الدماء القوطية إلى جانب الدم العربى. وفى الوقت نفسه لا يقبل أى فرد من حكام بنى أمية أن يحمل هذه التسمية تمييزًا لهم عن غيرهم كونهم عاشوا جميعًا عربًا، وغيرهم فى ظلال وحدة واحدة؛ لهذا ذهب الكثير من المؤرخين المحدَثين(١) إلى القول بأن العرب الداخلين، قد ذابوا فى الجنس الإسبانى حتى لم يعُد لواحد منهم سوى قطرات قليلة من الدم العربى تمتزج بدمه الإسبانى، ويجرى (خوليان ريبيرا- J.Ribera)(٢) تجربة على الأسرة الأموية التى حكمت الأندلس، فيقول ما خلاصته: أن عبد الرحمن الداخل، كان يحمل نصف دم عربى فقط؛ لأنه كان من أم غير عربية، وكذلك ابنه هشام لا يحمل إلا ربع دم عربى؛ لأن أمه كانت أيضًا غير عربية، وهكذا تتناقص نسبة الدم العربى كلما مضينا من أمير إلى آخر بينما تتضاعف نسبة الدم الأجنبى، فالحكم بن هشام ليس له من الدم العربى إلا الثمن، وعبد الرحمن الثانى ليس له إلا جزء من ستة عشر جزء، والأمير محمد ليس له إلا جزء من اثنين وثلاثين، والمنذر بن محمد ليس له إلا جزء من أربعة وستين، وهكذا يمضى ريبيرا فى استشهاده التاريخى متسلسلاً حتى يصل إلى هشام الثانى، فلا يكون له من الدم العربى إلا جزء من ألف وأربعة وعشرين جزءًا، لكننا لا نستطيع أن نذهب مع ريبيرا فيما ذهب إليه من تجريد الأندلسيين من عروبتهم، ولا نستطيع أن نسلم بتلك التجربة التى أجراها على الأسرة الأموية الأندلسية إلى نهاية الشوط كدليل على ذوبان الدم العربى فى الدم الإسبانى؛ لأننا لا نتصور أولاً أن كل الذين جاءوا إلى الأندلس من الرجال قد تركوا نساءهم فى المشرق، ولأننا لا

(١) هيكل، الأدب الأندلسى، ص٣٤-٣٦. البيومى، محمد رجب، الأدب الأندلسى بين التأثر والتأثير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، س١٩٨٠م، ص٢٣٧-٢٣٨. وسيشار إليه فيما بعد، البيومى، الأدب الأندلسى. العبادى، فى تاريخ المغرب والأندلس، ص١١٦. عتيق، الأدب العربى فى الأندلس، ص١٣٥. شلبى، الأصول الفنية، ص٩١.

(٢) ريبيرا، خوليان، نظرية حول عروبة الأندلس، ترجمة عدنان مصطفى، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، ع١٢، س١٨٩م، ص١٨٥-١٨٦. وسيشار إليه فيما بعد بـ: ريبيرا، نظرية حول عروبة الأندلس.

نتصور ثانيًا: أن الوفود على الأندلس كان دائمًا من نصيب الرجال دون النساء. كما أننا لا نتصور أن العرب كانوا طوال العصر الأندلسى، لا ينجبون إلا الذكور ليتزوجوا بدورهم من النساء الإسبانيات فتضمحل بذلك الدماء العربية، كما وأننا لا نتصور أن كل عربى فى الأندلس كان ينجب دائمًا من إسبانية جديدة، فالمعقول أن توجد مولدات من أب عربى، وأم إسبانية، وبهذا احتفظ الأندلسيون، من غير قصد بنصف الدم العربى على الأقل. خلاصة القول: أن هؤلاء الأندلسيين من حيث الأصل شعب فيه دماء عربية، وفيه كذلك دماء إسبانية، وفيه موروثات من العرب والإسبان جميعًا، وإن كانوا مولدين جنسًا، ومختلطين دماءً، فهم عرب فى قوميتهم؛ لأنهم عرب فى عقيدتهم وثقافتهم ولغتهم وكل جوانب حضارتهم، فإذا كانت لهم بعض خصائص الإسبان فى الشكل أو فى الطبع فإن لهم جُلّ خصائص العرب فيما وراء الشكل والطبع[١]، ويكفى أن نورد دليلاً واحدًا يكفل لنا الحقيقة حين نقول: إن عمر بن حفصون كبير ثوار هذا الجيل، كان شديد الغيرة على الحريم، مستبصرًا فى عيونهن، غليظًا على رجاله فى مخالفة أمره، فكان لا جزاء عنده لمن كشف ستر امرأة أو رفع أثوابها عمًا سترته من خفى حُليِّها أو منفس ذخائرها إلا السيف[٢]، وهى صفات يحبها العربى الخالص؛ لأنها من شيمه وأخلاقه.

(١) هيكل؛ الأدب الأندلسى، ص٣٥-٣٦. ريبيرا، نظرية حول عروبة الأندلس، ص١٨٧.

(٢) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١١٤. الونشريسى، المعيار المعرب، ج١٠، ١١٢.

رابعًا:النتائج الإيجابية والسلبية للزواج المختلط

١- الاقتصاد فى نفقات الزواج:

مرَّ بنا أن محمد بن أبى عامر (المنصور) (٣٢٧-٣٩٢هـ/ ٩٣٨-١٠٠١م)، كان كثير الغزوات، فملأ الأندلس غناءً وسبيًا من بنات الروم، الأمر الذى ترتب عليه أن انخفض ثمن الجوارى بشكل ملفت للنظر، وحسبنا أن نتصفح المصادر التاريخية لنجد الكثير من النصوص التى نستدل من خلالها على هذا الانخفاض، فقد ذكر أن ابنة عظيم من عظماء الروم، لم تساوِ أكثر من عشرين دينارًا [١]، ولقد ترتب على هذا الرخص أن أقبل الناس على الزواج من السبايا، تاركين بنات الأحرار بدون زواج، مما دفع والد كل فتاة إلى المغالاة فى تجهيز ابنته؛ لترغيب الشباب فى الزواج من بناتهم، فيما يجهزونهن به من الثياب والحلى، وذلك لرخص أثمان بنات الروم ولولا ذلك لما تزوج أحد من بنات السكان الأصليين[٢].

٢- الأثر العمرانى:

احتفظ عدد كبير من أمراء وخلفاء بنى أمية إلى جانب زوجاتهم الشرعيات، بسرب من الحظايا (الحريم)، ومع أن هؤلاء الحظايا لم يبلغن من الكثرة مبلغهن بجانب زوجاتهم، إلا أنهن كن يعاملن معاملة الزوجات تقريبًا، بدليل أن الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله سنة (٣٢٥ هـ/ ٩٣٦م)[٣] بنى على مقربة من عاصمة ملكه قرطبة قصرًا أسماه الزهراء باسم جارية كان يحبها حبًّا شديدًا، تمنت عليه أن يبنى لها مدينة باسمها، فى وقت كان الخليفة فيه مولعًا بالبناء والتجديد، فأجاب رغبتها، وأنشأ لها مدينة فى سفح الجبل المسمى بجبل العروس،على بضعة

(١) المراكشى، المعجب، ص٢٠. امين، ظُهر الإسلام، ج٣، ص١٢٨. أبو صالح، الجوارى، ص٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٠-٢١، الدغلى. الحياة الاجتماعية ص١٧. التواتى، مأساة انهيار الوجود العربى، ص١٩١. السامرائى، تاريخ العرب، ص٤٢٨.

(٣) ابن عذارى ، البيان، ج٢، ص٢٠٩. المقرى، نفح الطيب،ج١، ص٥٢٤- ٥٢٦.

أميـال من قرطـبة [1] كـان ينفق على بنائها فـي كل سنة ثلث دخل الدولة، ولمدة خمس وعشرين سنة، ثم استمر ابنه من بعـده في الإنفاق عليها مدة خمس عشرة سنة، وبذلك يكون استـمـرار العمل في المديـنة نحواً من أربـعين عامًـا (٣٢٥-٣٦٦هـ/ ٩٣٦-٩٧٦)[2].

وهل يعقل أن يضـعف مثل هذا الرجل الذى استـذل الثوار، وتغلب على أهل العصـيان أمام حظيـة يمتلكها من بين مـئات الحظايا، اللواتى تغص بهن قـصوره، ويقضى خمسة وعشرين عامًا من حكمه فى بناء مدينة كرَّس من أجلها ثلث جباية أموال الدولة، ولا يتم بناؤها إلا بعد أربعين سنة من البـدء فيها! ولم تكن الزهراء هى الحظيـة الوحيـدة التى حـاولت تبذير أمـوال الدولة من أجل تحـقيق نزواتهـا ورغباتها، بل كانت من قبلها طروب زوجة عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦-٢٣٨ هـ/ ٨٢١- ٨٥٢م)، التى أغضبها يومًا فهجرته وصدت عنه، فاشتد قلق عبد الرحمن لهجـرها، وضاق ذرعًا من شوقها، وأجـهد نفسه فى مرضاتهـا، وأخيراً أعطاها عقـدًا ، شراؤه عليه عـشرة آلاف دينار، فى حين تذكـر بعض المصادر أن قيمته مائة ألف دينار، الأمر الذى جعل مَنْ حضر من وزرائه يستعظم ذلك[3].

٣- تفتيت وحدة الأسر الحاكمة:

رأينا سـابقًا كـيف كـانت البيـوت وقصـور الخلفـاء تعج بالحرائر والإمـاء من الإسبانيـات وغيرهن، كل هذا أدى إلى تعدد الأولاد فى البـيت الواحد من هؤلاء

(١) ابن الخراط، أبو محمـد عبد الحق بن عبد الله الأزدى، الأندلس فى اقتبـاس الأنوار فى اختصار أقبـاس الأنوار، تحقيق إيميليـو مولينا وخاثيـنتـو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمـية، مدريد، س ١٩٩٠، ص١٤٥. ويـشار إليه فيما بعد، ابن الخراط، الأندلس فى اقتباس الأنوار، المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٥٢٣. حـتاملة، محـمد عبـده، دراسة تاريخيـة لمؤلفات المؤرخ الإسبانى فرنشيـسكو خافيير سيمونيت، بحث مـقدم للندوة الدولية للثقافة العربية الإسـبانية عبر التاريخ) سوريا، دمـشق، ١٠-١٣/ كانون أول، س ١٩٩٠م، (مخ)، ص٨. وسيشار له فـيما بعد: حتاملة ، دراسة تاريخية.

(٢) المقرى، نفح الطيب، (برواية ابن حيان)، ج١، ص٥٢٤، ٥٢٦. سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، ص٢٣٤. عنان، تراجم إسلامية، ص١٨٨.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٤١. مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة، ص١٣٦. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٩٢. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٩.

وهؤلاء، وخصوصًا إذا كانت إحداهما حرة والأخرى جارية، الأمر الذى يجعل العداء نتيجة طبيعية بين الضرتين، والذى كان من شأنه غرس بذور العداوة والبغضاء بين أفراد البيت الواحد؛ فيحقد الأخ على أخيه، والوالد على ولده، وغالبًا ما كانت تنتقل عدوى العداء هذا إلى أفراد الشعب، فينقسمون انقسام القصر، فهذه فئة مؤيدة وتلك معارضة، ثم ما تلبث أن تتسع شقة الخلاف بين أفراد القصر ثم تنعكس بدورها على أفراد الشعب، ولعل نموذجًا واحدًا أسوقه يكفى للتدليل على هذا الخطر؛ فهذه طروب جارية عبد الرحمن بن الحكم الثانى وزوجه، طمحت نفسها إلى أن تحوز ولاية العهد لولدها عبد الله دون محمد بن الحرة أكبر أبناء عبد الرحمن سنًا وولى عهده، فنراها تجتهد اجتهادًا عظيمًا، وتدبر حيلة لاغتيال عبد الرحمن وولده الأكبر محمد ليخلو الجو لابنها عبد الله، فاتصلت بكبير خصيان القصر، واسمه نصر الفتى[1]، الذى كلف بدوره مطببًا وفد من العراق فى ذلك الحين يسمى (الحرانى)[2]، وطلب منه أن يعد سمًا، فأعده خوفًا على نفسه من طروب، وأفشى السر إلى جارية أخرى تسمى فجر، فأبلغت

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٦. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٣-١٢٤. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٦٩. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٤٥-٤٩. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٩٢. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص٦١٣.

(٢) لم يتيسر لى معرفة اسم الحرانى، حتى أن صاعدًا قال عنه: لم يبلغن اسمه، وكان عصره كما ذكر ابن جلجل، فى ولاية الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣ هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م)، أما القفطى فقد ذكره باسم الحرانى. انظر تفصيلات ذلك؛ ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة س١٩٥٥م، ص٩٤-٩٥. وسيشار إليه فيما بعد: ابن جلجل ، طبقات الأطباء. ابن صاعد، أحمد الأندلسى، طبقات الأمم، تحقيق حياة بو علوان، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان د.ت، ص١٨٦. وسيشار إليه فيما بعد: ابن صاعد، طبقات الأمم القفطى، جمال الدين أبى الحسن، تاريخ الحكماء من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص٣٩٤-٣٩٥. وسيشار إليه فيما بعد، القفطى ، تاريخ الحكماء، ابن أبى أصيبعة، موفق الدين أبو العباس، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق، نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، س١٩٦٥م، ص٤٨٦، وسيشار إليه فيما بعد: ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء.

الأمير، فلما أتاه نصر بالشراب المسموم طلب منه أن يشربه وهو فى حضرته، فلم يستطع إلا أن يفعل، ومات فى حينه[1].

هذا نموذج كان من شأنه تفتيت وحدة الأسرة الحاكمة، ويعكس صورة التصرفات غير اللائقة من جانب الزوجة تجاه زوجها، وإن كانت مهمتها لم تنجح كما نجحت صبح وعبدة النصرانية، وهذا ما سيتضح لنا فيما بعد.

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩٦-٩٧. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٩، ١٠، ١٤، ١٥، ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٤٩. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣٠.

خامسًا:صفات وطبع جيل الأبناء

١- الصفات الجمالية:

مرّ بنا أن محصلة الزواج المختلط بين أفراد الفتح والإسبان كان ظهور جيل جديد من الأبناء يتمتع بدرجة كبيرة من الجمال، عُرِف في المصادر التاريخية (بالمولدين)[١] نزاعًا إلى أمهاتهم اللواتى كن يتمتعن ببياض بشرة واصفرار شعر وزرقة عيون، وهى صفات يحبها العربى[٢]، ففضلوا أن تكون أمهات أولادهم من أولئك الشقراوات[٣]، ولم تقتصر سمات الجمال على فئة من الناس، بل أن كثيرًا من خلفاء الأندلس، كان يجرى فى عروقه الدم الإسبانى من جهة الأمهات والجدات، وظهر هذا واضحًا من صفاتهم الجسمية بدليل أن ابن حزم قال:[٥] «إن خلفاء بنى أمية - ولاسيما ولد الناصر - كانوا مجبولين على تفضيل البنت الشقراء، لا يختلف فى ذلك منهم مختلف، وقد رأيناهم، ورأينا من رآهم من لدن دولة الناصر إلى الآن، فما منهم إلا أشقر نزاعًا إلى أمهاتهم، حتى قد صار ذلك فيهم خلقة، حاشا سليمان الظافر فإنى رأيته أسود اللمة واللحية، أما الناصر، والحكم المستنصر، فحدثنى الوزير أبى أنهما كانا أشقرين أشهلين، وكذلك هشام المؤيد، ومحمد المهدى، وعبد الرحمن المرتضى، فإنى قد رأيتهم مرارًا، ودخلت عليهم فرأيتهم شقرًا شهلاً».

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٧، ١٠٨. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٨٥-٨٦. ابن حيان،المقتبس، نشر/أنطونية، ص٥٥، ٧٤. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٤٨، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٥، ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣٣, ١٣٥.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٤٤. ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص٤١، عتيق، الأدب العربى ، ص١٣٥. ترند، جى بى، إسبانيا والبرتغال، أشرف عليه السرتوماس أرنولد، علق عليه جبرجيس فتح الله، المطبعة العصرية، الموصل، س ١٩٥٤، ج٢، ص٣١٠. وسيشار إليه فيما بعد، ترند، إسبانيا. على، محمد كرد، غابر الأندلس وحاضرها، المكتبة الأهلية، مصر، س١٩٢٣م، ص٣٩-٤٠. وسيشار إليه فيما بعد، كرد، على غابر الأندلس.

(٣) عتيق، الأدب العربى، ص١٣٥.

(٤) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص٨٥-٨٦. خلاف، قرطبة الإسلامية، ص٢٣٥.

٢- تعصبهم لأبناء جلدتهم:

ساقت المصادر الكثير من النصوص التاريخية التى تبين طبع هذا الجيل، ومدى تعصبه لأبناء جلدته، فهذا ابن القوطية (Ibn- ALGothe)[١] المشهور بتعصبه للقوط لتحدره من هذه السلالة؛ لأن جدته حفيدة مليكهم غيطشة (Witiza) (٧٠١-٧٠٩ م) تراه شديد الحرص على ذكر الأخبار والحوادث التى تَمُت بصلة خاصة إلى مركز عائلته، وخصوصًا عندما تحدث عن بداية الفتح إذ نجده يحرص على ذكر العوامل التى ساعدت طارق بن زياد على ربح المعركة، جاعلاً الفضل إلى يُليان ذلك الشخص الذى اختلفت آراء المؤرخين المسلمين فى تحديد نسبه وعمله؛ فبعضهم ذكر أنه كان قوطيًا[٢]

---

(١) أبو بكر، محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم، كان من أعلم أهل زمانه باللغة العربية، واسع الثقافة، حافظًا للحديث والفقه، يجرى فيه جانب من الدم العربى، فهو مولى بن أمية، ولكنه من جانب آخر يتحرك فى أعماقه إنسانًا يغلى فيه الدم الإسبانى، وشرف أسرة نبيلة تنتمى إلى الأسرة القوطية المالكة التى ترجع فى نسبها إلى جدته سارة القوطية حفيدة غيطشة، التى ذهبت إلى دمشق تشكو إلى الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٣-٧٤٢م) ظلامة أصابتها من عمها أرطباس، فأنصفها وزوجها من عيسى بن مزاحم، الذى قدم الأندلس معها وسكنا إشبيلية، انظر بشأن ذلك؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣١، ٣٢. ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، ص٧٦. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٧٦، ابن خاقان، مطمح الأنفس، هامش رقم (١)، ص٢٨٨. الضبى، بغية الملتمس، ص١١٢. ياقوت، معجم الأدباء، ج١٨، هامش رقم(١)، ص٢٧٢-٢٧٣. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، س ١٩٧٠، ج٤، ص ٣٧٠-٣٧١. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خلكان، وفيات الأعيان. العسقلانى، شهاب الدين أبو الفضل، لسان الميزان، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت، ج٥، ص٣٢٤-٣٢٥. وسيشار إليه فيما بعد: العسقلانى، لسان الميزان. السيوطى، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، ط٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر، مصر الجديدة، س١٩٧٩م، ج٢، ص٨٤-٨٥. وسيشار إليه فيما بعد: السيوطى، بغية الوعاة. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٥، ٢٦٦-٢٦٧. الحنبلى، أبو الفلاح عبد الحى بن العماد، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، تحقيق لجنة التراث العربى، دار الآفاق، بيروت، د.ت، ج٣، ص٦٢. وسيشار إليه فيما بعد: الحنبلى، شذرات الذهب.

(٢) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، ص٧١، ١٠٣، ٢٢٢.

أو روميا[1]، أو علجا[2]، أو بربريا[3]، أما من حيث عمله فبعضهم ذكر أنه كان رجلاً شريفًا فى قومه[4]، ورأى بعض آخر أنه كان بطريقًا[5]، وهناك رأى ثالث جاء واضحًا فى بعض المصادر، وقد أفاد أنه كان حاكمًا لمدينة سبتة[6]، ومدينة طنجة وما حولهما[7]، وذكر آخرون أن يُليان كان حاكمًا للجزيرة الخضراء[8]، بينما ذهب بعضهم إلى القول بأن يُليان كان تاجرًا، يجلب البزّات والخيل من بلاد البربر إلى الأندلس، وكان من سيَر أكابر العجم بالأندلس أن يبعثوا أولادهم الذين يريدون منفعتهم إلى بلاد الملك بطليطلة (Toledo)؛ ليصيروا فى خدمته ويتأدبوا بأدبه، فاتفق أن فعل ذلك يُليان عامل لذريق (Roderic) على «سبتة بابنة جميلة له تسمى فلوريندا(Florinda)، فلما صارت عند لذريق وقعت عينه عليها فأعجبته، وأحبها حبًا شديدًا، ولم يملك نفسه فاستكرهها حتى افتضّها، فاحتالت عليه حتى أعلمت أباها بذلك سرًا، فاشتدت حميته من فاحشة ابنته، وأقبل إلى طليطلة نحو لذريق، فأنكر عليه مجيئه، وسأله عما لديه، وتحايل عليه باعتلال زوجته وشدة شوقها إلى رؤية بنتها التى عنده، وتمنيها لقاءها قبل الموت، وإلحاحها عليه فى إحضارها[9] وما أن تم له الأمر حتى صمم على الانتقام من لذريق، وتقدم منه يطلب السفر مجددًا إلى المغرب بحجة أنه ترك وراءه بزّات وخيولاً، لم ير مثلها من قبل، فأعطاه لذريق المال الكافى لإتمام الصفقة التجارية، وأرسله فاتصل فور وصوله بطارق بن زياد وأغراه بالفتح، فاستشار بدوره موسى بن نصير فأذن له[10]،

(١) ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٤.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١١٧.

(٤) القيروانى، تاريخ إفريقية، ص٤٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٥٦١.

(٦) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٣١، ٢٥١.

(٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٣-٣٤. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٤-١٥.

(٨) المراكشى، المعجب، ص٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٥٦١. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٥.

(٩) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٣-٣٤. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٥١-٢٥٢.

(١٠) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٣-٣٤.

هذا شاهد يبين لنا مدى التأثير الشخصى؛ إذ أنه من غير المعقول أن تنحصر عوامل الفتح الداخلية والخارجية بشرف فتاة، أو حتى يكون سببًا للتعجيل بفتح الأندلس.

وفى موضع آخر تراه يهمل شؤون النصارى إهمالاً تامًا، إلى جانب أنه لا يشير إلى خصوم بنى أمية المناهضين من أبناء جلدته، وهذا ناتج عن التأثير الشخصى، بل يذكر النصوص التى تُظْهِر أبناء جلدته بمظهر حسن مبالغًا فى تمجيدهم، بدليل أن الصميل بن حاتم زعيم القبائل القيسية بالأندلس، ذهب يومًا إلى أرطباس (Ardabast) وبرفقته عشرة من رؤساء عرب الأندلس، ومواليهم؛ ليطلب منه أن يمنحهم شيئًا من الأرض، فحاوره أرطباس محاورة الند للند، بل أخذ يقرّعه ويقول له: (يا أبا جوشن) إن أهل ديانتك يخبروننا أن أدبهم لم يُخزك، ولو أخزاك لم تُنكر علىّ برّ من بررت، ثم مضى يلقى عليه درسًا فى الإيمان فقال: إنكم بإكرامكم مَن أكرم الله إنما تكرمونه عز وجل، وقد روينا عن المسيح عليه السلام أنه قال: «من أكرم اللهُ من عباده وجبت كرامته على جميع خلقه، فكأنما ألقمه حجرًا» وكان الصّميل أميًا؛ فلذلك عرّض به، فقال له القوم: دعنا من هذا، وانظر فيما قصدنا له؛ فحاجتنا حاجة الرجل الذى قصدك فأكرمته، فانظر فى شأننا، فقال: أنتم ملوك الناس، ووهبهم مائة ضيعة صار لكل واحد منهم عشر ضياع(١). وقد يعكس هذا النص صورة المعاملات بين العرب الفاتحين، وأهل البلاد إذا أضفنا أن واحدًا من كبار صالحى العرب وهو ميمون العابد، أتى ليطلب من أرطباس أن يعطيه ضيعة، ليعمرها بيده، ويؤدى إليه الحق عنها، ويأخذ حقه، فقال له أرطباس: لا واللهِ ما أرضى أن أعطيك ضيعة مناصفةً» ودعا بوكيل له فقال له: «ادفع إليه الضيعة التى بجيان (Jaen)»(٢).

---

(١) انظر رواية الفقيه محمد بن عمر بن لبابه المالكى. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٧-٢٦٨. ومقارنتها برواية ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦١-٦٣. يلاحظ أن ابن القوطية حينما يمجد أرطباس فى كتابه فهو يتعصب لقرابته، أبو ضيف، القبائل العربية، ص١٨٤-١٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٦١-٦٢. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٧-٢٦٨.

الفصل الثالث

أثر المرأة والزواج المختلط فى الحياة الثقافية فى الأندلس

أولاً: منزلة المرأة الثقافية فى المجتمع الأندلسى.

ثانيًا: عوامل انطلاقة النهضة الثقافية النسوية فى الأندلس:

١- تشجيع الخلفاء.

٢- حرية التعليم.

ثالثًا: انتقال الثقافة بواسطة المرأة المشرقية إلى الأندلس.

رابعًا: المجالات الثقافية التى ساهمت فيها المرأة:

١- الدراسات الدينية.

٢- الدراسات الأدبية.

٣- الموسيقى والغناء.

خامسًا: الوظائف الثقافية التى مارستها المرأة الأندلسية:

١- المؤدبة.

٢- الكاتبة.

سادسًا: الزواج المختلط وأثره فى الحياة الدينية والثقافية:

١- اعتناق الإسبان الإسلام.

٢- انتشار اللغة الإسبانية.

أولاً: منزلة المرأة الثقافية فى المجتمع الأندلسى

استطاعت المرأة الأندلسية أن تحرز منزلة ثقافية رفيعة؛ ذلك لأن المجتمع الأندلسى أعطى للمرأة حرية أكبر فى التعبير عن ذاتها وشخصيتها، فكانت أكثر قدرة على الحركة، تتعلم وتتفقه فى الدين، وتدرس الأدب وتنظم الشعر؛ لهذا كان اهتمام المجتمع بمقدرة المرأة على التفقه والتعلم يمثل دافعًا للمرأة على المشاركة فى تطوير الحياة الثقافية، لهذا كثرت النساء اللواتى برزن فى مجالات العلم والأدب، وتردد بعضهن على مجالس الرجال الأدبية والعلمية(١). كما كان لبعض النساء مجالس خاصة بهنّ يؤمّها الرجال والنساء على السواء(٢). ولم يكن نتاج المرأة الأدبى ليهمل أو يُنظَر إليه نظرة غير لائقة، بل كان يحفظ ويردد من جيل إلى آخر، فقد ذكر عن الشاعر الأديب على بن إسماعيل الفهرى القرشى(٣)، أنه حفظ شعر عشرين امرأة أعرابية(٤). كما برزت المرأة أيضًا ككاتبة لدى بلاط الخلفاء(٥).

ولربما كان هذا تشجيعًا لها على مقدرتها الأدبية والعلمية فى رفد الحياة الثقافية، كالذى عُرف عن بعض النساء العالمات والشاعرات، مثل فاطمة بنت يحيى بن يوسف المتوفاة سنة (٣١٩هـ/ ٩٣١م)(٦).

(١) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٦١٧ - ٦١٨.

(٢) الضبى، بغية الملتمس، ص٥٤٧. ابن بسام، الذخيرة، (ق١ - مج١)، ص٤٢٩. ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٦. ابن دحية، المطرب، ص٨.

(٣) على بن إسماعيل: المعروف بابن سيده من أهل مُرسية، إمام فى اللغة العربية وله حظ من الشعر كان ضريراً، وله عدة كتب منها المحكم فى اللغة، والمخصص، وكتاب الأنيق، توفى سنة (٤٦٠هـ). انظر ترجمته؛ الحميدى، جذوة المقتبس، ص٣١١ - ٣١٢. ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٤١٧. الضبى، بغية الملتمس، ص٤١٨ - ٤١٩. ابن فرحون المالكى، الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث، القاهرة د.ت، ص١٠٦ - ١٠٧. وسيشار إليه فيما بعد: ابن فرحون، الديباج.

(٤) الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٥ - ق١)، ص١٩٥.

(٥) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٢. الضبى، بغية الملتمس، ص٥٤٦. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨ - ق٢)، ص٤٩٢.

(٦) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩١. الضبى، بغية الملتمس، ص٥٤٧.

والشاعرة حفصة بنت حمدون التى سكتت المصادر عن تحديد تاريخ وفاتها، بل اكتفت بالقول إنها عاشت فى القرن الرابع الهجرى[1]. كما عُرفت حسانة التميمية بأنها شاعرة، وإن كانت المصادر لم تشر إلى تاريخ مولدها أو وفاتها بل اكتفت بالقول إنها عاشت فى أيام الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦هـ/ ٧٩٦ - ٨٢١م)[2].

كما أخبر عن نساء قمن برحلات إلى المشرق؛ لأداء فريضة الحج، واللقاء مع العلماء المرموقين، فقد ذكر عن أم الحسن ابنة أبى لواء سليمان من بنى وانسوس، إنه كان لها رحلتان لأداء فريضة الحج؛ الأولى حجت وسمعت هناك الحديث والفقه عن بقى بن مخلد المتوفى سنة (٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، وعادت إلى الأندلس، وفى الثانية حجت ولم يكتب الله لها الحياة، ودفنت هناك[3].

كما أخبر عن نساء جلبن من المشرق، لا سيما الجوارى كنّ قد اشتهرن بجميل خلقهن وحسن طباعهن، بالإضافة إلى شهرتهن فى الثقافة الدينية، والأدبية، والغنائية، ففى الثقافة الدينية تبرز لنا الجارية عابدة المدنية التى دخلت الأندلس مع حبيب بن الوليد المعروف بدحون، كان قد وهبها محمد بن يزيد بن مسلمة لدحون أثناء رحلته للحج، وذلك فى أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦ - ٢٣٨هـ/ ٨٢١ - ٨٥٢م)، وكان حبيب مهتمّاً بالحديث؛ ولهذا تزوجها لأنه وجد فيها اهتمامًا كبيرًا برواية الحديث، فقد كانت تروى عشرة آلاف حديث عن مالك ابن أنس، وأنجبت من حبيب ولدًا اسمه بشر، ويذكر أنه نشأ محدثًا أيضًا[4]. وفى الوقت نفسه نشأت لبشر هذا ابنة هى عبدة صارت هى الأخرى راوية، تروى عن أبيها أشعاره، وأخباره[5].

---

(١) ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج٢، ص٣٧. المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص٢٨٥.

(٢) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٣٠ - ١٣١. الحميدى، جذوة المقتبس، ص١ - ٤. ابن الأبار، التكملة، (مخ)،ص١٤٩. المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص١٦٧.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٤. ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٥٣. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨ - ق٢)، ص٤٨١.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٩٤ - ٩٦. ابن الأبار، التكملة، ج١، ص٢٢٤ - ٢٢٥. ابن سعيد ورفاقه، المُغرب، ج١، ص٦٢ - ٦٣. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص١٣٩ - ١٤٠. مؤنس، شيوخ العصر، ص٤٢. ريبيرا، التربية الإسلامية، ص١٦٠.

(٥) ابن الأبار، التكملة، ج١، ص٢٢٤ - ٢٢٥. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨ - ق٢)، ص٤٨٨. ريبيرا، التربية الإسلامية، ص١٦٠.

ثانيًا: عوامل انطلاقة النهضة الثقافية النسوية فى الأندلس

١- تشجيع الخلفاء:

ساهمت عدة عوامل فى تطوير الحياة الثقافية، والعلمية فى الأندلس، ويشهد بذلك ما أنتجه العرب المسلمون فى الأندلس تحت رعاية الأمراء، والخلفاء، وأرباب الدولة فى مجال العلم، والفن، والأدب، حيث عُرف عن عبد الرحمن بن معاوية (١٣٨ - ١٧٢هـ/ ٧٥٥ - ٧٨٨م)، أنه كان فصيحًا بليغًا، حسن التوقيع، مليح الفصول، مطبوع الشعر، معدودًا من أهل العلم[١]. كما عُرف عن الأمير محمد بن عبد الرحمن الثانى (٢٣٨ - ٢٧٣هـ/ ٨٥٢ - ٨٨٦م) أنه كان أعلم الناس بالحساب، فشهر عنه أن بعض خزانه رفع إليه براءات إنفاق بنحو مائة ألف دينار كى يتفحصها، فيوقع له بإمضائها، بعد أن أجهد ذلك الخازن نفسه فى تجميلها، وأرهق فكره فى تصحيحها، وقال للفتى المدخلَها إليه: «ردها إلى الخازن، وقل له: فليصلح الخطأ الذى فيها، ويصحح حسابها[٢]، فرجعوا إليه معترفين بالتقصير، وأعلموا الرسول فردَّ الصكَّ إليه وأعلمه باعترافهم، فعلَّم لهم على موضع الخطأ فإذا هو خمس دراهم[٣]».

كما كان مكرِمًا لأعلام الناس، مقدمًا إياهم برفع مجالسهم، مسعفًا، رعايتهم، متوقفًا على السماع من بعضهم فى بعض[٤]. إضافةً إلى أنه كان مؤثرًا لأهل الحديث، بدليل ما ذُكر عنه حين دخل أبو عبد الرحمن بقى بن مخلد الأندلس (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، بكتاب مصنف، جعل يتصفحه جزءًا جزءًا، حتى أتى على آخره، ثم قال لخازن الكتب: هذا كتاب لا تستغنى خزانتنا عنه، فانظر فى نسخة لنا، ثم قال لبقى بن مخلد: انشر علمك، وارو ما عندك من الحديث، واجلس للناس حتى ينتفعوا بك، ونهاهم عن أن يتعرضوا له[٥].

(١) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص١٩١. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٦٠. النويرى، تاريخ المغرب، ص٥٧. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٠.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٣٦. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٠٧.

(٣) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٠٧.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٢٤٥.

(٥) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص١٩٢ - ١٩٣.

كما نال الشعراء حظاً وافراً لدى حكام الأندلس، بحيث عُرف عن الأمير المنذر بن محمد (٢٧٣ - ٢٧٥هـ/ ٨٨٦ - ٨٨٨م)، أنه كان «يجزل العطاء للشعراء، فينشدونه غازيًا وراجعًا»[١]. وعُرف عن عصر الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ/ ٩١٢ - ٩٦١م)، أنه كان عصر نهضة في العلوم والآداب والفنون وغيرها، وقد ذكرت المصادر التاريخية بعضًا من اهتماماته العلمية والأدبية ورعايته للعلوم والعلماء، مثال ذلك؛ سماعه من العلماء[٢]، وارتياحه للشعر [٣]، وطلبه انتساخ شعر حبيب بن أوس الطائي من قبل مجموعة من أدباء الأندلس[٤]، وتكريمه لبعض العلماء من الأندلسيين والمشارقة[٥]. كما جلبت في عهده المؤلفات الجليلة، والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة من المشرق، حتى قيل إن ما جمعه في مدة ملكه، كان يضاهي ما جمعه ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة؛ وذلك لفرط محبته للعلم[٦]. كل هذا يقودنا إلى القول بأن خلفاء بني أمية ساهموا في رفد الحركة العلمية والأدبية، وتقريب العلماء والأدباء رجالاً ونساءً، وحضور مجالسهم، والمشاركة في مناقشاتهم، وحثهم على التأليف، والتصحيح، والترجمة، والمناظرات العلمية، والأدبية، فقد ذكر عن محمد بن أبي عامر (المنصور) أنه كان له مجلس في كل أسبوع يجتمع فيه مع أهل العلم للمناظرة بحضرته[٧].

---

(١) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٢٠.

(٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص٣٦٦.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا ج٥. ص٤٠ - ٥٠.

(٤) الزبيدي، محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، س١٩٧٣م، ص٢٨٢ - ٢٨٣. وسيشار إليه فيما بعد بـ: الزبيدي، طبقات النحويين.

(٥) مثال ذلك: الأديب أبو علي إسماعيل القاسم البغدادي المعروف بالقالي، الذي وفد على الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله من أقصى أرض العراق، فأكرم الناصر وفادته، وأحسن تقبله، ولقي اهتمامًا كبيراً من قبل الحكم ولي العهد بفضل عنايته بالعلم ونزاعه إلى أهله، انظر بشأن ذلك: الزبيدي، طبقات النحويين، ص٢٩١. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، ص٤٥. ابن صاعد، طبقات الأمم، ص١٦٦. ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا، ص٤٧٩ - ٤٨٠. الضبي، بغية الملتمس، ص٤٦٥. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٦٩. المقري، نفح الطيب، ج٣، ص١٤٣.

(٦) ابن صاعد، طبقات الأمم، ص١٦٢ - ١٦٣.

(٧) المراكشي، المعجب، ص٢٠.

٢- حرية التعليم

أتاحت حرية الحياة العلمية الإسلامية الفرصة للنساء والرجال فى التعلم، والاستزادة من العلم، فتكونت عند سكان الأندلس، قاعدة علمية متينة تتصف بالبراعة، وفى ذلك قال المقرى[(١)]: «كالغريزة لهم حتى فى نسائهم وصبيانهم» ولم تكن حرية التعليم قاصرة على صنف واحد من النساء، بل شملت جميع الأصناف حتى القينات، ويؤيد ذلك ما ذُكر عن الطبيب محمد بن الكنانى أنه أوجد سوقًا لقيانه ليعلمهن الكتابة، والإعراب، وغير ذلك من فنون الآداب؛ ليبيعهن بأغلى الأثمان[(٢)]، فقد ذكر عنه أنه باع قينة لهذيل بن رزين[(٣)] بثلاثة آلاف دينار[(٤)]. كما ورد عن ابن حزم أنه تلقى علومه الأولية فى بيته، حيث طلب والده إلى بعض جواريه أن يقمن بتلقينه الأشعار والأخبار[(٥)]. كما كان لحكام بنى أمية نصيب فى تشجيع النساء على الاستزادة، وفى هذا الخصوص فقد ذكر عن الحكم المستنصر بالله (٣٥٠ - ٣٦٦هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م)، أنه أخرج من قصره وصيفة غلامية ذكية كاتبة، فأمر أبا القاسم سليمان بن أحمد بن سليمان الأنصارى المعروف بالرصافى أن يعلمها التعديل، وخدمة الاسطرلاب، وما يجرى مجرى هذا، فقبلت هذا وحذقته، حتى أنها أتقنت تعليم هذه العلوم فى ثلاثة أعوام، فأعجب الحكم بها،

---

(١) المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص١٦٦. عجيل، كريم حسين، الحياة العلمية فى مدينة بلنسية الإسلامية (٩٢ - ٤٢٢هـ/ ٧١١ - ١٠٣٠م)، ط١، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، بغداد، س١٩٧٦م، ص١٩٢. وسيشار إليه فيما بعد، عجيل، الحياة العلمية فى مدينة بلنسية.

(٢) ابن بسام الذخيرة، (ق٣ - مج١)، ص٣١٩ - ٣٢٠. ابن عذارى، البيان ج٣، (براوية ابن حيان)، ص٣٠٨. أرسلان، الحلل السندسية، ج٢، ص١٠١.

(٣) هذيل بن خلف بن لب بن رزين البربرى أبو محمد، كان يقال له الأصلع، كان من كبار الناس بشنتمريه، بارع الجمال حسن الخلق جميل العشرة، ثار بشنتمريه فى شرق الأندلس على أثر قيام ابن عبد الجبار بثورته (س٣٩٩ - ٤٢٠هـ/١٠٠٨ - ١٠٢٩م) والذى تمكّن بثورته هذه من إقامة دولة سميت بدولة بنى رزين، وبويع له بها (س٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، انظر؛ ابن عذارى، البيان، ج٣، ص٣٠٧ - ٣٠٨.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، (ق٣ - مج١)، ص٣٢٠. ابن عذارى، البيان، ج٣، ص٣٠٨.

(٥) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص١٦٦.

وألزمها بممارسة ما تعلمته فى داره، وأغدق على سليمان العطايا، وحظى بتكريمه[1].

كل هذا يقودنا إلى القول بأن المرأة العربية، لم تكن بعيدة عن الميدان الأدبى والثقافى فى الأندلس، وإنما كانت تساهم فى النهضة، وتحمل على كاهلها مثل الرجال سواء بسواء، ويشهد على ذلك كثرة أعلام النساء اللائى طرقن مجالات أوسع فى العلوم والآداب[2].

ومن الأسماء التى اشتهرت بذلك:

- الشاعرة حسانة التميمية، عاشت فى أيام الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦هـ/ ٧٩٦ - ٨٢١). ثم اتصلت بعهد ابنه عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨هـ/ ٨٢١ - ٨٥٢م)[3].
- الشاعرة فاطمة بنت يحيى بن يوسف (ت ٣١٩هـ/ ٩٣١م)[4].
- الشاعرة عائشة بنت أحمد بن محمد القرطبية (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)[5].
- الشاعرة حفصة بنت حمدون (عاشت فى القرن الرابع الهجرى)[6].

---

(١) الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨ - ق٢)، ص٤٩٥.

(٢) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٦. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨ - ق٢)، ص٤٨٣. ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم، تراجم الغرباء من صلة الصلة، نشرت ضمن كتاب الذيل والتكملة، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، س١٩٨٤م (س٨ - ق٢)، ص٥٦٥ - ٥٦٨. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الزبير، تراجم الغرباء. بهجت، منجد مصطفى، الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢ - ٨٩٧هـ) مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، س١٩٨٨م، ص٢٥. وسيشار إليه فيما بعد: بهجت، الأدب الأندلسى. أبو الخشب، إبراهيم على، تاريخ الأدب العربى فى الأندلس، دار الفكر العربى، القاهرة، س١٩٧٠م، ص٢٠٩. وسيشار إليه فيما بعد: أبو الخشب، تاريخ الأدب العربى.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٣٠ - ١٣١. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٤٠١. ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٤٩. المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص١٦٧.

(٤) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩١. الضبى، بغية الملتمس، ص٥٤٧.

(٥) المصدر نفسه، ق٢، ص٦٥٤. المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص٢٩٠.

(٦) ابن سعيد ورفاقه: المغرب، ج٢، ص٣٧. المقرى، نفح الطيب، جـ٤، ص٢٨٥.

- الشاعرة الغسانية البجانية (عاشت فى القرن الرابع الهجرى)(1).

- الكاتبة البهاء بنت الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)(2).

- مزنة كاتبة الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر (ت ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م)(3).

- الكاتبة زمرد (ت ٣٦٦هـ/ ٩٤٧م)(4).

- الكاتبة لبنى: عالمة بالنحو، بصيرة بالحساب والعروض، كانت تكتب الخط (ت ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م)(5).

- الكاتبة فاطمة بنت زكريا بن عبد الله (ت٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م)(6).

- الراوية أسماء بنت أبى داوود سليمان مولى أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله (٣٦٦ - ٣٩٩هـ/ ٩٧٦ - ١٠٠٨م)(7).

- الراوية راضية مولاة الإمام عبد الرحمن الثالث الناصر (ت ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م)(8).

- الراوية أمة الرحمن بنت أحمد (ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)(9).

- المؤدبة مريم بنت أبى يعقوب الأنصارى (عاشت فى القرن الرابع الهجرى)(10).

(١) الحميدى، جذوة المقتبس، ص٤١٣. الضبى، بغية الملتمس، ص٥٤٤ - ٥٤٥. ابن سعيد ورفاقه، المُغرب، جـ٢، ص١٩٢. السيوطى، نزهة الجلساء، ص٩٣. المقرى، نفح الطيب، جـ٤، ص١٧٠.

(٢) ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٥٢. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨ - ق٢)، ص٤٨٤.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٢. الضبى، بغية الملتمس، ص٥٤٦. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨ - ق٢)، ص٤٩٢.

(٤) الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨ - ق٢) ص٤٨٥.

(٥) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٢. الضبى، بغية الملتمس، ص٥٤٦. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨ - ق٢)، ص٤٩٢. السيوطى، بغية الوعاة، جـ٢، ص٢٦٩.

(٦) المصدر نفسه، ق٢، ص٦٩٤.

(٧) ابن الأبار، التكملة، مخ، ص١٥٧. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨ - ق٢)، ص٤٧٨.

(٨) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٣ - ٦٩٤.

(٩) المصدر نفسه، ق٢، ص٦٩٤. ابن الأبار، التكملة، جـ١، ص٣٨٨.

(١٠) المقرى، نفح الطيب، جـ٤، ص٢٩١.

ثالثًا: انتقال الثقافة بواسطة المرأة المشرقية إلى الأندلس

لم تعُد طرق انتقال الثقافة من المشرق إلى الأندلس مقتصرةً على ما ينقله الحجاج، بل تعدتهم إلى الوافدين الذين جاءوا خصيصًا لنشر مواهبهم، وصناعاتهم، فعلى سبيل المثال كانت صناعة الموسيقى والغناء التى انتقلت إلى الأندلس عن طريق المغنيات اللواتى جُلبن من المشرق خير شاهد على ذلك، وقد ذُكِر عن الأمير عبد الرحمن بن معاوية المعروف (بالداخل) (١٣٨ - ١٧٢هـ/ ٧٥٥ - ٧٨٨م)، أنه أول من مهد الطريق لمغنيات المشرق للدخول إلى الأندلس، وذلك عند سماعه بأدب جارية اسمها العجفاء[١]. فبعث إلى صاحبها فاشتراها، وحملت إليه فكانت هذه أول مغنية دخلت الأندلس، تجيد الغناء إجادة عظيمة، بحيث عُدَّت أحسن الناس غناءً، وقد صوّر المقرى مجلسًا أنشدت فيه العجفاء ألطف تصوير وأعذبه حين قال:[٢] إن الأرقمى قال لأبى السائب، الذى عُرف من أهل الفضل والنسك: هل لك فى أحسن الناس غناءً؟ فجئنا إلى دار مسلم بن يحيى مولى بنى زهرة، فأذن لنا فدخلنا بيتًا عرضه اثنا عشر ذراعًا فى مثلها، وطوله فى السماء ستة عشر ذراعًا، وفى البيت نُمْرُقَتَان[٣]. قد ذهب عنهما اللحمة، وبقى السدى، وقد حُشيتا بالليف،

(١) العجفاء: لم يتيسر لى معرفة اسمها، وإنما عرفت بصفتها، كانت عجفاء هزيلة ضعيفة نحيلة، ربما يعزى ذلك لسيدها الذى كان رجلاً فقيراً اسمه مسلم بن يحيى، كان يسكن معها فى بيت صغير حقير لا يكاد يضم من الأثاث سوى نمرقتين قد ذهب عنهما اللحمة. انظر؛ المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص١٤١ - ١٤٢. الشكعة مصطفى، الأدب الأندلسى، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، س١٩٨٣م، ص١١٩ - ١٢٠. وسيشار إليه فيما بعد: الشكعة، الأدب الأندلسى. أبو صالح الجوارى، ص٧٧.

(٢) المقرى، نفح الطيب، جـ٣، ص١٤١ - ١٤٢. العبادى، أحمد مختار، الأعياد فى مملكة غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، مدريد، س١٩٧٠م، مج١٥، ع٥، ص١٤٤ - ١٤٥. وسيشار إليه فيما بعد: العبادى، الأعياد فى مملكة غرناطة. كحالة، عمر رضا، أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام، ط٣، مؤسسة الرسالة، س١٩٧٧م، جـ٣، ص٢٥٥ - ٢٥٧. وسيشار إليه فيما بعد: كحالة، اعلام النساء. أبو صالح، الجوارى، ص٧٧ - ٧٨. الشكعة، الأدب الأندلسى، ص١١٩ - ١٢٠. عباس، تاريخ الأدب الأندلسى، ص٥٣.

(٣) نمرقتان: مفردها نمرقة، وهى الوسادة يتكئ عليها، وقد جاء ذكرها فى محكم التنزيل =

وكرسيّان قد تفككا من قدمهما، ثم طلعت علينا عجفاء كلفاء، فقلت لأبي السائب: بأبي أنت! ما هذه؟ فقال: أسكت، فتناولَت عودًا فغنت:

بيـــد الذى شـــغـف الفـــؤادَ بـكـم   تفـــــريج مـــا ألـقَى مِن الـهـمّ

فـاســـتـيـــقنى إن قـد كَلِـفْتَ بكم   ثم أفــعلى مـــا شـئـت عن علم

قـــد كـــان صَـرمٌ فـى الممـــات لنا   فـــــعجلت قـبل الموت بـالصـرم

فلما انتـهت قال الأرقمي: تحسَّنت في عيني، فألقيتُ طيلساني،[1] وأخذت شاذكونة[2] فوضعتها على رأسي، وصحت إعجابًا كما يصاح على اللوبيا بالمدينة، بعد سماعه للوصلة الغنائية[3]. وتطالعنا كذلك من المغنيات اللواتى جلبن إلى الأندلس، وكان لهن دور فى نشر بذور الحركة الفنية الغنائية «فضل المدنية» التى وُصفت بكونها حاذقة فى الغناء، كاملة الخصال، أصلها لإحدى بنات هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ/ ٧٨٩ - ٨٠٨م) نشأت وتعلمت ببغداد، ودرجت من هناك إلى المدينة أعظم مراكز الغناء فى المشرق الإسلامى، فأتقنت هناك هذا الفن، فاشتريت للأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦ - ٢٣٨هـ/ ٨٢١ - ٨٥٢م). مع مغنية أخرى، يقال لها علم المدنية، وكان يؤثرهن لجودة غنائهن ونصاعة ظرفهن، ورقة أدبهن[4]. ثم أضيف إليهن مغنية تعتبر الثالثة بعد فضل

= ﴿ونَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية: ١٥]. انظر. بشأن ذلك: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نمرق)، جـ١٠، ص٣٦١.

(١) طيلسان: وقع هذا اللفظ على ضرب من الثياب لا خياطة فيه. انظر بشأن ذلك: ابن منظور، لسان العرب، مادة (طلس)، مج٦، ص١٢٤ - ١٢٥.

(٢) الشاذكونة: جاء هذا اللفظ بمعنى مضربة كبيرة. انظر: المقرى، نفح الطيب، جـ٣، هامش رقم (٣)، ص١٤٢.

(٣) المقرى، نفح الطيب، جـ٣، ص١٤٢. الشكعة، الأدب الأندلسى، ص١١٩ - ١٢٠. الدويدرى، الموجز فى تاريخ الأدب الأندلسى، ص٦٢. سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، جـ٢، ص٨٦. أبو الخشب، تاريخ الأدب العربى، ص٢٠٩.

(٤) ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٤٩. ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ١، هامش رقم (١)، ص١١٤. المقرى، نفح الطيب، جـ٣، ص١٤٠. العاملى، زينب بنت على، الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر المحمية، س١٣١٢هـ، ص٤٣٢. وسيشار إليه فيما بعد بـ: العاملى، الدر المنثور. سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، =

وعلم فى مراتب الغناء، وهى الجارية «قلم» كانت أندلسية الأصل من سبى البشكنس، حُملت صبية إلى المشرق فوقعت فى المدينة المنورة، فتعلمت فن الغناء وحذقته وأجادته، بالإضافة إلى أنها كان أديبة ذاكرة حسنة الخط، راوية للشعر، حافظة للأخبار، عالمة بضروب الآداب[١]، وترتَّب على هذا الإعجاب أن أفرد لهن دارًا فى قصره عُرفت بدار المدنيات[٢].

وفى مسار التاريخ الزمنى تطالعنا قمر[٣]، وهى من القينات الوافدات من بغداد جُلبت لمولاها إبراهيم بن حجاج اللخمى، الذى خرج على الأمير محمد بن عبد الرحمن الشانى (٢٣٨ - ٢٧٢هـ/ ٨٥٢ - ٨٨٦م)، وتمتع باستقلالية مطلقة فى إشبيلية (Sevilla)، فحظيت عنده بمكانة عالية؛ لجمالها وبراعتها ونظمها الشعر «فهى من أهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصوغ الألحان، جمعت أدبًا وظرفًا وروايةً وحفظًا، مع فهم بارعٍ وجمالٍ رائعٍ، كانت تقول الشعر بفضل أدبها، ولها فى مدح مولاها إبراهيم قصيدة تقول فيها:

مـا فى المغـاربِ من كـريمٍ يُرتَجى   إلا حَلـيفَ الجـــودِ إبـراهيـم

= ص٨٥. الخفاجى، محمد بن عبد المنعم، الأدب الأندلسى التطور والتجديد، ط١، دار الجيل، بيروت، س١٩٩٢م، ص١٢٥. وسيشار إليه فيما بعد: الخفاجى، الأدب الأندلسى.

(١) ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٤. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص١٤٠. الشكعة، الأدب الأندلسى، ص٤٤. سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، جـ٢، ص٨٦. كحالة، أعلام النساء، جـ٤، ص٢١٩. الشعراوى، الأمويون أمراء الأندلس، ص٢٩٥. بروفنسال، ليفى، حضارة العرب فى الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت، ص٥٢. وسيشار إليه فيما بعد، بروفنسال، حضارة العرب.

(٢) ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٤٩. المقرى، نفح الطيب، جـ٣، ص١٤٠. العبادى، الأعياد فى مملكة غرناطة، ص١٤٥. الشعراوى، الأمويون أمراء الأندلس، ص٢٩٦. عثمان: المرأة العربية، ص١٢٩. العبادى، أحمد مختار، فى التاريخ العباسى والأندلسى، دار النهضة العربية، بيروت، س١٩٧١م، ص٣٢٤. وسيشار إليه فيما بعد: العبادى، فى التاريخ العباسى. بيهم، محمد جميل، المرأة فى حضارة العرب والعرب فى تاريخ المرأة، دار النشر للجامعيين، بيروت، س١٩٦٢م، ص٢٥٦ - ٢٥٧. وسيشار إليه فيما بعد: بيهم المرأة فى حضارة العرب.

(٣) قمر: لعل اسم الشاعرة هكذا يدل على أنها قينة أكثر مما يدل على أنها من الحرائر، إذ كان لأسماء القيان والغلمان سمات خفة ورنين، على خلاف أسماء الحرائر مثل فاطمة، وعائشة. الشكعة، الأدب الأندلسى، ص١٣٠.

إنّى حلَلْتُ لديه منزلَ نعمةٍ ... كلُّ المنازل ما عداه ذميم[١]

وبإمعان النظر فى سياق الروايات التاريخية، يبدو أن عصر عبد الرحمن الثانى هو العصر الذى اتصلت فيه الأندلس بالمشرق اتصالاً مباشراً، وذلك بفضل سياسة الانفتاح على المشرق الإسلامى التى اتخذها الأمير الذى جعل الطريق مفتوحًا أمام الوافدين والتجار بين المشرق والأندلس، حيث جلب التجار إلى الأندلس صنوفًا من الألبسة، والأقمشة، ونفيس التحف، وغرائب الأشياء[٢]. كما شهدت الأندلس فى عهده دخول أبى الحسن على بن نافع الملقب بزرياب سنة (٢٠٦هـ/ ٨٢١م)[٣]، الذى ساهم فى تقدم صناعة الغناء، وأحدث تغييرات كبيرة فى نواحى الحياة الاجتماعية المختلفة فى الأندلس، فقد أوجد الكثير من العادات التى تأثر بها

(١) ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٥٣ - ١٥٤. المقرى، نفح الطيب، جـ٣، ص١٤٠ - ١٤١. العاملى، الدر المنثور، ص٤٥٢ - ٤٥٣. عثمان، المرأة العربية، ص١٢٩. الدويدرى، الموجز فى تاريخ الادب الاندلسى، ص٦٥. امين، ظهر الإسلام، جـ٣، ص٢٢٩. أبو صالح، الجوارى، ص٧٩ - ٨٠. الريسونى، محمد المنتصر، الشعر النسوى فى الأندلس، تقديم عبد الله كنون، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، س١٩٧٨م، ص٥١. وسيشار إليه فيما بعد: الريسونى، الشعر النسوى. العبادى، عبد الحميد، المجمل فى تاريخ الأندلس، ط٢، نسّقه أحمد إبراهيم الشريف، راجعه مختار العبادى، دار القلم، مصر، س١٩٦٤م، ص١٠٦. وسيشار إليه فيما بعد: العبادى، المجمل فى تاريخ الأندلس.

(٢) ابن عذارى، البيان، جـ٢، ص٩١. ابن الخطيب، أعمال الأعلام. ص٢٠.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٩. ابن سعيد ورفاقه، المُغرب، جـ١، ص٤٧. ابن خلدون، العبر، جـ٤، ص١٢٧. المقرى، نفح الطيب، جـ٣، ص١٢٧. سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، جـ٢، ص٨٧. ضيف، بلاغة العرب، ص٢٠. عبد العزيز، سعاد أحمد، الموسيقار الإسلامى زرياب، مجلة المؤرخ العربى، ع١٣، بغداد س١٩٨٢م، ص١٥٤. وسيشار إليه فيما بعد: عبد العزيز، الموسيقار الإسلامى. سالم، السيد عبد العزيز، قرطبة فى العصر الإسلامى، مجلة المؤرخ العربى، ع١٣، بغداد، س١٩٨٠م، ص٢٩. وسيشار إليه فيما بعد: سالم، قرطبة فى العصر الإسلامى. بروفنسال، ليفى، سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها القاها عامى ١٩٤٧ - ١٩٤٨م ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة وعبد الحميد العبادى، المطبعة الأميرية، القاهرة، س ١٩٥١م، ص٧. وسيشار إليه فيما بعد: بروفنسال، سلسلة محاضرات عامة. الحجى، عبد الرحمن على ،تاريخ الموسيقى الأندلسية أصولها وتطورها وأثرها على الموسيقى الأوروبية، ط١، دار الإرشاد، بيروت، س١٩٦٩م، ص٢٨. وسيشار إليه فيما بعد: الحجى، تاريخ الموسيقى.

أهل الأندلس فعندما دخل الأندلس، وجد أهلها من رجل وامرأة يستخدمون طريقة فى ترتيب شعورهم، وذلك بإرساله مفروقًا وسط الجبين، فى حين كان هو وولده ونساؤه، يستخدمون طريقة أخرى فى ترتيب شعورهم، وذلك بتقصيرها دون جباههم وتسويتها مع حواجبهم، وتدويرها إلى آذانهم[1]. فى الوقت نفسه وصل تأثير زرياب وأسرته على أهل الأندلس، إلى حد التأثير فى أنواع الأكلات الأندلسية، وذلك بإدخال أنواع جديدة من الأكلات؛ فهو أول من سن أكل بقلة الهليون[2]، المسماة بلسانهم الإسفراج، التى شاع استعمالها لدى الأسر الأندلسية التى لم يكن يعرفها أهل الأندلس من قبل[3].

وقد أقبل الأندلسيون على تعلم ما جاء به زرياب بشغف، وانتقلت الكثير من التقاليد المشرقية إلى الأندلس، وأثرت فى ملامح حياتها الاجتماعية.

---

(١) المقرى، نفح الطيب، جـ٣، ص١٢٧. بروفنسال، سلسلة محاضرات عامة، ص٧. جواد ناجى، رحلة إلى الأندلس، ط١، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، س١٩٦٩م، ص١٤٨. وسيشار إليه فيما بعد، جواد، رحلة إلى الأندلس. عبد العزيز، الموسيقار الإسلامى، ص١٥٧.

(٢) بقلة الهليون: عدّها صاحب كتاب الطبيخ من أنواع الأطعمة، يتم إعدادها على الشكل التالى: يؤخذ اللحم، ويقطع على تقدير ثلاثة أصابع، ويغسل، ويجعل فى قدر، ويلقى عليه مغرفة زيت ومغرفة ونصف مربى، وكزبر يابس، وحفنة حمص مبلول، وبصلة مقطعة، ويرفع على النار، ويؤخذ الهليون فيقطع صغاراً، ويسلق ويلقى فى القدر مع اللحم، فإذا نضج اللحم مع الهليون، يؤخذ لباب الخبز وبيضتان وفلفل. ويخمر بذلك القدر ويترك على الرضف ساعة. انظر تفصيلات ذلك. مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين، تحقيق امبروزيوا ويثى ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، مدريد، س١٩٦١ – ١٩٦٢م، (مج٩ – ١٠)، ص١٤٤. وسيشار إليه فيما بعد: مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ.

(٣) المقرى، نفح الطيب، جـ٣، ص١٢٧ – ١٢٨. عبد العزيز، الموسيقار الإسلامى، ص١٥٧.

رابعًا: المجالات الثقافية التى ساهمت فيها المرأة

١ - الدراسات الدينية:

قبل الحديث عن إسهام المرأة فى هذا المجال، تجدر بنا الإشارة إلى معرفة الزمن الحقيقى لحياة بعض النساء النابغات ممن ستتعرض لهن بالدرس والإشارة. رغم ندرة الأخبار، وعدم العناية بتثبيت التواريخ فى الكتب القديمة، مثلما كان الأمر بالنسبة إلى الرجال الأعلام، الأمر الذى ترتب عليه عدم تحديد تاريخ حياة بعض النساء، لكن هذه الصعوبة تختفى أمام الشواهد التاريخية التى بين أيدينا، حين يثبت بأن جميعهن ضمن نطاق الفترة محل البحث، وأول إشارة برزت فيها المرأة الأندلسية فى مجال الدراسات الدينية، تعليم القرآن الكريم، فهو منبع العلوم التى كانت المادة الأساسية للتعليم عند أهل الأندلس(1)؛ لذلك أنجبت الأندلس نساء كثيرات نبغن فى هذه العلوم على نحو ما تشهد به كتب التاريخ، لا سيما اللائى جلبن من المشرق، بدليل ما ذُكِر عن رجل من أهل المشرق يعرف بالشيبانى دخل الأندلس، وسكن قرطبة، فخرج قاضى الجماعة محمد بن إسحاق بن السليم (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، يومًا لحاجة، فأصابه مطر اضطره إلى أن دخل بدابته فى دهليز الشيبانى، فقال له: أصلح الله القاضى عندى جارية مدنية، لم يُسْمَع بأطيب منها صوتًا، فإن أذنتَ أسمعتك عشراً من كتاب الله عز وجل، فقال له: افعل، فأمر الجارية فقرأت، فاستحسن القاضى صوتها، وعجبَ منه، وكان على كمه دنانير فأخرجها وجعلها تحت الفرش الذى جلس عليه(2).

---

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ط١، تحقيق على عبد الواحد وافى، نشر لجنة البيان العربى، س١٩٦٠م، جـ٣، ص١٢٣٩ - ١٢٤٠. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، المقدمة.

(٢) الحميدى، جذوة المقتبس، ص٤٣. الضبى، بغية الملتمس، ص٦٠. الكبيسى، خليل إبراهيم، دور الفقهاء فى الحياة السياسية والاجتماعية فى عصرى الإمارة والخلافة، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة بغداد، بغداد، س١٩٨٠م، ص٢١٠. وسيشار إليه فيما بعد: الكبيسى، دور الفقهاء.

ولم يكن نشاط المرأة العلمى قاصراً على قراءة القرآن الكريم فحسب، بل نجد بعضهن قد اشتهرن فى كتابة المصاحف الشريفة، بدليل ما جاء عند صاحب المعجب(١)، حين قال: «إنه كان بالربض الشرقى من قرطبة مئة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفى». هذا فى ضاحية من ضواحيها فكيف ببقية الضواحى، إذا علمنا أن قرطبة كانت تضم واحداً وعشرين ربضاً(٢)، القبلية منها ربض شقندة، وربض منية عجب، وأما الغربية فتسعة هى ربض حوانيت الريحان، وربض الرقاقين، وربض مسجد الكهف، وربض بلاط مغيث، وربض مسجد الشفاء، وربض حمام الإلبيرى، وربض مسجد المسرور، وربض مسجد الروضة، وربض السجن القديم، وأما الشمالية فثلاثة هى: ربض باب اليهود، وربض مسجد أم سلمة، وربض الرصافة، وأما الشرقية فسبعة هى: ربض شبلار، وربض فُرن بلى، وربض البرج، وربض منية عبد الله، وربض منية المغيرة، وربض الزاهرة، وربض المدينة العتيقة أو ربض العدوة(٣).

هذا بالنسبة لقرطبة وحدها، فما بالك بعدد أولئك النسوة اللائى كن يكتبن المصاحف فى الأندلس جميعها؟! ويبدو من سياق الروايات أن كتابة المصاحف لم تكن حكراً على صنف واحد من النساء بل اشتهرت جميع الفئات حتى نساء البلاط، فقد ذكر عن البهاء بنت الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى أنها خيرة زاهدة، عابدة متبتلة، شديدة الرغبة فى الخير، كانت تكتب المصاحف، وتحبسها فى سبيل الله تعالى، وإليها ينسب مسجد البهاء بربض الرصافة، وعندما توفيت سنة (٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، لم يتخلف أحد عن حضور جنازتها(٤).

كما اشتهرت من حرائر الأندلس عائشة بنت أحمد بن محمد القرطبية المتوفاة سنة (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)، قيل فيها إنه لم يكن فى زمانها من يعدلها فهماً وأدباً

---

(١) المراكشى، المعجب، ص٢٠٩. ريبيرا، التربية الإسلامية، ص١٦١.

(٢) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص٣٢. المقرى، نفح الطيب، جـ١، ص٤٦٥. العانى، دراسات فى الأدب الأندلسى، ص١٠٨. حمادة، محمد ماهر، المكتبات فى الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، س١٩٧٨م، ص٩٦. وسيشار إليه فيما بعد، حمادة، المكتبات فى الإسلام.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص٣٢-٣٣. المقرى، نفح الطيب، جـ١، ص٤٦٥-٤٦٦.

(٤) ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٥٢. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨ - ق٢)، ص٤٨٤.

وشـعـراً، وقـد أثبـتت جـدارة فى حـسن الخط، فكتبـت المصـاحف، ونقلت المخطوطات، وقيل إنها كانت تملك مكتبـة خاصة، وماتت عذراء لم تتزوج، وربما شكّل هذا ظاهرة عند حرائر الأندلس، واتخذنها قدوة لهن(١).

وبإمعان النظر فى سياق الرواية، نجد أن كتـابة المصاحف كانت تقوم بها فئة من النسوة اللائى يجدن الخط إجادة حسنة، بحيث أصبحت بالنسبة لهن مهنة(٢).

إذا علمنا أن عدداً من الوراقين كان لهم ناسخات لنسخ المصاحف مقابل الأجر، وربما يعود أسبـاب اتخاذهن ناسخات إلى دقـة ومهارة إجادتهن للخـط، بالإضافة إلى رخص أجرهن قياساً إلى الرجال(٣). لكن هذا لا يعنى عدم وجود نساء يكتبن وينسخن القرآن الكريم دون أجر، فقد ذكرنا عن البهاء بنت الأمير عبد الرحمن بن الحكم، أنها كانت تكـتب المصاحف وتحبسهـا لوجه الله تعالى(٤). كما كان لأهل الأندلس اهتمـام بدراسة الحديث منذ فـترة مبكرة، وترجع أهمـيته باعتـباره المادة الثانـية بعد القـرآن الكريم(٥). بدليل مـا وصلنا من إشارات تؤكـد اهتمـام المرأة بالحديث، فمنهن من حدثت عن زوجها أو أبيها، وخـير مثال خديجة بنت جعفر ابن نصير التميمى زوج عبد الله بن أسد الفقيه، «حدَّثت عن زَوْجها عبد الله بموطأ القعنى قـراءة عليه بلفظها فى أصله، وقـيدت فيه سـماعهـا بخطها فى سنة أربع وتسعين وثلاثمائة(٦). وحدثت علة عن سليمان بن مـنفوش من أهل مدينة شذونة

---

(١) ابن بشكوال ،الـصلة ق٢ ،ص٦٥٤. المقـري ،نفح الطيب،جـ٤،ص٢٩٠. الشكعـة،الأدب الأندلسى، ١٣٢ - ١٣٣. على، المرأة فى الشعر الأندلسى، ص ٢٣٩.

(٢) ريبيرا، خوليان، المكتبات وهواة الكتب فى إسبانيا الإسلامية، ترجمة جمال محرز، مجلة معهد المخطوطات، العـربية، القاهـرة، س١٩٥٩، مج٤، جـ١، ص٧٢. وسيشـار إليه فـيمـا بعد، ريبيرا، المكتبات.

(٣) ريبيرا، المكتبات، ص٩٢ - ٩٥.

(٤) ابن بشكـوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٢. ابن الأبار، التـكملة، (مخ)، ص١٥٢. المقـرى، نفح الطيب، جـ٤، ص٢٩٠.

(٥) ابن خلدون، المقـدمة، جـ٣، ص١٠١٠. حسين، الحـياة العلمـية، ص١٧٢. عـجيل، الحـياة العلمية فى مدينة بلنسية الإسلامية، ص٤٠٠.

(٦) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٣.

(Sidonia)[1]، وروت أمة الرحمن بنت عبد الحق بن غالب عن أبيها وكانت من أهل العلم والعقل، جيدة الخط حاضرة النادرة، سريعة التمثل[2]. كما روت أم الحسن بنت أبى لواء سليمان عن بقى بن مخلد المتوفَّى سنة (٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، سماعًا منه، وقراءةً عليه، فكانت تنفرد به لأخذ العلم فى داره، ومما قرأت عليه كتاب الدهور، فقد عُرف عنها أنها صالحة فاضلة عاقلة، حجت وسمعت هنالك الحديث والفقه، وعادت إلى الأندلس[3]. كما اشتهرت أسماء بنت أبى داوود سليمان مولى أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٨م)، بأنها روت عن أبيها وشاركته فى بعض شيوخه[4]. واشتهرت أمة الرحمن بنت أحمد بالرواية عن أبيها، وتوفيت بكرًا سنة (٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)، بعد أن جاوزت الثمانين[5]. والإشارة الجديرة بالذكر أن رواية الحديث لم تكن حكرًا على النساء من الحرائر، بل نجد إشارات نستدل من خلالها على أن الجوارى شاركن فى رواية الحديث، ولعل أبرز هؤلاء: الجارية عابدة المدنية التى سبقت الإشارة إليها بأنها روت عن الإمام مالك بن أنس عشرة آلاف حديث[6].

فى حين وصلت بعض النساء إلى مرتبة (الشيخة) أو الأستاذة. وهذا ما يؤكده لنا صاحب الصلة[7]، عن عبد الله بن إسماعيل[8] الداخل بالأندلس، إذ بلغت عدة شيوخه الذين أخذَ عنهم مئتين وخمسة وستين رجلاً وامرأتين.

---

(١) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، ص١٨٤ - ١٨٥.

(٢) الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨ - ق٢)، ص٤٧٧.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٤. ابن الأبار، التكملة، جـ١، ص٣٨٨. الأنصارى، الذيل والتكملة. (س٨ - ق٢)، ص٤٨١.

(٤) ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٥٧. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨ - ق٢)، ص٤٧٨.

(٥) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٤. ابن الأبار، التكملة، جـ١، ص٣٨٨.

(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٩٦. ابن الابار، التكملة، جـ١، ص٢٢٤ - ٢٢٥. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، جـ١، ص٦٢ - ٦٣. المقرى، نفح الطيب، جـ٢، ص٥٠٤، ج٣، ص١٣٩ - ١٤٠. مؤنس، شيوخ العصر، ص٤٢. ريبيرا، التربية الإسلامية، ص١٦٠.

(٧) ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص٢٨٤.

(٨) هو عبد الله بن إسماعيل الإشبيلى، يكنى أبا محمد، من أهل العلم التام والحفظ بالحديث والفقه، كان يميل فى فقهه إلى النظر، وإتباع الحديث، من أهل التقشف، ولى قضاء أغمات، توفى سنة (٤٩٧هـ). انظر، ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص٢٨٩.

ومن المجالات الأخرى التي شاركت فيها المرأة، وكان لها حضور متقدم ومتميز فيها: علم الفقه، الذي يُعد أحد العلوم الدينية التي كان لها وجاهة لدى الأندلسيين؛ لأن مرتبة الفقيه عند أهل الأندلس جليلة، كانوا يطلقونها على من يريدون تعظيمه؛ لأنها أرفع السمات، وهي بمنزلة القاضي بالمشرق(١).

ويُعَدُّ الفقيه زياد بن عبد الرحمن اللخمي الملقب بشبطون (ت١٩٣ أو ١٩٤ وقيل ٢٠٤هـ/ ٨٠٨ أو ٨٠٩ وقيل ٨١٩م)(٢) أول من أدخل فقه الإمام مالك إلى الأندلس، وكان أهل الأندلس قبل ذلك يتفقهون على مذهب الإمام أبي عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي (٨٨ - ١٥٧هـ/ ٧٠٦ - ٧٧٣م)(٣). وأول من تطالعنا في هذا الحقل أم الحسن بنت أبي لواء سليمان، السابقة الذكر، فقد ذكر أنها حجت وسمعت هنالك الحديث والفقه، وعادت إلى الأندلس، وسمع منها بقي بن مخلد(٤). كما اشتهرت من النساء فاطمة بنت يحيى بن يوسف المغامي، أخت الفقيه يوسف بن يحيى المغامي، كانت خيِّرة فاضلة عالمة فقيهة، استوطنت قرطبة، وتوفيت سنة (١٣٩هـ/ ٩٣١م). «لم يُر على نعش امرأة

(١) المقرى، نفح الطيب، جـ١، ص٢٢١. حسين، الحياة العلمية، ص١٧٨.

(٢) انظر ترجمته؛ الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص٩٥ - ٩٦. الخشني، قضاة قرطبة، ص١٨ - ١٩. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص١٥٤ - ١٥٥. الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢١٨ - ٢١٩. عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص٣٤٩ - ٣٥٣. المقرى، نفح الطيب، ج١، هامش رقم (٨)، ص٣٤٠ - ٣٤١، ج٢، ص٤٥ - ٤٦. نعنعي، تاريخ الدولة الأموية، ص١٨٠. سالم، تاريخ وحضارة الإسلام، ص٣٦١.

(٣) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، ولد في بعلبك (س٨٨هـ/ ٧٠٦م)، نشأ في البقاع، وسكن بيروت، وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه إلى زمن الحكَم بن هشام، (ت١٥٧هـ/ ٧٧٣م). انظر ترجمته؛ ابن النديم، محمد ابن إسحاق، الفهرست، ط١، تحقيق ناهد عباس عثمان، دار قطرى بن الفجاءة، د.ت ص٤٤٨. وسيشار إليه فيما بعد: ابن النديم، الفهرست. القرطبي، بهجة المجالس، ق٢، هامش رقم (٣)، ص٦٠. ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٣، ص١٢٧ - ١٢٨. الناصرى، الاستقصاء، ص١٣٨. سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام، ص٣٦١. الحميدى، جذوة المقتبس، ص١٢٨. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص٢٣٠.

(٤) ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٥٣. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨ - ق٢)، ص٤٨١.

قط ما رئى على نعشها». كيف لا وهى التى وهبت حياتها للتعليم[1]. كذلك اشتهرت امرأة من وادى لُوشَة (Loja)[2]. لم يفصح صاحب كتاب النفح[3] عن ذكر اسمها، بل اكتفى بالقول بأنها امرأة من وادى لُوشَة كانت زوجة لقاضى المدينة فى معرفة الأحكام الفقهية، فكان زوجها يستشيرها فى المسائل المستعصية من قضايا الناس، فتشير عليه بما يحكم، فكتب إليه بعض أصحابه مداعبًا بقوله:

بلُوشَة قاضٍ لهُ زوجةٌ وأحكامها فى الورى ماضيه
فيا لَيْتَهُ لم يكن قاضيًا ويا ليتها كانَتِ القاضيه

فأطلع زوجته عليها حين قرأه، فقالت: ناولنى القلم، فأخذت تكتب بديهةً:

هو شيخُ سوءٍ مُزدَرَى له شيوبٌ عاصيَةْ
كلاّ لئن لَمْ ينتهِ لنسفعًا بالناصيةْ

بعد أن عرضنا فى عجالة لهذا الحشد من النساء الأندلسيات، وأدركنا ما استطاعت أن تبلغه المرأة من مقام فإنه أصبح بعد هذا ليس صحيحًا ما تراءى لبعض الدارسين من أن دور المرأة الأندلسية، لم يَعْدُ الغناء واللهو فى ميادين العبث والطيش.

٢- الدراسات الأدبية:

فى تاريخ الأدب الأندلسى أمثلة حيَّة لنشاط المرأة؛ فهن إما أندلسيات وُلدن ونشأن فى الأندلس، وإما وافدات على الأندلس، حرائر، أى نساء عربيات

---

(١) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩١. الضبى، بغية الملتمس، ص٥٤٧. ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم، صلة الصلة، (مخ)، دراسة وتحقيق رضا هادى عباس، وزارة التربية، بغداد، مطبوع على الآلة الكاتبة وهو قيد النشر، س١٩٨٩م، ق٢، ص٥٢٦. وسيشار إليه فيما بعد. ابن الزبير صلة الصلة. كحالة، أعلام النساء، جـ٤، ص١٥٠. أرسلان، الحلل السندسية، جـ٢، ص٣٠ - ٣١. بهجت، منجد مصطفى، المرأة والتعليم فى الأندلس، مجلة الجامعة، جامعة الموصل، نشر دار الكتب للطباعة والنشر، س٩/ س١٩٧٩م، ع٤، ص٨٣. وسيشار إليه فيما بعد، بهجت، المرأة والتعليم.

(٢) لوشة: إقليم من أقاليم البيرة. الحميرى، الروض المعطار، ص٥١٣.

(٣) المقرى، نفح الطيب، جـ٤، ص٢٩٤. ؛ عثمان، المرأة العربية، ص١٢٣.

الأصل، أو جوارٍ اعتاد الموسرون شراءهن، لمعرفتهن، وأدبهن. على أن الصفة التي كانت تجمعهن هي حبهن الشعر، والتغني به، وقد وَصَفَ المقري نساء الأندلس وصفًا بليغًا حين قال:[1] «كان لهنَّ اليد الطولى في البلاغة؛ كي يعلم أن البراعة في أهل الأندلس كالغريزة لهم حتى في نسائهم وصبيانهم». وربما تعود أسباب أثر المرأة في الأدب إلى ناحيتين اثنتين هما:

أولاً: ما لها من جمال وفتنة، فهي تمتاز بخفة روحها، وجميل صوتها، ودقة حركاتها، ونعومة جسدها، ومهارتها في اصطناع الأساليب المغرية من دلال وكلام ليِّن، كانت محط أنظار الشعراء[2]؛ الأمر الذي دفعهم إلى تشبيههنَّ بالغزال[3]، أو الظبية[4]، أو الحور[5]، أو الحمامة[6]، وذلك لشدة جمالهن ومهارة ظرفهن[7]، كما كان للجواري نصيب الأسد من هذه الأشعار، بدليل ما وصلنا من أشعار تم فيه تصويرهن أدق تصوير وأعذبه، فعلى سبيل المثال الحكم بن هشام كان له خمس جوارٍ، قد غلبن عليه، فأراد يومًا أن يدخل عليهن، فتأبين عليه، وقمن متغاضبات، فلما ولَّين عنه، عمل في استرضائهن بشتى الوسائل على الرغم من شجاعته، وعزة سلطانه، أصبح أسير حبهنّ، مسلوب الإرادة[8]، لا يصبر على هجرهنّ، وقد أنشأ شعراً في ذلك:

قُضُبٌ من البانِ ماسَت فَوْقَ كُثْبانِ	أعْرَضْنَ عنِّي وقد أزْمَعْنَ هِجراني
ناشدتُهُنَّ بِحَقِّي فاعْتَزَمْنَ على	الهِجْرانِ حتَّى خَلا مِنهنَّ هيْماني
ملَّكنني مُلْكَ مَنْ ذَلَّتْ عَزيمَتُهُ	للحب ذُلَّ أسيرِ موثَقٍ عانِي[9]

(١) المقرى، نفح الطيب، جـ٤، ص١٦٦.
(٢) أمين، ظهر الإسلام، جـ٣، ص٢٢٨. علي، المرأة في الشعر الأندلسي، ص٤٢.
(٣) الضبي، بغية الملتمس، ص٥٨.
(٤) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٣٤. الضبي، بغية الملتمس، ص٣٢٢.
(٥) الأنصاري، الذيل والتكملة، (س٤)، ص١٢٨. ابن الأحمر، نثر فرائد الجمان، ص٢٧٣.
(٦) المراكشي، المعجب، ص٩.
(٧) رسائل ابن حزم الأندلسي، جـ١، ص٢٤٢، ٢٥١، ٢٧٤.
(٨) ابن عذاري، البيان، جـ٢، ص٧٩.
(٩) المصدر نفسه، جـ٢، ص٧٩.

والأمير الحكم بن هشام لم يكن الأمير الوحيد الذى تذلل لجواريه، ووصَفَ هذا التذلل، فهناك ولده عبد الرحمن الثانى الذى أنفق ماله، وأراق ماء وجهه فى سبيل نيل رضاهن[1].

ثانيًا: إسهامها فى الحركة الأدبية، وأول ما بلغنا من النساء الأديبات ما رُوى عن جملة من النساء القادمات من المشرق برع أغلبهن فى الموسيقى والغناء[2]، وتطالعنا قمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمى صاحب إشبيلية (ت٢٨٨هـ/ ٩٠١م) التى أجادت نظم الشعر، وهى من الجوارى اللواتى جُلبن من بغداد، كانت ذات بيان، وفصاحة، ومعرفة بالألحان والغناء، فوجدها قمرًا عند اسمها[3]. وكان لها شعر يُستحلى ويستحسن، فمن قولها ترد على من عاذلها:

قالوا أتَتْ قمرٌ فى زىٍّ أطمارِ ... من بَعْدِما هتكَتْ قَلبًا بأشْفارِ

تُمْسِى علَى وَحلٍ تغدو على سُبُلٍ ... تَشُقُّ أمصارَ أرضٍ بَعْدَ أمْصَارِ

لا حُرةٌ هى من أحرار موضعها ... ولا لها غير ترسيلٍ وأشعار[4]

وقد حفل تاريخ الأدب الأندلسى، بأعداد كبيرة من الشاعرات، ولا بدَّ لنا ونحن فى مجال الحديث عن النساء من أن نتحدث عن الحرائر منهن، حيث تطالعنا حسانة التميمية ابنة الشاعر أبى المخشى عاصم بن زيد[5]، التى تميزت

---

(١) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٤٤. مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، ص١٢٣ - ١٢٤. المقرى، نفح الطيب، جـ١، ص٣٤٩ - ٣٥٠.

(٢) المقرى، نفح الطيب، جـ٣، ص١٤٠. أمين، ظهر الإسلام، جـ٣، ص٢٢٩. العبادى، فى التاريخ العباسى، ص٣٢٤. الريسونى، الشعر النسوى، ص٤١. الشكعة، الأدب الأندلسى، ص٤٤ - ٤٥. الخفاجى، الأدب الأندلسى، ص١٢٥.

(٣) ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٥٣؛ ابن عذارى، البيان، جـ٢، ص١٢٨. المقرى، نفح الطيب، جـ٣، ص١٤٠. شلبى، الأصول الغنية، ص١٠١. الشكعة، الأدب الأندلسى، ص١٣٠.

(٤) ابن عذارى، البيان، جـ٢، ص١٢٨ - ١٢٩.

(٥) أبو المخشى، عاصم بن زيد، وهو تميمى عبادى، دخل أبوه الأندلس من المشرق مع جند دمشق، ونشأ ابنه عاصم على قول الشعر، مَدَح سليمان بن عبد الرحمن الداخل فحسبه أخوه هشام تعريضًا به، فسمل عينه وقطع قطعة من لسانه، وكان الشعراء يطعنون فى نسبه بالنصرانية. انظر =

بشاعريتها المطبوعة[1]. وليس فيما بين أيدينا من المصادر ما يشير إلى تاريخ مولدها أو وفاتها، وإن كانت المصادر قد ذكرت أنها عاشت أيام الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦هـ/ ٧٩٦ - ٨٢١م)، ثم اتصلت بابنه عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨هـ/ ٨٢١ - ٨٥٢م)، ثم انقطعت أخبارها، وهذا يعنى أنها ولدت فى أواخر القرن الثانى، وتوفيت فى الربع الأول من القرن الثالث، بعد أن لجأت إلى الأمير الحكم بن هشام بعد موت أبيها، وقد استطاعت بفضل جرأتها، وشجاعتها فى مجابهة الحكام، وبمقدرتها الشعرية أن تنتزع عطفه، وهى إذ ذاك بكر لم تتزوج، ومما قالته:

إنّى إليكَ أبا العاصى موجعة ... أبا المخشى سقته الواكفَ الدِّيَمُ
قد كنتُ أرتعُ فى نعماهُ عاكفةً ... فاليومَ آوى إلى نعمَاكَ يا حكمُ
أنت الإمام الذى انقاد الأنامُ لَهُ ... وملَّكتْهُ مقاليد النُّهى الأممُ[2].

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنه، فأكرمها، وأجرى عليها راتبًا، محاولاً تعويضها عن فقد أبيها، مقدرًا مأساتها، ولكن هذا التعويض لم يدم طويلاً، فما أن توفى الأمير الحكم سنة (٢٠٦هـ/ ٨٢١م)، حتى قلب حاكم إلبيرة جابر ابن لبيد، ولم ينفذ ما أوصى به الحكم، الذى كان قد وقَّع لها بخط يده تحرير أملاكها، فتوسلت إلى جابر بخط الحكم فلم يفدها، فوفدت على الأمير عبد

= فى ترجمته: ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٤٩. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، جـ٢، ص١٢٣ - ١٢٤. المقرى، نفح الطيب، جـ٤، هامش رقم (٢)، ص١٦٧. على، المرأة فى الشعر الأندلسى، ص٢٥؛ بهجت، أعلام نساء الأندلس، ص١٠٢.

(١) ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٤٩.

(٢) ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٤٩. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٣٠ - ١٣١. المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص١٦٧. العاملى، الدر المنثور، ص١٦٥. على، المرأة فى الشعر الأندلسى، ص٢٥. عثمان، المرأة العربية، ص١١٢. الدويدرى، الموجز فى تاريخ الأدب الأندلسى، ص٦٣. بيهم، المرأة فى حضارة العرب، ص٢٤٠. كحالة، أعلام النساء، ج١ ص٢٥٦ - ٢٥٧. خلف، نافع محمود، اتجاهات الشعر الأندلسى إلى نهاية القرن الثالث الهجرى، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، س١٩٨٠، ص٩٩. وسيشار له فيما بعد بـ: خلف، اتجاهات الشعر الأندلسى.

الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦ - ٢٣٨هـ/ ٨٢١ - ٨٥٢م)، وليس فى جعبتها سوى موهبتها الشعرية، فأنشدته بقولها:

إلى ذى النّدى والمجد سارت ركائبى ... على شَحَطٍ تَصْلَى بنار الهواجرِ
ليجبر صَدعى إنه خيرُ جابرٍ ... ويمنعنى من ذى الظلامةِ جابرِ
فإنى وأيتامى بقَبْضَةِ كفّه ... كذى ريشٍ أضحى فى مخالب كاسرِ[1]

ولما فرغتْ، رفعت إليه خط والده، وحكت جميع أمرها، وأخذ خط أبيه فقبّله ووضعه على عينيه، وقال: تعدَّى ابن لبيد يا حسانة فقد عزلته لكِ، ووقَّع لها بمثل توقيع أبيه الحكم، فقبَّلت يده، وأمر لها بجائزة[2]، وذهبت إلى حال سبيلها، ثم بعثت إليه تقول شاكرةً:

ابن الهشامين خيرُ الناس مأثرةً ... وخيرُ مُنتَجعٍ يومًا لروّادِ
إنْ هزَّ يومَ الوغى أثناء صعدته ... روّى أنابيبها من صرفِ فرْصادِ
قلْ للإمام أيا خيرَ الورى نسبًا ... مقابلاً بينَ آباءٍ وأجدادِ[3]

ويبدو أن الشاعرة نجحت فى استغلال الإيحاء الشعرى فى تضخيم فعلة جابر معها، كما استغلت موهبتها الشعرية فى الدفاع عن حقوقها، وإيصال صوتها، والحصول على مطلبها.

وتطالعنا خلال الفترة التى يغطيها البحث شاعرات عديدات منهن؛ عائشة بنت أحمد القرطبية، التى برزت بين زميلاتها فى علمها وذكائها، وفصاحتها، وحسن

---

(١) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٣١. ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٤٩. المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص١٦٨. العاملى، الدر المنثور، ص١٦٤. عثمان، المرأة العربية، ص١١٣. الدويدرى، الموجز فى تاريخ الأدب الأندلسى، ص٦٤. خلف، اتجاهات الشعر الأندلسى، ص١٠٠.

(٢) المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص١٦٨. العاملى، الدر المنثور ص١٦٤. خلف، اتجاهات الشعر الأندلسى، ص١٠٠. الدويدرى، الموجز فى تاريخ الأدب الأندلسى، ص٦٤.. عثمان، المرأة العربية، ص١١٣.. العانى، دراسات فى الأدب الأندلسى، ص١٥٥ - ١٥٨. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسى، ص٥٧.

(٣) المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص١٦٨. العاملى، الدر المنثور، ص١٦٤. الريسونى، الشعر النسوى، ص٤٧ - ٤٨. عثمان، المرأة العربية، ص١١٣.

خطها لـنسخ القرآن، كانـت تمدح الملوك فى غيـر خنوع أو مذلّة، وترتجل الشـعر ارتجالاً، ماتت عذراء لم تُنكح (سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)[١]، دخلت على المظفر بن محمد ابن أبى عامر وبين يديه ولد، فارتجلت:

أراكَ اللهُ فـيـه مـا تـريدُ ... ولا بَرِحَـتْ مـعـاليـه تـزيدُ
فـقـد دلَّت مـخـايلهُ علـى مـا ... تؤمّلـه وطالعُـه السـعـيـدُ[٢]

لقد أثبتت المرأة قوة وشجاعة فى مواقفها مع الأمراء والخلفاء، وكثيراً ما تمزجها بروح الظرف والدعابة، وحضور بديهة وسرعة خاطر، وشجاعة نادرة، مثال ذلك تكفات البـربرية التى خبأت عـبد الرحمن الداخـل (المتوفى سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م) تحت ثيابها عندمـا فتشت الرسل عنه[٣]، وحين استظلت بظله فى الأندلس، قال لها مداعبًا:

لقد عذبتنى بريح إبطيك يا تكفات على ما كان بى من الخوف، فكان جوابها له مسرعـة: بل ذلك كان والله يا سيـدى منك خرج ولم تشعر به مِن فـرط فزعك. فاستظرف جوابها، ولم يواجهها بمثل ذلك[٤].

وفى مسار التاريخ الزمنى تطالعنا الشاعرة حـفصة بنت حمدون التى عاشت فى وادى الحجارة (Guade Lajara)[٥]. وهى أديبة شـاعرة، سكرت العقول بمعـانيها

(١) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٢ - ٦٩٣. المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص٢٩٠. العاملى، الدر المنثور ص٢٩٢. علـى ، المرأة فى الشعر الأندلسى، ص٢٨. الشـكعة، الأدب الأندلسى، ص١٣٢ - ١٣٣. عـثـمـان، المرأة العـربيـة، ص١١٤. الدويـدرى، الموجـز فى تاريخ الأدب الأندلسى، ص٦٥. بهجت، المرأة والتعليم، ص٨٢.

(٢) المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص٢٩٠. الـعاملى، الدر المنثور، ص٢٩٢. على، المرأة فى الشـعر الأندلسى، ص٢٨. عـثـمـان، المرأة العـربيـة، ص١١٤. الدويدرى، الموجـز فى تاريخ الأدب الأندلسى، ص٦٥. بيهم، المرأة فى حضارة العرب، ص٢٤١.

(٣) مؤلف مـجهـول، ذكر بلاد الأندلس، ص١١١. المقـرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٣. على، المرأة فى الشعر الأندلسى، ص٢٨.

(٤) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٣٣ - ٣٣٤.

(٥) وادى الحـجارة: مـدينة حسنة كـثيـرة الأرزاق، تعرف بمديـنة الفرج تقع شـرق قرطبـة، انظر: الحميرى، الروض المعطار، ص٦٠٦.

الساحرة وكثر اختراعها للمعانى، فجاء أدبها بهيجًا، وشعرها ذو عطر وأريج، وإنها رائدة شعر الغزل، ومن شعرها فى هذا المجال:

لى حبيبٌ لا يَنْثنى لعِتابِ ... وإذا ما تركتُهُ زاد تيها
قال لى هل رأيتِ لى من شبيهٍ؟ ... قلت أيضًا: وهَلْ ترى لى شبيها[1]؟

ويبدو أن هذه الشاعرة التى عاشت فى القرن الرابع الهجرى[2]، كانت منعمة مخدومة، لها بيتان تذم عبيدها؛ لأنها لا تحب أن ترى شيوع الجهل بينهم قائلةً:

يا ربّ إنّى من عبيدى على ... جمرِ الغضا ما فيهم من نجيبْ
إما جهولٌ أبلهٌ متعبٌ ... أو فطنٌ من كيده لا يُجيبْ[3]

كما كانت تتمتع بمكانة أدبية رفيعة، بدليل أن صاحب المغرب قال فيها:[4] «إن بلدها يفخر بها»، هكذا كانت المرأة الأندلسية تتمتع بكامل حريتها فى فنون القول، تتغزل، وتصف، وتمدح، وتفخر، وتساجل قصيدة بقصيدة، وقافية بقافية، كما فعلت الغسَّانية البجانية[5]، بنونيتها الطويلة الرائعة، التى لم تصل إلينا منها إلا أبيات قليلة عارضت بها الشاعر الأندلسى أبا عمر أحمد بن دراج القسطلى، المتوفى سنة (٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، قصيدته التى مدح بها الأمير خيران العامرى صاحب المرية (Almeria)، المتوفى سنة (٤١٩هـ/ ١٠٢٨م) التى مطلعها:

لك الخير أن أوفى بعهدك خيران ... وبشراك قد آواك عزٌّ وسلطان[6]

---

(١) ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج٢، ص٣٧. المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص٢٨٥. العاملى، الدر المنثور، ص١٦٥. عثمان، المرأة العربية، ص١١٥. الشكعة الأدب الأندلسى، ص١٣٥.

(٢) ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج٢، ص٣٧. المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص٢٨٥. العاملى، الدر المنثور، ص١٦٥.

(٣) المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص٢٨٥. العاملى، الدر المنثور، ص١٦٥. بهجت، المرأة والتعليم، ص٨٣. عثمان، المرأة العربية، ص١١٥.

(٤) ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج٢، ص٣٧. عثمان، المرأة العربية، ص١١٥.

(٥) بجانة: كورة عظيمة بالأندلس تشتهر بإقليم المرية، السيوطى، جلال الدين، نزهة الجلساء فى أشعار النساء، مكتبة القرآن للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص٩٣. وسيشار إليه فيما بعد: السيوطى، نزهة الجلساء. المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص١٧٠.

(٦) الحميدى، جذوة المقتبس، ص٤١٣. الضبى، بغية الملتمس، ص٥٤٤ - ٥٤٥. الدويدرى، =

أما عن قصيدتها التى عارضت بهـا القصيدة القسطليـة فلم يصل إلينا منها إلا أبيات قليلة منها:

أتَجـزَع إنْ قـالوا سَـتَـرحلُ أظعـانُ وكَيفَ تُطيقُ الصبْـرَ ويحكَ إذ بانوا[١]

والجدير بالقول إن هذه الشاعرة المشهورة بظرفهـا وأدبها وجمال لطفها وبهائها، وكمالها[٢]، أعطت صورة جديدة للمرأة الأندلسية الأدبية التى كان نشاطها قاصراً فقط على نظم الشـعر، بل أصبـحت تبارى الشعـراء فى أشعارهم، وقـد ذكر أن الغسانية عاشت فى القرن الرابع الهجرى[٣]، فى حين نجد ابن سعيد[٤] يذكر أنها كانت فـى مدة ملوك الطوائف، وتبـعه بعض المحـدثين فى ذلك، لكن الاحتـمال الأقرب إلى الصـحة أنها سلخت أعـوامًا من عـمرها فى القرن الرابع الهـجرى، وعاشت بدايات عصر ملوك الطوائف فى القرن الخـامس الهجرى، بدليل القصيدة التى مدحت بها خيران العامرى (المتوفى سنة ٤١٩هـ/ ١٠٢٨م)[٥].

وتطالعنا مـريم بنت أبى يعقـوب الأنصارى[٦]، الفصولى الشلبى[٧]، وتسمى مريم الشلبية أصلها من شلب على ما قيل سكنت إشبيلية (Sevilla)[٨].

= الموجز فى تاريخ الأدب الأندلسى، ص٧١ - ٧٢. على، المرأة فى الشعر الأندلسى ص٢٤٢.

(١) الحميدى، جذوة المقتبس، ص٤١٣. الضبى، بغية الملتمس، ص٥٤٤ - ٥٤٥. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج٢، ص١٩٢. السدويدرى، الموجز فى تاريخ الأدب الأندلسى، ص٧١ - ٧٢. على، المرأة فى الشعر الأندلسى، ص٢٤٢. عثمان، المرأة العربية، ص١٢١.

(٢) العاملى، الدر المنثور، ص٣٥٦.

(٣) السيوطى، نزهة الجلساء، ص٩٣. المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص١٧٠. العاملى، الدر المنثور، ص٣٥٦.

(٤) المُغرب، ج٢، ص١٩٢.

(٥) خيران العامرى: من أوائل فتيان الصقالبة الذين أعلنوا استقلالهم بعد انهيار الدولة الأموية بالأندلس على أثر الفتنة البربرية، (س٣٩٩هـ)، واتخذ المرية مركزاً له. انظر: ابن عذارى، البيان، ج٣، ص١٦٦ - ١٦٧. المقرى، نفح الطيب، ج١، هامش رقم (٢)، ص١٤١.

(٦) المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص٢٩١.

(٧) الحميدى، جذوة المقتبس، ص٤١٢. الضبى، بغية الملتمس، ص٥٤٤. ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٤.

(٨) الحميدى، جذوة المقتبس، ص٤١٢. الضبى، بغية الملتمس، ص٥٤٤. ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٥. المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص٢٩١.

في حين يتردد المقرى[1] بشأن نسبها، ويذكر «وأصلها والله أعلم من شلب»[2] (Silves)، لقد كانت أديبة جزلة، كانت تُعلّم النساء الأدب وتحتشم لدينها وفضلها، ويبدو أنها سلخت أعوامًا في القرن الرابع الهجرى، واشتهرت بعد الأربعمائة[3]، عمرت طويلاً بدليل ما روت عن نفسها مصورة عجزها:

وما يُرتَجى من بنت سبعينَ حجَّة | وسبعٍ كنسجِ العنكبوتِ المهلهلِ
تدبُّ دبيبَ الطفلِ تسعى إلى العصا | وتمشى بها مشى الأسيرِ المكبَّلِ[4]

وتطالعنا كذلك الشاعرة صفية بنت عبد الله الربى، فهى أديبة شاعرة موصوفة بحسن الخط، توفيت وهى لا تزال فى ريعان الشباب فى آخر سنة (٤١٧هـ/ ١٠٢٦م) وهى دون الثلاثين[5].

كما أخبرت كتب التاريخ عن نساء لهن معرفة برواية الشعر، فقد روت عبدة بنت بشر بن حبيب بن الوليد عن أبيها، وبشر هذا ابن عابدة المدنية الراوية عن مالك بن أنس الكثير من أخباره وأشعاره[6].

---

(١) المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص٢٩١.

(٢) شلب: تقع غرب الأندلس، وهى قاعدة كورة أكشونبية بقبلى مدينة باجة، لها بسائط فسيحة، وبطائح عريضة، وسكان قراها عرب من اليمن وكلامهم بالعربية الصريحة. انظر، مؤلف مجهول، الأندلس وما فيها من البلاد (مخ) محفوظ لدى مكتبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، تحت رقم (٨٧٩٩) ص١٠. وسيشار إليه فيما بعد، مؤلف مجهول، الأندلس وما فيها من البلاد. الحميرى، الروض المعطار، ص٣٤٢.

(٣) المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص٢٩١. بهجت، المرأة والتعليم، ص٨٢. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسى، ص٧٣. الريسونى، الشعر النسوى، ص٦٤.

(٤) الحميدى، جذوة المقتبس، ص٤١٢. ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٥. الضبى، بغية الملتمس، ص٥٤٤. المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص٢٩١. الدويدرى، الموجز فى تاريخ الأدب الأندلسى، ص٦٦.

(٥) الحميدى، جذوة المقتبس، ص٤١٢. ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٣. الضبى، بغية الملتمس، ص٤٤٣. ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٤٨، ١٤٩، ١٥٢. الريسونى، الشعر النسوى، ص٦٦. الدويدرى، الموجز فى تاريخ الأدب الأندلسى، ص٦٦.

(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٩٦. ابن الأبار، التكملة ج١، ص٢٢٤ - ٢٢٥. =

كما اشتهرت بعض النساء بالتأليف، بدليل أن راضية مولاة الإمام عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله، التى تدعى بنجم، والمتوفاة سنة (٤٢٣هـ/ ١٠٣١م)، كانت ممن أعتقها الحكم عن أبيه، فتزوجها لبيب الفتى، وحجا معًا، وكانا يقرآن ويكتبان، دخلا الشام، «وروى عنها أبو محمد بن خزرج، وقال: عندى بعض كتبها»[١]. وهذا يؤكد لنا أنه كان فى الأندلس نساء برعن فى مجال التأليف.

٣- الموسيقى والغناء

بدأت الموسيقى فى الأندلس تتطور تدريجيًا ، ثم أصبحت تحتل مكانة مرموقة، ولقى الموسيقيون عناية لم يلقوها قبلاً، ولا سيما بعد دخول زرياب فى عهد عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م)[٢]، الذى جالسه، وأكرمه غاية الإكرام، فأحبه حبًا شديدًا، وقدّمه على جميع المغنيين، وذاكره فى أحوال الملوك، وسير الخلفاء، ونوادر العلماء، وحضر وقت الطعام فشرّفه بالأكل معه هو وأكابر أبنائه[٣] وأجرى له راتبًا شهريًا قدرُه مائة دينار بالإضافة إلى منح الأعياد والمناسبات، والمخصصات الأخرى له ولعائلته[٤]، كما عرف عنه بأنه كان مغرمًا بفنه، حتى أنه كان يدّعى أن الجن كانت تعلّمه، فكان يَهُبُّ من نومه سريعًا فيدعو بجاريتيه غزلان وهنية فتأخذان عودهما ويأخذ هو عوده ويكتب الشعر، ثم يعود عاجلاً إلى مضجعه[٥]، ويقال إنه كان يحفظ عشرة آلاف صوت من الأغانى بألحانها[٦] كما كان عالمًا بكثير من العلوم والفنون، أديبًا ظريفًا، حسن الحديث

= الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨ - ق٢). المقرى، نفح الطيب، ج٢، ص٥٠٤. مؤنس، شيوخ العصر، ص٤٢. ريبيرا، التربية الإسلامية، ص١٦٠.

(١) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٣ - ٦٩٤.

(٢) المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص ١٢٥. سالم، قرطبة فى العصر الإسلامى، ص٢٩.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٩. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٢٧. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص١٢٥. الحجى، تاريخ الموسيقى ص ٣٠. عبدالعزيز، الموسيقار الإسلامى، ص ١٥٥. ضيف، بلاغة العرب، ص ٢٠.

(٤) المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص١٢٥. ضيف، بلاغة العرب، ص٢٠.

(٥) المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص١٢٦.

(٦) المصدر نفسه، ج٣، ص١٢٧، ١٣١.

والمسامرة، وكانت له جارية اسمها متعة أدّبها وعلّمها أحسن أغانيه[1]، وعرفت حمدونة ابنته زوجة الوزير هاشم بن عبدالعزيز[2]، بإتقانها هذه الصناعة متقدمة على أختها التى طال عمرها. كما أخذت مصابيح جارية الكاتب أبى حفص عمر ابن قلهيل عنه الغناء، وقد وصفت بأنها غاية فى الإحسان والنبل وطيب الصوت[3]، وقد ازدادت شهرته حتى أصبح من المقربين للأمير عبد الرحمن بن الحكم، وذكر أنه غنّى يومًا فاستحسن الأمير صوته، وأمر خزانه أن يدفعوا له ثلاثين ألف دينار على هذا اللحن لكن خَزَنَة الأمير رفضوا ذلك بقولهم «نحن وإن كنا خُزّان الأمير أبقاه الله، فنحن خُزّان المسلمين نجبى أموالهم ونُنفقها فى مصالحهم، لا والله ما يُنفذ هذا، ولا منّا من يرضى أن يرى هذا فى صحيفته غداً أن نأخذ ثلاثين ألفًا من أموال المسلمين، وندفعها إلى مغنٍّ فى صوت غنّاه فليدفع إليه الأمير ذلك مما عنده»[4].

يُفْهَم من سياق الروايات التاريخية أن الغناء كان مقبولاً لدى رجال الدين الإسلامى، ولا يشددون النكير على أهل الغناء، حتى حدا ببعضهم حضور مثل هذه الجلسات[5].

بدليل ما تم من مناقشات بهذه القضية من قبل الفقهاء كونها أصبحت محط اختلاف ما بين الفقهاء؛ وذلك لورود أحاديث تمنعه وأخرى تبيحه، بحيث كان لفقهاء الأندلس نصيب كبير فى ذلك، فقد ناقش الفقيه ابن عبد ربه هذه القضية، وخرج بإباحة الموسيقى والغناء، وشدّد النكير على من قام بتحريمها، وأورد الأدلة

---

(١) المصدر نفسه، ج٣، ص١٢٧، ١٣١.

(٢) ابن الابار، التكملة، (مخ)، ص ١٥٢. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص١٣، ١٣١.

(٣) ابن الأبار، التكملة (مخ) ص١٥٢. الكتانى، كتاب التشبيهات، هامش رقم (٢)، ص ٦١. المقرى، نفح الطيب، ج ٣، ص١٣١.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٩- ٩٠.

(٥) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٢٢٢. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٧٤-٧٥. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص٢٦١. عياض، ترتيب المدارك، ج٤، ص٤١٢. الضبى، بغية الملتمس، ص١٠٦-١٠٨. المقرى، نفح الطيب، ج٢، ص١٣-١٤، ج٣، ص٥٦٤. الحجى، تاريخ الموسيقى، ص٣٥-٣٦. الكبيسى، دور الفقهاء، ص٢٠٩-٢١٠.

التى تؤيد رأيه فى شرعية السماع[1]. كما عالج هذه القضية الفقيه ابن حزم فى رسائله[2] وفى رسالة خاصة بعنوان «الغناء الملهى أمباح هو أم محظور» وفى حديث يطول ردّ الأحاديث التى تتناول منعه

مما تقدم نجد أن صناعة الغناء راجت فى جميع أنحاء الأندلس، بدليل ما بين أيدينا من إشارات تذكر أن مدينة بلنسية *(Valencia)[3] لم يكن يوجد فيها شخص غنى أو فقير، إلا وقد اتخذ لنفسه مغنية أو أكثر، وإن أهلها يتفاخرون بكثرة الأغانى، وبعدد الآلات الموسيقية، وكانوا يقولون: «عند فلان عودان وثلاثة وأربعة أو أكثر من ذلك»، وقيل إن ثمن المغنية فى بلنسية بلغ أكثر من ألف مثقال طيِّبة، وأما مَنْ هن دون الألف فكثيرات[4].

والمتمعن فى سياق الروايات التاريخية يرى أن أكثر المغنيات من الجوارى، كما يرى أيضًا أن صناعة الغناء دخلت الأندلس منذ فترة مبكرة، فهذه العجفاء جارية الأمير عبد الرحمن بن معاوية التى عُدت أحسن الناس غناء[5] خير شاهد على ذلك، فضلاً عن المدنيات الثلاث: فضل، وعلم، وقلم، اللائى برعن فى معرفة هذه الصناعة، كما عرفت قمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمى، التى وُصفت بكونها ذات معرفة بصياغة الألحان[6].

---

(١) من الأدلة التى استند عليها الفقيه ابن عبد ربه قول النبى ﷺ لحسان: «شن الغارة على بنى عبد مناف، فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام فى غلس الظلام». انظر؛ العقد الفريد، ج٦، ص٦-٧.

(٢) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١ ص٤٣٠-٤٣٩.

(٣) بلنسية؛ مدينة قديمة سهلية تقع شرق الأندلس، بحيث تعتبر قاعدة من قواعدها الشرقية الخمس جامعة لخيرات البر والبحر. انظر؛ الحميرى؛ صفة جزيرة الأندلس، ص٤٧. الرشاطى، أبو محمد، الأندلس فى اقتباس الأنوار، تحقيق إيميليو مولينا، وخاثنيتوبوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، س١٩٩٠م، ص ٣٧. وسيشار إليه فيما بعد، الرشاطى، الأندلس فى اقتباس الأنوار. القزوينى، آثار البلاد، ص٥١٣. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص١٦٦.

(٤) العذرى، ترصيع الأخبار، ص١٨.

(٥) المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص١٤١.

(٦) ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٤٩، ١٥٣. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص١٤٠-١٤١.

ويشير المقرى فى نفحه[1] إلى غزلان زوجة الأمير محمد بن عبد الرحمن الثانى، وأم ولده المطرف بأنها كانت مغنية بديعة محسنة عوّادة أديبة. كما اشتهرت أنس القلوب جارية محمد بن أبى عامر (المنصور) بالغناء، وذكر أنها غنت يومًا فى حضرة المنصور فى شوق وحنين، وفى مجلسه الكاتب أبو المغيرة بن حزم (٣٨٤-٤٥٦هـ/ ٩٩٤-١٠٦٣م) فلما أكملت الغناء قال لها: قولى، واصدقى، إلى من تشيرين بهذا الشوق والحنين؟ فقالت: إن كان الكذب أنجى فالصدق أحرى، والله ما كانت إلا نظرة، ولّدت فى القلب فكرة، فتكلم الحب على لسانى، والعفو مضمون لديك عند المقدرة. ثم بكت، فكأن دمعها دُر، فعند ذلك صرف المنصور وجه الغضب وعفا وصفح، ووهبها لأبى المغيرة بن حزم الذى كان مولعًا بها[2]؛ لهذا فقد وصفت مجالسهم بكونها لذيذة، وكثيرًا ما كانت تحمل هذه المجتمعات الشعراء على الارتجال والابتكار بدليل ما ذكر عن سعيد بن جودى*[2] أثناء دخوله قرطبة، وذلك أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن أنه قد اجتاز يومًا دار ولده عبد الله الذى صارت إليه الخلافة بعده سنة (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٣م)، وإذ به يشرب فى عُلية مُطلة على الطريق مع جارية له تسمى جيجان، كانت تتصف بالجمال والحسن، فإذا بها تغنيه وهو يسقيها، فانتظر قليلاً يمتع سمعه حتى لاح إليه معصم الجارية وهى تمد يدها بالكأس إلى مولاها، فأعجب بما رآه وهام بذكرها، وأخذ يبحث بجدٍّ فى شراء جارية محسنة مغاليًا فى ثمنها حتى ملكها، وسمّاها جيجان على غرار الجارية التى هام بذكرها دهرًا، وقال فيها شعرًا كثيرًا منه:

---

(١) المقرى، نفح الطيب، ج٢، ص٥٨٠-٥٨١. ابن حزم، طوق الحمامة، ص٥. سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص٨٦.

(٢) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٦١٧-٦١٨، ج٢، ص٧٨، ٧٩. بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسى، ص ٦٩. بيهم، المرأة فى حضارة العرب، ص٢٥٧. كحالة، أعلام النساء، ج١، ص٩٧-٩٩.

(٢)* سعيد بن سليمان بن جودى بن أسباط بن إدريس السعيد، عُرف بكونه فارسًا جوادًا شاعرًا من هوزان من جند قنسرين لما قتل سوار بن حمدون ذلت العرب بمقتله فثار سعيد بالعرب فى (س٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) على ابن حفصون حتى أغص بريقه، فلجأ عمر بن حفصون إلى الحيلة بعد أن عجز عنه بالقوة، حتى قبض عليه، وأصبح عنده أسيرًا، فـفداه العرب منه بمال جسيم، وذلك فى عهد الأمير عبد الله، انظر ترجمته فى الحميدى، جذوة المقتبس، ص٢٢٩-٢٣٠. ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص١٢٤. الضبى، بغية الملتمس ص٣٠٧. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٥٤ - ١٥٥. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج٢، ص١٠٥. ابن عذارى، البيان، ج٣، ص١٢٤.

أعطيت جيجان روحي عن تذكرها   هذا ولم أرها يومًا ولم ترنِ[1]

ما أكثر الشعر الذى قاله الأندلسيون، وما أكثر أقاصيص الهوى التى يقصونها، ولعل ألطفها قصة الشاعر يوسف بن هارون الرمادى*[2]، مع جارية فاتنة من جوارى القصر، رآها تسير وحدها عند باب العطارين، وهو الموضع الذى كانت تؤمه النساء، فهام بها من النظرة الأولى، ومضى يتبعها، وعبر القنطرة ورآها، حتى إذا صارت فى موضع خالٍ من الناس خافت أن يكون شريرًا يريد أذاها فالتفتت إليه وخاطبته، وعرفت أنه حِب مستهام بها، فرجته أن يدعها وشأنها، ورفضت أن تقول له ممن هى، وأين تعيش، كل ما قالته له إن اسمها «خلوة» وإنها ستلقاه فى نفس الموعد والمكان كل جمعة، ثم اختفت، فلم يعد يراها، وعاش بعد ذلك يحلم بها ويقول فيها الأشعار[3].

خلاصة القول إن المرأة أصبحت أغنية إثارة وغزل تستميل قلوب العاشقين، حتى انغمس كثير من الخلفاء والشعراء، وغيرهم من باقى أبناء المجتمع فى الإقبال على ملذات الدنيا بما فيها من خمرٍ ونساءٍ[3].

---

(٣) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص١٢٤. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٥٧.

*(١) يوسف بن هارون الرمادى (أبو جنيش) كان من أبرز شعراء الأندلس فى عصره، توفى وقت الفتنة (س٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) انظر ترجمته: الذهبى، أبو عبد الله شمس الدين محمد، العبر فى خبر من غبر، ط١، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، س ١٩٨٥م، ج٢، ص٢٠٧. وسيشار إليه فيما بعد، الذهبى، العبر. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٣٦٩, ٣٧٠. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص٣١١، ٣١٢. ابن بشكوال، الصلة ق٢، ص٦٤٧. الضبى بغية الملتمس، ص٤٩٢-٤٩٤. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص٢٢٥. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٣٩٢-٣٩٣.

(٢) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، ص١٢٠ - ١٢٢. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٣٧٠-٣٧١. الضبى، بغية الملتمس، ص٤٩٢- ٤٩٤. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٧، ص٢٢٧-٢٢٩.

(٣) ابن عذارى، البيان ج٣، ص ٨١، ٩١، ٩٢، ٩٣.

خامسًا: الوظائف الثقافية التى مارستها المرأة الأندلسية

١ - المؤدِّبة:

زخرت المصادر التاريخية بالكثير من الإشارات، التى تعطينا صورة واضحة عن ماهية هذه الوظيفة، والغالب أن تطلق لفظة المؤدب على القائمين على التعليم الابتدائى، وهذا ما ذهب إليه ابن عبدون[١]، حين قال فى التأديب إنه حالة تعلم حُسن الألفاظ فى القراءة، والخط الحسن، والهجاء الصحيح، وقد استخدم لفظ المؤدبين والمعلمين بالأندلس بصورة مترادفة، مع شيوع استعمال لفظة المؤدبين بالأندلس، ولم يكن هؤلاء مختصين بتعليم أولاد الأغنياء فقط، كما هو الحال بالمشرق الإسلامى، وإنما اختص قسم منهم بتعليم أبناء الخاصة، والقسم الآخر بتعليم أبناء العامة[٢]، وقد أشار ابن الفرضى فى تاريخه[٣]، إلى مؤدبين قاموا بتأديب أولاد الخاصة، ومؤدبين مارسوا عملية تعليم أبناء العامة، فقد ذُكر عن الحكم المستنصر أن من طيب أفعاله اتخاذه المؤدبين لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين القرآن[٤].

بحيث يمكن القول: إنَّ مهنة التأديب فى الأندلس لم تكن قاصرة على الرجل دون المرأة، بل نجدها تشارك الرجل جنبًا إلى جنب فى هذه الوظيفة، فبرزت الكثير من المؤدبات اللواتى لا تقل شهرتهن عن شهرة كبار المؤدبين، وهذا يدل على منافسة المرأة للرجل وتقدمها فى المضمار الثقافى، ومن هؤلاء أخت القاضى منذر بن سعيد البلوطى*[٥]، وليس بين أيدينا من المصادر ما يشير إلى اسمها، بل

---

(١) رسالة فى القضاء والحسبة، ص٢٥.

(٢) مُطلق الحركة اللغوية، ص٤٨.

(٣) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص٨٧، ٩٤، ٣٠٢، ق٢، ص٥٢، ١٧٤. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٦٠٢.

(٤) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٤٠.

(٥) منذر بن سعيد: يعرف بالبلوطى منسوب إلى موضع هناك من قرطبة، يقال له فحص البلوط، من أبرز فقهاء عصره، تولى قضاء الجماعة بقرطبة، ويميل إلى مذهب الظاهر، كان نحويًا فاضلاً وشاعرًا بليغًا، وله كتب فى الفقه والقرآن، اتصل بعبد الرحمن الناصر فحظى عنده، ثم عند ابنه الحكم من بعده، ولد (س٢٧٣هـ/ ٨٨٩م)، عند ولاية المنذر بن محمد، (ت٣٥٥هـ/ ٩٦٥م)، انظر =

اكتفت بالقول بأنها من النساء المسنات الخيرات تعتكف فى مسجدها الملاصق لبيتها، وقد نالت حظًا وافرًا من الشهرة فى بلدها (فحص البلوط)*[1]، من نواحى قرطبة، وكان يقصدها «صوالح نسائهم للذكر والتفقه فى الدين ودراسته»[2].

وتطالعنا كذلك مريم بنت أبى يعقوب الفُصُولى الشلبى، وتسمى مريم الشلبية السابقة الذكر بأنها كانت تطوف على بيوت سادات إشبيلية (Sevilla) فتعلِّم نساءها الشعر والأدب[3]. كما برزت المرأة معلمة وراوية؛ فهذه غالبة بنت محمد الأندلسية وُصفت بأنها كانت معلمة وراوية،روت عن أصبغ بن مالك الزّاهد[4]. وبرزت كذلك فخر المتوفاة سنة (٣١٧هـ/ ٩٢٩م) مؤدبة ومعلمة[5].

= بشأن ذلك؛ الخشنى، قضاة قرطبة، ص١٢٠. الزبيدى، طبقات النحويين، ص٢٩٥. ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق٢ ص١٤٤-١٤٥. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، هامش رقم (٥)، ص١٥٦. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٣٤٨-٣٤٩. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص٢٣٧ - ٢٣٩. الضبى، بغية الملتمس، ص٤٦٥؛ ياقوت، معجم الأدباء، ج١٩، ص١٧٩-١٨٥. النباهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص٦٦-٦٧. المقرى؛ نفح الطيب، ج١، ص٣٦٤، ٣٦٨، ٣٧٢- ٣٧٥، ٣٨٨-٣٨٩، ٥٧٠-٥٧٦، ج٢، ص١٦-٢٢.

(١) يذكر ياقوت فى معجمه أن هناك مواضع عدة تسمى الفحص، ويقصد بالفحص كل موضع يسكن - سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن يزرع - يسمى فحصًا، ثم صار عَلَمًا لعدة مواضع مثال ذلك: الفحص التابع لطليطلة أو إشبيلية، وفحص البلوط. انظر تفصيلات ذلك؛ ياقوت، شهاب الدين ابن عبد الله الحموى، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، س ١٩٥٧، مج ٤، ص٢٣٦. وسيشا إليه فيما بعد بـ: ياقوت، معجم البلدان مؤلف مجهول، الأندلس، وما فيها من بلاد، (مخ)، ص١٠؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٠٦؛ الرشاطى، الأندلس فى اقتباس الأنوار، ص٣٧. ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٥٣. ابن سعيد ورفاقه، المغرب ج١. هامش رقم. (١)، ص ٢١٥. الحميرى، صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٠-١٤٣.

(٢) ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٥٣.

(٣) الحميدى، جذوة المقتبس، ص٤١٢. ابن بشكوال، الصلة ق٢، ص٦٩٤-٦٩٥. الضبى، بغية الملتمس، ص٥٤٤. المقرى، نفح الطيب، ج٤، ص٢٩١؛ عبد الله بن عبدالعزيز، المرأة المراكشية فى الحقل الفكرى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مدريد، س١٩٥٨، مج٦، (ع١-٢)، ص٢٦٧. وسيشار إليه فيما بعد، عبد الله، المرأة المراكشية. الكزبرى، سلمى الحفار، فى ظلال الأندلس (محاضرات) مطابع الألف باء، الأديب، دمشق، د. ت، ص١١٧. وسيشار إليه فيما بعد، الكزبرى، فى ظلال الأندلس. حسين، الحياة العلمية، ص١٠٨. على، المرأة فى الشعر الأندلسى، ص ٢٤٣. الريسونى، الشعر النسوى، ص٦٤.

(٤) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ٦٩١.

(٥) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، (برواية الرازى)، ق١، ص٣٥٣.

ولم يكن باستطاعة المرأة التى مارست مهـنة التأديب فى الأندلس ممارسة عملها فى الكتاتيب، كما هو الحال بالنسبة للرجل، فقد ذكر عن الحكم المستنصر أنه أنفذ إلى عماله بتحـبيس حوانيت السراجين بسوق قرطبـة على المعلمين الذين اتخذهم لتعليم أولاد الضـعفاء والمساكيـن بقرطبة[1]، كما أشيـر إلى وجود أماكن للتعليم حول المسجـد الجامع،وفى كل ربض من أرباض قرطبة، وقـد عرفت هذه الأماكن بالمكاتب، وكان عددها على عهد الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦)، سبـعة وعشـرين؛ منها ثلاثة حـول المسجد الجـامع، والباقى مـوزعة على أرباض قرطبة، فاتـخذ لها المؤدبين،وأجرى عليهم المرتبات لقـاء تعليمهم[2]، كما أقيمت السقائف خصيصًا لتعليم الصبـيان، ففى عهد الفتنة وبالأخص فى وقعة قنيتش*[3] أصيب ستون من المؤدبين عريت سقائفهم فى غداة واحدة منهم وتعطل صبيانهم[4] الأمر الذى يقودنا إلى القـول بأن التعليم فى الأندلـس أصبح مجانيًـا وللجميع ولم يكن قاصرًا على قرطبة ونواحيهـا، بل شمل جميع أرجاء بلاد الأندلس وثغورها، كما يتضح من خلال تراجم المؤدبين أنفسهم[5].

أما بالنسبـة للمكان الذى كانت تتلقى المرأة تعليمها فـيه، فكان البيت على من هو مؤهل من أفراد أسرتهن[6]، وخير شاهد على ذلك مـا ذكر عن أخت محمد بن حزم بأنها كانت هى وأبوها وأخوها محمد يمارسون التعليم فى دارٍ واحدة[7].

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجى، ص٢٠٧. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٤٩.

(٢) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٤٠.

(٣) قنيتش: هو المكان الذى دارت فيـه المعركة التى تحمل هذا الاسم بين سليمان بن الحكـم المستعين ومن معه من جيوش البربر ومحمد المهدى وخلفائه من الإفرنج (س ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م). انظر؛ ديوان ابن دراج القسـطلى، هامش رقم (٢) ص٦٤. ابن بسـام، الذخيـرة (ق١ - مج١)، ص ٤٣-٤٤. ابن بشكوال الصلة ق٢، ص٤٨٨.

(٤) ابن بسام، الذخيرة (برواية ابن حيان)، (ق١ - مج١) ص ٤٣-٤٤. بهـجت، المرأة والتعليم، ص٨١. أبو صالح، الجوارى، ص ٦١، ٦٢.

(٥) الحميـدى، جذوة المقتبس، ص ٦٥٠. ابـن الأبار، التكملة (مخ) ص ١٥٩. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨-ق٢)، ص ٤٨٥.

(٦) ابن الفـرضى، تاريخ علمـاء الأندلس، ق١، ص ١٨٤-١٨٥. ابن بشكـوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٣. الأنصارى، الذيل والتكملة (س٨-ق٢) ص٤٨١. بهجت ، المرأة والتعليم، ص٨٢.

(٧) ابن الأبار، التكملة، ج١، ص٢٨١، ٣٥٨. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٦)، ص ١٥٧ - ١٥٨.

كما يفهم من بعض الإشارات أن معلمة تُعْرف باسم رشيدة، كانت تتجول فى بلاد الأندلس متحملة مشقة السفر فى سبيل أن تعظ النساء وتذكِّرهن، وكان لها صيت وإنصاف، فهى بحق تعتبر المثل الرائع فى تفانى المرأة من أجل العلم، ورحلتها فى تقصى العلماء، وكيف أنَّ وفاة عالم شهير بدانية (Denia) لم يقف بها عن الطلب ولم تتقاعس عن مواصلة الرحلة لبلوغ بلنسية (Valencia) وتحقيق أربها[1].

أما بالنسبة للجوارى، فكن يتلقين تعليمهن على يد مواليهن فقد ذُكِر عن محمد ابن الكتَّانى المتطبب (ت ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م)، أنه أوجد سوقًا لقيانه يعلِّمهن الكتاب والإعراب، وغير ذلك من فنون الآداب[2]، فإذا لمس فى جاريته موهبة من المواهب كان يعمل على تنميتها، لبيعها بأغلى الأثمان. كما ورد عن الحكم المستنصر أنه أمر أبا القاسم سليمان بن أحمد بن سليمان الأنصارى المعروف بالرصا فى أن يقوم بتعليم جارية من جواريه التعديل وخدمة الأسطرلاب، وهو عبارة عن آلة تستخدم لرصد النجوم[3]. كما تلقت التعليم شعاع القرطبية على يد مولاها قاسم بن أصبغ*[4]، والتى وُصِفت بكونها صالحة، لها مسجد نُسب إليها يقع فى

(١) ابن الأبار، التكملة،(مخ)، ص ١٥٩. الأنصارى، الذيل والتكملة (س٨ - ق٢)، ص ٤٨٥. بهجت، المرأة والتعليم ص ٨٢.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، (ق٣ - مج١)، ص ٣١٩ - ٣٢٠. ابن عذارى، البيان، ج٣، ص ٣٠٨.

(٣) الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨ - ق٢)، ص ٤٩٥. بهجت، أعلام نساء الأندلس، ص ١٠٤.

(٤) قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف المعروف بالبيانى، مولى أمير المؤمنين الوليد بن عبدالملك، من أهل بيانت من أعمال قرطبة، سمع فيها مِن بقى بن مخلد، رحل إلى المشرق، وسمع بمكة، كان بصيراً بالحديث والرجال، نبيلاً فى النحو والعربية والشعر، وله كتاب سماها المجتنى (ت٣٤٠هـ/ ٩٥١م). انظر؛ الزبيدى، طبقات النحويين واللغويين، هامش رقم (١) ص ١٢. ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص ٣٦٤-٣٦٥. الدانى، أبو عمر عثمان بن سعيد، المقنع فى معرفة رسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط، ط٢، تحقيق محمد أحمد همان، دار الفكر، دمشق، س ١٩٨٣م، ص١١٧. وسيشار إليه فيما بعد، الدانى، المقنع؛ الحميدى، جذوة المقتبس، ص ٣٣٠-٣٣١. الضبى، بغية الملتمس، ص٤٤٧-٤٤٨. الذهبى، شمس الدين محمد، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، د.ت (ج٣-مج٢)، ص٨٥٣-٨٥٥. وسيشار إليه فيما بعد بـ: الذهبى، تذكرة الحفاظ. المقرى، نفح الطيب، ج٢، ص٤٧-٤٨.

ربض الرصافة من قرطبة[1] هذا ولم تسعفنا النصوص التاريخية التى بين أيدينا فى بيان إذا كانت الفتاة تذهب إلى المكتب لتلقّى العلوم أم لا؟ فى حين لا ترى الآراء الفقهية أن تذهب الفتاة إلى المكاتب، لكن هذا لا يعنى النهى عن تعلمهن[2]، فقد وردت نصوص فقهية تحث على ضرورة تعليمهن القرآن والعلم[3]، بدليل أن أم الحسن بنت أبى لواء كانت تتلقى العلم على يد الفقيه بقى بن مخلد، حيث كان لها يوم الجمعة تنفرد به لأخذ العلم فى داره[4]. على أن موضع الأهمية هو أن المجتمع الأندلسى كان يتمتع بمستوى ثقافى رفيع فى هذه الفترة مدار البحث، وذلك بوجود نسبة كبيرة من أبناء الشعب يجيدون القراءة والكتابة، فى الوقت الذى كانت فيه الأمية متفشية فى معظم البلدان الأوروبية[5].

٢- الكاتبة:

برزت المرأة الأندلسية بتوليها المناصب؛ نظراً لسعة ثقافتها، وإجادتها للخط الحسن؛ فقد ذُكِر عن كثير من النساء أنه كان لهن باع طويل فى فن الكتابة، حتى أنها أصبحت تنافس الرجل جنبًا إلى جنب فى هذا المجال، كما نجدها تتباهى بخطها، فقد تصدت صفية بنت عبد الله الربى المتوفاة سنة (٤١٧هـ/ ١٠٢٦م) والموصوفة بحسن الخط إلى امرأة عابت خطها، قالت فيها:

وعائبةٌ خطِّى فقلت لها اقصرى ... فسوف أريك الدرَّ فى نظم أسطرى
وناديت كَفِّى كى تجود بخطها ... وقرّبتُ أقلامى ورِقِّى ومِحبَرى
فخطت بأبيات ثلاث نظمتها ... ليبْدُو لها خطى وقلت لها انظرى[6]

---

(١) الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨-ق٢)، ص٤٨٨.
(٢) ابن سحنون، محمد، آداب المعلمين، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، نشر دار الكتب الشرقية تونس، س١٩٧٢م، ص١١٧. وسيشار إليه فيما بعد، ابن سحنون، آداب المعلمين.
(٣) القابسى، الرسالة المفصلة، ص٢٩٢.
(٤) ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٥٣. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨-ق٢)، ص٤٨١.
(٥) ستانلس، قصة العرب، ص١٢٥-١٢٦. حسَين، الحياة العلمية، ص٥٧.
(٦) الحميدى، جذوة المقتبس، ص ٤١٢. ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٣ الضبى، بغية الملتمس ص٤٤٣.

كما اشتهرت المرأة كاتبة فى الأندلس منذ أن أصبحت الحاجة ملحّة لاستحداث مثل هذا المنصب لدى البلاط؛ للقيام بكتابة المراسلات أو الكتب الطّوال[1]. نظرًا لما تتمتع به من مهارة ودقة فى إجادتها للخط الحسن، كما يدل على سعة ثقافة المرأة الأندلسية في التعبير؛ لهذا فقد برزت المرأة فى الأندلس كاتبة منذ عصر الإمارة (١٣٨-٣٠٠هـ/ ٧٥٥-٩١٢م)، فهذه رقية بنت الوزير تمام بن عامر بن أحمد بن غالب كانت كاتبة للأمير المنذر بن محمد[2]، كما برزت فى عصر الخلافة (٣٠٠-٤٢٢هـ/ ٩١٢-١٠٣٠م)، العديد من النساء اللاتى زاولن الكتابة لدى البلاط.

وربما يعود أسباب استخدام المرأة فى هذا المنصب إلى أولا: تطور الحياة الثقافية فى الأندلس، وتشجيع حكام بنى أمية على ممارسة هذا العمل، لما عُرِف عنهم من تكريم للعلماء، وجمع الكتب بأنواعها، فقد ذُكر عن الحكم المستنصر أنه كان حسن السيرة، جامعًا للعلوم محبًا لها مُكرمًا لأهلها، وجمع من الكتب فى أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله هنالك[3]. ولم تقتصر عادة اقتناء الكتب على الحكام بل نجدها تنتشر حتى فى الوسط العام، فأصبحت عادة إنشاء مكتبة مألوفة عند أهل الأندلس، كما ينشىء أحدنا الآن غرفة لاستقبال ضيوفه، رغم أن رب البيت قد يكون جاهلاً، لكن كى يُقال بين الناس فى الحى أو البلدة، إن فلانًا عنده خزانة كتب جيدة عامرة تحوى كتبًا نادرة، ويدل على ذلك الرواية التى يرويها المقرى فى نفحه نقلاً عن الحضرمى حين قال:[4] أقمتُ مرة بقرطبة، ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب كان لى بطلبه اعتناء، إلى أن وقع وهو بخط فصيح وتفسير مليح، ففرحت به أشد الفرح فجعلت أزيد فى ثمنه، فيرجع إلىّ المنادى بالزيادة علىّ، إلى أن بلغ فوق حده، فقلت له: يا هذا، أرنى مَنْ يزيد فى هذا الكتاب حتى بلّغه إلى ما لا يساوى، قال: فأرانى شخصًا عليه لباس رئاسة، فدنوت منه، وقلت له: أعز الله سيّدنا الفقيه، إن كان لك غرض فى هذا

---

(١) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٤.

(٢) ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص١٥٣. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨-ق٢)، ص٤٨٥.

(٣) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص ١٩٤. ابن خلدون، العِبَر، ج٤، ص١٤٦. المقرى، نفح الطيب، ج١ ص ٣٨٤-٣٨٥، ٣٩٤-٣٩٥.

(٤) المقرى، نفح الطيب، (برواية الحضرمى)، ج١، ص٤٦٣.

الكتاب تركته لك؛ فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده، فقال لى: لست بفقيه، ولا أدرى ما فيه، ولكنّى أقمت خزانة كتب واحتفلت فيها؛ لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقى فيها موضع يَسَع هذا الكتاب.

والملاحظ أن ظاهرة اقتناء المكتبات عند أهل الأندلس شارة من شارات الرئاسة والشرف حتى عند الجهال(١).

وثانى هذه الأسباب يعود إلى متطلبات الأوضاع السياسية التى عاشتها الأندلس وخصوصًا أيام الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م)، وكثرة الوفود على بلاط الخليفة تتطلب الكثير من المكاتبات والمراسلات(٢)، فى الوقت الذى كانت فيه الأندلس مضطربة بالمخالفين، بالإضافة إلى الحدث الهام الذى أدخله الناصر على نظام الدولة الأموية فى الأندلس، حينما أعلن نفسه خليفة، وتلقب بأمير المؤمنين(٣)، كل هذا جعل الحاجة ملحّة للاستعانة بالمرأة فى قصر الخلافة لمزاولة مهنة الكتابة، فقد اشتهرت مزنة، كاتبة الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله بأنها كانت بارعة حاذقة وصفت بأنها من أحسن الناس خطاً توفيت سنة (٣٥٨هـ/ ٩٦٨م)(٤) كما عُرِفت أيضًا «كتمان» المتصفة بالفهم، إحدى جوارى قصر الخلافة بقرطبة، كاتبة للخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله(٥). ثم ساقت لنا الكتب التاريخية خبرًا آخر لكاتبة لمعت فى فن الخط، وعملت فى قصر الحكم المستنصر، عُرفت باسم لبنى كاتبة شاعرة عالمة بالنحو بصيرة بالحساب والعروض، كانت تكتب الخط الجيد، ولم يكن فى قصر الخليفة أنبل منها، توفيت سنة (٣٧٤هـ/ ٩٨٤م)(٦).

---

(١) ابن زيدون، أحمد بن عبد الله بن أحمد، ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق على عبد العظيم، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، س ١٩٥٧م، ص١٧. وسيشار إليه فيما بعد بـ: ديوان ابن زيدون.

(٢) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٦٤-٣٦٦.

(٣) ابن عذارى، البيان ج٢، ص ١٥٧. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٣.

(٤) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص ٦٩٢. الضبى، بغية الملتمس، ص٥٤٦. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨- ق٢)، ص٤٩، حيث يسميها (مزن).

(٥) الأنصارى، الذيل والتكملة، (س٨-ق٢)، ص ٤٩١.

(٦) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص ٦٩٢. الضبى، بغية الملتمس، ص٥٤٦. الأنصارى، الذيل=

واستمرت المرأة تعمل في هذا المنصب حتى عهد الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٨م)، فقد ظهرت نظام الكاتبة في عهده، حيث كانت تمارس الكتابة في قصر الخلافة بقرطبة، وامتازت بأنها بليغة مدركة، كما كانت محبرة للرسائل، ومن إنشائها كان الخطاب الذي عزى فيه الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٨م)، المظفر عبد الملك بن محمد بن أبي عامر لوفاة والده، وجدد له العهد بولايته سنة (٣٩٢هـ/ ١٠٠١م)(١). ويبدو أنه بعد هذا التاريخ لم نعُد نسمع بوجود مثل هذا المنصب، وربما يعود أحد أسباب ذلك إلى الظروف السيئة التي عاشتها الأندلس خلال الفترة الممتدة ما بين (٣٩٩-٤٢٢هـ/ ١٠٠٨-١٠٣٠م) لكن هذا لا يعني عدم وجود كاتبات مارسن عملية الكتابة خارج قصور الخلفاء، فقد عرفت زمرد المتوفاة سنة (٣٦٦هـ/ ٩٤٧م) بأنها كاتبة حاذقة(٢)، كما عرفت راضية مولاة عبد الرحمن الثالث الناصر التي أعتقها الحكم عن أبيه، وتزوجها لبيب الفتى من رجال قصر الخلافة، وحجا معًا، وكانا يقرآن ويكتبان، لقيت عددًا من العلماء، ونسخت مجموعة من الكتب، وامتدّ بها العمر طويلاً فتوفيت في حدود سنة (٤٢٣هـ/ ١٠٣١م)، وقد نيفت على مائة عام بنحو سبعة أعوام(٣).

كما كانت فاطمة بنت زكريا بن عبد الله الكاتب، كاتبة جزلة تكتب الكتب الطوال، تجيد الخط، وتحسن القول والإلقاء، عمّرت طويلاً، وتوفيت سنة (٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م) عن عُمْر قارب أربعًا وتسعين سنة(٤).

= والتكملة، (س٨-ق٢)، ص٤٩٢. السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص ٢٦٩. كحالة، أعلام النساء، ج٤، ص٢٨٧. عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص ٢٦. بيهم، المرأة في حضارة العرب، ص٢٥٦. عبد الله المرأة المراكشية، ص٢٦٦. كزبري، في ظلال الأندلس، ص١١٦. البتنوني، رحلة الأندلس، ص٣٧.

(١) ابن الأبار، التكملة، (مخ) ص ١٥٠. الأنصاري، الذيل والتكملة (س٨-ق٢)، ص٤٩٣. الكزبري، في ظلال الأندلس، ص١١٧. المنوني، محمد، ثقافة الصقالبة، مجلة المناهل، تصدرها وزارة الشئون الثقافية، الرباط، المغرب، (ع ٣١) - (س١١)، س١٩٨٤م، ص ١٩٩. وسيشار إليه فيما بعد بـ: المنوني، ثقافة الصقالبة.

(٢) الأنصاري، الذيل والتكملة، (س٨-ق٢)، ص٤٨٥.

(٣) ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص٦٩٣-٦٩٤. ريبيرا، التربية الإسلامية، ص١٦٢.

(٤) المصدر نفسه، ق٢، ص٦٩٤.

سادسًا: الزواج المختلط وأثره فى الحياة الدينية والثقافية

١ - اعتناق الإسبان الإسلام:

كان الفتح الإسلامى للأندلس فتحًا إنسانيًا، وبدايةً لحدث حضارى فريد قضى الإسلام فيه على الأوضاع السيئة التى سبق وصفها قبل الفتح، فلم تَعُد هنالك طبقة متحكمة متمثلة فى الأسرة الحاكمة والنبلاء، كما انتهت عبودية الأرض، وتحرر كل من دخل منهم الإسلام، وفى هذا يذكر المقرى فى نفحه[1] عند الحديث عن تدين أهل الأندلس فيصفهم بأن «الأغلب عندهم إقامة الحدود وإنكار التهاون بتعطيلها، وقيام العامة فى ذلك، وإنكاره إن تهاون فيه أصحاب السلطان، وأطلق المؤرخون على الذين دخلوا الإسلام من الإسبان «الأسالمة»[2]، أو «المسالمة»[3]، كما أطلق على أبنائهم اسم المولدين[4]، الذين سبق ذكرهم، ويبدو أن انتشار الإسلام كان مبكرًا فى الأندلس، بدليل أن عمر بن عبد العزيز، لما رغب فى نقل المسلمين من الأندلس، أجرى مشاورة، وتخلى عن ذلك حين أُخبر أن الناس قد كثروا بها وانتشروا فى أقطارها، فأضرب عن ذلك[5] وكتب إليه السمح بن مالك يعرِّفه بقوة الإسلام[6].

---

(١) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٢٠.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٩٦. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٧٥. الحجى، التاريخ الأندلسى، ص٢٨٤.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٠٩. ابن الأبار، التكملة، ج١، ص١٩٨، ١٩٨١. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ١٤٩. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٩. الحجى، التاريخ الأندلسى، ص٢٨٤.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٧، ١٠٨. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٩٩. ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص٥٥، ٧٤. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١ ص١٤٨، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤. ابن خلدون، العبر، ج٤ ص١٢٦، ١٣٣، ١٣٥.

(٥) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٦. الونشرسى، أحمد بن يحيى بن محمد، أسنى المتاجر فى بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، س١٩٥٧م (ع١-٢، مج٥)، ص١٨٨. وسيشار إليه فيما بعد، الونشريسى، أسنى المتاجر.

(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٩.

ونتيجة لسماحة الدين الإسلامى، ونظرته التكريمية للإنسان أقبل الناس إليه، بعد أن لمس الناس من غير المسلمين حسن معاملة المسلمين لهم، فأثار ذلك دهشتهم، وقادهم إلى تقبل الإسلام وحب أهله، فازدادت الصلات وثوقًا، كما زاد الاختلاط مع غير المسلمين من الإسبان، إلى حد أن المسلمين كانوا يزورون كنائس النصارى، ويزور النصارى بدورهم قبور أولياء المسلمين لنيل البركة»[1] الأمر الذى قاد إلى تقبل الإسلام، بحيث دخل سكان الجزيرة الإيبيرية فى دين الله أفواجًا.

وهذه أسماء لبعض من دخل الإسلام فى الأندلس أو ولد فيه كذلك:

- على بن حسن المعروف بابن شبرقة من أهل بطليوس (Badajoz) كان كثير العلم، متصرفًا فى الأدب، والظرف، وكان موثقًا، وابتنى مسجدًا ببطليوس، ومات فى أول أيام الأمير عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)[2].

- أبو الفتح نصر بن أبى الشمول، الفتى الكبير «الذى تنسب إليه مُنية نصْر، وكان أبوه من نصارى قرمونة (Carmona)»[3]، فى حين يذكر ابن حزم خبرًا آخر مفاده أن أباه كان من أسالم أهل الذّمة من أهل قرمونة[4]، ونصر هذا استخدام فى قصر الحكم (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢١م) ثم على عهد ابنه عبد الرحمن الثانى (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٨٦م)[5].

- أحمد بن عبد الله «من أهل قرطبة (Cordoba)، وهو ابن أخى قومس (Comes)، كاتب الأمير محمد»[6].

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، (ق١-مج٢)، ص ٦٨٢.

(٢) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص٣١٢.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٩٦.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩٦. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٧٥-٧٦. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٨، ١٤، ٢٦، ٨٦، ١٠٦، ١١٠. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص ٤٩.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٦-٩٧. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٧٥. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ٩، ١٠، ١٤، ١٥. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٥١. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣٠.

(٦) ابن الأبار، التكملة، ج١، ص١٢. ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص٣٠.

وقومس هذا هو قومس بن نتيان بن يُليانة النصرانى، أسلم فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) فولاّه الكتابة[١]. والظاهر أنه حسن إسلامه حتى وصفه الفقيه أبو عبد الله محمد بن مطروح (ت ٢٧١هـ/ ٨٨٤م)[٢]، مَن مثل قومس السُّجاد العُباد حمامة هذا المسجد؟!»[٣] وذكر له ابنًا هو عمر بن قومس الكاتب[٤].

- ولعل أحفاد أم الوليد بنت خلف بن رومان النصرانية التى يبدو أنها أسلمت فيما بعد، والتى تزوجت من تمام بن عامر علقمة (١٩٤-٢٨٣هـ/ ٧٨٤-٨٥٢م)، أسلموا وحسُن إسلامهم، فجاء من نسلهما الوزير الكاتب عيسى بن فطيس، فتمام جده لأمه[٥]. ومن نسلهما أيضًا أبو المطرف عبد الرحمن بن عيسى بن فطيس (٣٤٨-٤٠٢هـ/ ٩٥٩-١٠١١م) المحدِّث، المؤلف، قاضى الجماعة بقرطبة (٣٩٤-٣٩٥هـ/ ١٠٠٣-١٠٠٤م)[٦]، كما ورد فى كتب التاريخ من الإشارات التى نستدل من خلالها على مشاركة المرأة فى الأعمال الدينية، بدليل ما ذكر عن مساجد ومقابر تحمل أسماء نساء يرجعن بنسبهن إلى أصل إسبانى[٧]، على أن موضع الأهمية هنا أن هذا الجيل (الأبناء) كانوا يدينون بالإسلام، ويتخذون نوع الحياة التى يتخذها المسلمون، إلا أنهم لم يفقدوا شخصيتهم الذاتية باعتبارهم من أصل إسبانى، وخير شاهد ما جرى فى طليطلة (Toledo)، التى كانت تعتبر من أهم مراكز العصبية المولدة ودعوى (المولدين)؛ لأنها تضم أكبر طائفة منهم، وقد ظهر ذلك فى حركاتهم الثورية وميولهم الانفصالية عن سلطان قرطبة (Cordoba)

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠١. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٤٢.

(٢) ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ق٢، ص٩.

(٣) الخشنى، قضاة قرطبة، ص٧٦.

(٤) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٤٨.

(٥) الثعالبى، عبد الملك بن محمد، يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر، ط٢، تحقيق محمد محيى الدين، مكتبة الحسين التجارية، القاهرة، س١٩٤٧، ج١، ص ٢٩٥. وسيشار إليه فيما بعد، الثعالبى، يتيمة الدهر. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٧٠. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى ص ١٨٢. ابن الأبار، أعتاب الكتّاب، ص ١٩٠.

(٦) ابن بشكوال، الصلة، ق١، ص٣٠٩.

(٧) انظر نفس الدراسة (مشاركة المرأة فى الأعمال الدينية).

ومن هؤلاء الولاة عمروس الوشقى المولد حاكم وشقة (Huesca)، الذى أعلن العصيان على الأمير محمد سنة (٢٥٦هـ/ ٩٦٩م) واستعان بغرسيه بن ونقة - (Garces Inigues)، فشن الأمير الحرب عليه، فعاد إلى الطاعة واستقام أمره[١].

٢- انتشار اللغة الإسبانية بين مسلمى الأندلس:

كان من الطبيعى نتيجة الزواج المختلط بين أفراد الفتح وأهل البلاد الأصليين، أن يتأثر جيل الأبناء (المولدين) بأمهاتهم الإسبانيات فى لغتهم وعاداتهم، ولعل أوضح مثال لهذا اللقاء الحضارى، ظاهرة انتشار ازدواجية اللغة بين الأندلسيين والتى تسمى أعجمية أهل الأندلس أو اللطينة[٢] يتكلمها الناس فى حياتهم العادية، وقد تعجب ابن حزم[٣] من أهل دار بلى، الموضع المعروف باسمهم بشمال قرطبة؛ لأن نساءهم ورجالهم لا يحسنون الكلام باللطينة لكن بالعربية فقط، مما نفهم منه أن تلك اللغة كانت منتشرة بين أهل الأندلس، وحتى هذه القبيلة يقول عنها ابن حزم: إن أفرادها «لا يحسنون» أى أنهم يعرفون اللغة، ولكنهم لا يجيدونها إجادة غيرهم[٤].

وإذا تصفحنا المصادر الأندلسية نجد إشارات واضحة تدل على أن الخلفاء والقضاة وعلية القوم - فضلاً عن الطبقات الأخرى - كانوا يتكلمون اللغة الإسبانية إلى جانب اللغة العربية.

ويروى ابن هشام اللخمى على سبيل المثال[٥] أنه نبت سن لبعض ولد الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى، فوصفوا له طعامًا يتناوله الأطفال عند نبات أسنانهم فقال الأمير للوزراء: هذا الذى يسميه الناس بالأعجمية «الذنتنية»، ويروى ابن عذارى[٦] أن الوزير الشاعر أبا القاسم لُب هجا عبد الملك بن جهور بأبيات من الشعر أمام الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر، قال فيها:

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٨. العذرى، ترصيع الأخبار. ابن حيان، المقتبس تحقيق مكى، ص٣٣١. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٦. الحجى، أندلسيات (المجموعة الثانية)، ص١٢٣.

(٢) ديوان ابن حداد الأندلسى، مقدمة المحقق، ص٦٩.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٤٣.

(٤) المصدر نفسه ص٤٤٣.

(٥) ابن هشام، كتاب لحن العامة، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٦) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٨٦- ٢٨٧.

قــــال أمـين الله في خَلـقِـــــهِ   لى لحـــيـــةٌ أزرَى بهـــا الطُّول
لولا حـيــانى من إمـام الـهُـدى   نخـــست بالمِنخَس (شـوقُــول)

فلما بلغ لُبّ إلى قوله «شُوْشو» سكت، فقـال له عبد الرحمن الناصر: «قول» فأتم له على ما أضمرَ، فقال له: «أنت هجوته يا مولاى! «فضحك الخليفة الناصر وأمر له بصلة»، ولعل هنا كلـمة «شوقول» بالإسـبانية تعنى أسفل الظهـر، كذلك نجد فى كـتاب القـضاة بقـراطبة لمحـمد بن الحارث الخـشنى (٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)، إشارات هامـة عن انتشار الـلغة الإسبـانية إلى درجة أن بعض القـضاة يتـقنونها، ويناقشون المهتمين بها أثناء المحاكمة، مثال ذلك قوله: «وكان حينئذ، بالمدينة شيخ أعجمى اللسان يُسَمَّى ينير وذلك أيام الأمير عـبد الرحمن الثانى، وكان مقدمًا عند القضاة مـقبول الشهـادة، مشهوراً فى العـامة بالخير وحسن المذهـب، فأرسل إليه الوزراء، وسألوه عن القاضى، فقال بالأعجمـية: ما أعرفه، إلا أنى سمعت الناس يقولون إنه إنســان سوء، وصغَّـره باللفظ الأعجـمى، فلما رُفِع قوله إلى الأمـير، عجـب فى لفظه، وقال: مـا أخرج مـثل هذه الكلمة من هذا الرجل الصـالح إلا الصدق. فعزله عن القضاء[1]. وقوله كذلك: وذكر لى غير واحد من أهل العلم أنَّ سليمان بن أسود كانت فيه دعـابة تليق به وتحسن منه، وذلك أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن؛ حكوا عنه فى ذلك حكاية حُفِظت عنه فى مجلس حكمه، ذلك أنه كان فى وقـته رجل من العـدول يُعْرف بابنَ عمـار، كان يختـلف إلى مجلس القاضى، وكانت له بغلة هزيلة، تلوك لجامهـا طول النهار على باب المسجد، وقد أنضاها الجهد، وغيَّرها الجوع، فتقدمت امرأة إلى القاضى، وقالت له بالأعجمية: يا قاضى: انظر لشـقيقتك هذه؟ فـقال لها بالأعجـمية: لست أنت شقيـقتى، إنما شقيـقتى بغلة ابن عمار التى تلـوك لجامها على باب المسجـد طول النهار[2]. وفى موضع آخر نجد خبراً مفاده أن القاضى سعيد بن سليمان*[3] قضى يومًا فى المسجد

(١) الخشنى، قضاة قرطبة، ص٥٤-٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٩-٨٠.

*(٣) سعيد بن سليمـان، عُين قاضيًا على قرطبة فى أيام الأميـر عبد الرحمن بن الحكم إلى أن مات الأمير (س٢٨٨هـ/ ٩٠٠م) ثم على عـهد ابنه الأمير محـمد بن عبد الرحمن نحـو عامين، ثم مات غير معزول. انظر: الخشنى، قضاة قرطبة ، ص٦٥.

إلى أن مضى صدر النهار، ثم قام منصـرفًا إلى داره، فلما همّ بدخول الدار، فإذا بوالد نصر الفتى مُقبلاً وأعوانه، كان أعجمى اللسان فصاح على البعد بالأعجمية: كلموا القاضى يثبت علىّ، أكلّمه، فقال القـاضى لأصحابه: قولوا له بالأعجمية: إن القاضى قد أدركته الملالة والسآمة من طول الجلوس للقضاء، فإذا جلس بالعشى فى المسجد للنظر بين الناس، تعود إليه فى حاجتك إن شاء الله، ثم دخل القاضى داره ولم يقف»[1].

وبإمعان النظر فى النصوص التـاريخية السابقة الذكر نجد أنها تؤكـد على حقيقة مفادها، أعنى بها روح العدالة التى كان يتمسك بها القضاة المسلمون، فحين كان يمثُل أمامهم رجلٌ نصرانىّ لا يجيد العربية كـانوا لا يجدون غضاضة فى مخاطبته بلغته الإسـبانية، وإذا كان الأمر هكذا فـلا ينبغى أن يُفسر ذلك بأن القـضاة تركوا لغتهم العربية وأصبحوا لا يتكلمون غير اللطينة.

وفى الشعر الأندلسى كثيرًا ما نجد ألفاظًا إسـبانية وما يقابلها بالعربية إما بطريق مباشرٍ أو بطريق الكناية والاستعارة بصورة تدل عـلى تمكن قائليها من معرفة اللغة الإسبانية، وخير شاهد على ذلك قول الشاعر الأندلسى ابن دراج القسطلى المتوفى (٤٢١هـ/ ١٠٣٠م):

وأنت الذي أوردت (لونـه) قـاهرًا ... خيولاً سماءُ الأرض فـيها نحورها

وفى موضع آخر قال:

ويا ليت قـوطًا حين شـاد بناءه ... رآه وقـد خـرّت إليك جـوانبـه
ويا ليت إذا سـمّاه بدرًا مُـعظّمًا ... رآه فى كف العـجـاج مـغـاربه[3]

وهذه الأبيات فى مـدح عبد الملك المـظفر بن محـمد بن أبى عامـر (المنصور) حينما افتـتح حِصنًا فى شمال إسبانيـا (سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) اسمه لونه (Luna) ومعناه البدر، فيقول: إن ملوك الإسبان، ويعبر عنهم بكلمة قوط، حينما بنوا هذا

(١) الخشنى، قضاة قرطبة، ص٦٤.
(٢) ديوان ابن دراج القسطلى، ص٢٥.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٢.

الحصن أطلقوا عليه لفظ «لونه» ومعناه باللاتينية البدر، وكذلك في اللغة الإسبانية، وهم لا يقدّرون أن هذا البدر سيكون غروبه على يد الملك المظفر[1]، كما تؤكد بعض الروايات أن عمر بن حفصون كبير زعماء هذا الجيل، ظل يحتفظ باللغة الإسبانية القديمة، وكان يستخدم بعض كلماتها في حديثه: مثل قوله عندما قيل له بوجود قطيع من خيل العدو وحاشيته عل مسافة بعيدة: «هذا توهيم للإبياطة»[2] فكلمة إبياطة معناها بالإسبانية القطيع من البقر والخيل[3].

مما تقدم نرى أن انتشار اللغة الإسبانية بين الأندلسيين كان أمراً طبيعياً، نتيجة للتداخل الحضارى بين الثقافتين العربية والإسبانية القديمة.

(١) المصدر نفسه، هامش رقم (١)، ص٢٢، ٢٥.

(٢) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص٩٧.

(٣) الحريرى، محمد عيسى، حركات المولدين في الجنوب الأندلسى في عصر الإمارة الأموية بالأندلس (٢٦٧-٣١٦هـ/ ٨٨٠-٩٢٩م)، دار المعرفة الجامعية، مصر، الأزاريطة، س ١٩٨٥م، ص١٦. وسيشار إليه فيما بعد بـ: الحريرى، حركات المولدين.

الفصل الرابع

أثر الزواج المختلط فى الحياة السياسية فى الأندلس

تمهيد.

أولاً: بداية التدخل السياسى للمرأة فى الأندلس.

ثانيًا: تدخل المرأة فى ولاية العهد.

ثالثًا: دور المرأة فى المعارضة.

رابعًا: دور المرأة فى تدبير المؤامرات والقتل.

خامسًا: دور المرأة فى الأعمال العسكرية.

سادسًا: الدور السياسى الذى لعبه جيل الأبناء (المولدين): الحركات الثورية.

أثر الزواج المختلط فى الحياة السياسية فى الأندلس

تمهيد:

ما أن وطئت أقدام الفاتحين أرض الأندلس حتى شاع الزواج بالإسبانيات[١]؛ ونتج عن ذلك ظهور حركة اختلاط واسعة النطاق، فقد قدَّم لنا التاريخ الإسلامى أمثلة كثيرة لنساء من أهل البلاد المفتوحة، أو الرقيق، أو من الأسرى، كُنَّ زوجات لبعض الخلفاء والأمراء سطعن فى الحياة السياسية، وأصبح بينهن السيدة المطلقة اليد، التى تولِّى وتعزل، وتدير شئون الدولة دون رقيب[٢].

ويعود سبب ذلك إلى تأثيرهن فى الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة، لا سيما إذا علمنا أن الحكم العربى فى الأندلس قد اكتنفه الكثير من التقلبات السياسية والانقلابات الداخلية، ولم تَعْرِف الأندلس نوعًا من الاستقرار السياسى خلال ثمانية قرون[٣]. بحيث أصبح القول المأثور حقيقةً: أنَّ وراء كل عظيم امرأة، وأن وراء كل عمل فظيع امرأة[٤].

لهذا فقد برزت المرأة وراء بعض الأحداث السياسية، فى الوقت الذى كان فيه البلاط مجالاً خصبًا للدسائس والمؤامرات بين كبار رجال الدولة، حتى حدا بكثير من المؤرخين إلى القول بأن زوال مُلك بنى أمية كان على يد أم ولد[٥].

---

(١) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢٠- ٢١. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ص٨٧. القيروانى، تاريخ أفريقية، ص٩٤ - ٩٥. ابن الأثير، الكامل ج٥، ص٢٢، ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٣. النويرى، تاريخ المغرب، ص٢١٠. المقرى نفح الطيب، ج١، ص٢٨١.

(٢) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧٢ - ١٧٣. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٢.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، مقدمة المحقق، ص٩.

(٤) التواتى، مأساة انهيار الوجود العربى، ص٥٣٧ - ٥٥٦.

(٥) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسى، طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وغرائب وأخبار وأسرار، تحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ت ، ص١٠١. وسيشار إليه فيما بعد بـ: ابن عبد ربه، طبائع النساء. حتاملة، محمد عبده، التنصير القسرى لمسلمى الأندلس فى عهد الملكين الكاثوليكيين (١٤٧٤ - ١٥١٦م)، ط١، عمان، الأردن، س١٩٨٠.، ص٥١. وسيشار إليه فيما بعد بـ: حتاملة، التنصير.

وذلك بسبب تدخلها الصريح فى شئون الدولة، بحيث كان أحد الأسباب لانهيار الوجود العربى فى الأندلس[١].

ويظهر أن تدخل المرأة فى شئون الدولة كان يظهر ويختفى حسب قوة السلطان القائم، ويؤيد ذلك ما ذكر عن «عجب» حظية الحكم الربضى التى منعها ابنها عبد الرحمن عندما حاولت أن تتدخل للعفو عن ابن أخيها، الذى بدرت منه عبارة دعابة تمس لفظ الجلالة[٢].

وحتى نتمكن من رصد خطرهن والوقوف على حقيقة ذلك، لا بد من تتبع أوضاعهن خلال الفترة محل البحث.

أولاً: بداية التدخل السياسى للمرأة فى الأندلس:

بدأ تدخل الزوجة الصريح فى المجال السياسى فى الأندلس منذ فترة مبكرة، وبالتحديد بعد الانتهاء من عملية الفتح، وعودة موسى بن نصير حاملاً معه من الأموال والتحف النفيسة الشيء الكثير؛ ليقدمها إلى الخليفة الأموى بدمشق الوليد ابن عبد الملك، وذلك سنة (٩٥هـ/ ٧١٣م)(٣). بعد أن استخلف على الأندلس ولده عبد العزيز الذى نزل مدينة اشبيلية (Sevilla)، واتخذها قاعدة لملكه[٤]، وتزوج بعد خروج أبيه من إيلونا (Egilona) التى تنتمى إلى أسرة ملكية سابقة هى أسرة لذريق (Roderic)[٥]. وقد سمتها المصادر العربية باسم أم

---

(١) التواتى، مأساة انهيار الوجود العربى، ص٥٣٧.

(٢) الخشنى، قضاة قرطبة، ص٥٩ - ٦٠. النباهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص٥٥. مؤنس، شيوخ العصر، ص٤٤.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٠٠. ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص٥٠. ابن قتيبة، القسم الخاص بالأندلس، ص١٥٣- ١٥٤. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٣. النويرى، تاريخ المغرب، ص٢٦٨. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٦ - ٣٧. مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢١. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٣. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٧٦. مؤنس، فجر الأندلس، ص١٣٠.

(٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٢١٢ ابن عبد الحكم، فتوح أفريقية والأندلس، ص٨٤. مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢١. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٧. القيروانى، تاريخ أفريقية والمغرب، ص٩٤. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٢. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٣. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١.

عاصم[1]. ويبدو أنها كانت على درجة كبيرة من الجمال والذكاء، واستطاعت أن تفتن زوجها، وتملك زمامه، ولعلها كانت تهدف من وراء ذلك إلى استرجاع مكانتها القديمة بصفتها ملكة للأندلس، بعد أن قتل الفاتحون زوجها لذريق[2]. وهذا نستقيه من خلال ما رواه المؤرخون أنها قالت له: «ما لى لا أرى أهل مملكتك يعظمونك، ولا يسجدون لك، كما كان يُسجد للذريق أهل مملكته؟ فقال لها: إن هذا حرام فى ديننا «فلم تقتنع منه بذلك»[3]. وما زالت تلح عليه إلحاحًا شديدًا حتى رضخ فى النهاية على نحو يرضيها، وفى نفس الوقت لا يلفت انتباه رجاله من الجند، فاتخذ بابًا صغيرًا قبالة مجلسه، يدخل عليه الناس منه فينحنون عند دخولهم لِقِصَر الباب، وقد جعل لها مجلسًا تنظر منه إلى الناس إذا دخلوا عليه من حيث لا يرونها، فلما رأتهم على ذلك، ظنت أنهم يسجدون له فقالت لعبد العزيز: «الآن قَوِىَ ملكك»[4].

ولم تكتفِ بذلك، فيقال: إنها أشارت عليه أن تعمل له مما بقى عندها من الجوهر والذهب تاجًا يكلّل به رأسه تمثلاً بالملوك، «فقال لها: ليس ذلك فى ديننا». وما زالت تسعى إلى ذلك حتى وافق، فبينما كان يجلس معها ذات يوم والتاج على رأسه، إذ دخلت عليها امرأة لم تذكر المصادر اسمها، بل اكتفت بالقول بأنها من بنات ملوكهم زوجة لأحد قادة العرب، هو زياد بن النابغة التميمى، فعاينته والتاج على رأسه، وأسرعت إلى زوجها زياد، وطلبت منه أن

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٧. مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢٧. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٣. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١.

(٢) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١١٣. عبد المنعم، التاريخ السياسى، ص١٩. مؤنس، فجر الأندلس، ص١٣٠.

(٣) ابن عذارى، البيان (برواية الواقدى)، ج٢، ص٢٤. ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٢١٢. ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا والأندلس، ص٨٤. القيروانى، تاريخ أفريقية والمغرب، ص٩٤. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١. عبد المنعم، التاريخ السياسى، ص٢٠.

(٤) ابن عذارى، البيان، (برواية الواقدى)، ج٢، ص٢٤.؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٢١٢. ابن عبد الحكم، فتوح إفريقيا والأندلس، ص ٨٤. القيروانى، تاريخ إفريقيا والمغرب، ٢: ٩٤، ٩٥. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١. فى حين تذكر المصادر التالية أنها قالت له: الآن لحقت بالملوك، انظر؛ مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢١. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٢.؛ النويرى، تاريخ المغرب، ص٢١٠.

يصنع لنفسه تاجًا يكلل به رأسه اقتداءً بعبد العزيز، فقال لها: «ليس في ديننا استحلال لباسه، فقالت له: ودين المسيح إنه على رأس ملككم وإمامكم»[1]. لكن يبدو أن أم عاصم كانت تهدف من وراء كل ذلك إلى استرجاع مكانتها القديمة، لا سيما أنها كانت تنتمي إلى أسرة ملكية[2]، وذلك عن طريق تحريض زوجها عبد العزيز على الاستقلال بالأندلس وتأسيس دولة يكون هو ملكها[3]. وفي الوقت نفسه كان عبد العزيز زوجها قد أظهر سياسة التساهل والمرونة مع أهل البلاد، وهذا ما يؤكده صاحب كتاب فتح الأندلس[4]، في أنه أكرم النصارى من أجل زوجته أم عاصم، في حين ذهب بعضهم إلى القول، بأن عبد العزيز بنى لإيلونا كنيسة تُعرف بربينة أو رُفينة (Sante - Ruffina) على باب مسجده، وأنّه كان يسكن في الكنيسة معها[5]. وقد زعم آخرون أنها حملته على النصرانية فتنصر[6]. لكن هذا الاعتقاد ضعيف جداً بدليل أن عبد العزيز بن موسى كان قائمًا يصلي في مسجد رُفينة بمدينة إشبيلية يوم قتله على يد زياد بن عُذرة البلويّ سنة (٩٧هـ/ ٧١٥م)[7]، كما ساقت لنا المصادر التاريخية اعتقادًا آخر بأنه يريد من وراء كل ذلك الانفصال عن مركز الخلافة بدمشق[8]؛ لأنه كان ينشد السيطرة والاستقلال بجميع المناطق الإسبانية المفتوحة[9]. لكن هذا الاعتقاد بأن عبد العزيز كان يريد

---

(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٧ - ٢٨. مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢١. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٣ - ٢٤.

(٢) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١١٣.

(٣) عنان، دولة الإسلام، ق١، ص٧١. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١١٣.

(٤) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢١.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٧. مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢١. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٤. المقرى، نفح الطيب. ج١، ص٢٨١.

(٦) ابن عبد الحكم، فتوح أفريقيا والأندلس، ص٨٤؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٢١٢. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٧ - ٢٨. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٢. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٤.

(٧) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٤.

(٨) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢٢. ابن قتيبة، قصة فتح الأندلس، ص١٧٩. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٤.

(٩) طه، الفتح والاستقرار، ص٣٣٤.

الانفصال عن الخلافة اعتقاد ضعيف ويكفى أن نسوق دليلاً واحداً يبين لنا الحقيقة حين نقول بأن هذه الفترة تمثل بداية الفتح ولغاية الآن لم تكتمل مقومات الاستقلال التى تمكن عبد العزيز من الانفصال، هذا إذا علمنا أن سياسة التساهل التى نهجها عبد العزيز مع أهل البلاد، ورضوخه لرغبات زوجته ولّدت نوعًا من الكراهية بين الناس لعبد العزيز بحيث ظهر الكثير من الأقاويل والإشاعات حول تنصره. هذا فضلاً عن موقف الخلافة السلبى من آل موسى[1]، مما دفع وجوه الجند فى الأندلس إلى استغلال الفرصة، واغتيال عبد العزيز بن موسى سنة (٩٧هـ/ ٧١٥م)[2]. فهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على تأثير الإسبانيات فى أزواجهن من الأمراء، فكيف بمن دونهم؟ وبهذا تنتهى حياة أول حكام الأندلس، والشخصية الثالثة التى اقترنت بحركة الفتوح فى هذه البلاد.

وتطالعنا من خلال هذا الرصد الذى جعلناه نهجًا «راح» (أم عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل)[3]، باعتباره أول داخل من ملوك بنى مروان الأندلس سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م)[4]، على أثر سقوط دولة آبائه، واستيلاء بنى العباس على ما كان بأيديهم، فتمزقت جموعهم، وبُدد نسلهم، وهتك حريمهم، ونزل الرعب بساحتهم، فخرج عبد الرحمن فاراً بنفسه إلى الأندلس[5]. وفى أثناء طريقه مرّ

(١) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢٢. ابن عذارى، البيان، (برواية الواقدى)، ج٢، ص٢٤.

(٢) ابن عذارى، البيان، (برواية الرازى)، ج٢، ص٢٤. ابن عبد الحكم، تاريخ أفريقية والمغرب، ص٩٥. ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٢١٢. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٧. مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٢٢. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٢٨. ابن قتيبة، قصة فتح الأندلس، ص١٧٩. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٢. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٢٨١.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٠٩. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٩. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٨٣. الضبى، بغية الملتمس، ص١٢. المراكشى، المعجب، ص٩. النويرى، تاريخ المغرب، ص٥٧. ابن الخطيب، لسان الدين محمد، رقم الحلل فى نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس المحمية، س١٣١٦هـ، ص٤١. وسيشار إليه فيما بعد بـ: ابن الخطيب، رقم الحلل.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٢. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص٢٧.

(٥) مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٤٤. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١١٠. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٩. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٩٣. المراكشى، المعجب، =

على أخواله بنى نفزة من برابرة المغرب لكون أمه من سبيهم[1]. هذا إن صح نسبه من جهة الأم، فقد يكون للدم أثره الفعال فى حمل عبد الرحمن على احتواء ملكها[2]. فمن المعقول أن تكون أمه البربرية هى التى أغرته عن طريق الإيحاء فى أحاديثها معه بالتطلع إلى هذا الأمر، إذا أخذنا بعين الاعتبار الفترة الزمنية ما بين دخوله الأندلس وتتويجه أميراً عليها سنة (١٣٨هـ/ ٧٥٥م)[3]. فهى فترة كفيلة بأن تقنعه وتحقق مرادها، بالإضافة إلى أنه كان من واجبها كأم رجل ينحدر من سلالة ملوكية، أن تعمل جاهدة لرفع ابنها إلى العرش ليتسنى لها أن تحقق ما كانت تصبو إليه، وأم عبد الرحمن قد دفعها إلى هذا الإغراء والتشجيع بالتطلع إلى الحكم أمران:

أولهما: ما تشعر به من كراهية لهؤلاء الذين جعلوا منها مجرد جارية، وهى التى كانت ذات ماضٍ عريق جدير بالتقدير والاحترام.

وثانيهما: مفارقة الأرض بالقوة، وهى التى لا تملك حرية البقاء جعل منها إنسانة تحاول الانتقام لنفسها وشرفها بإقامة دولة فى الأندلس، ثم العودة إلى بلدها، وهى متوجة مرفوعة الرأس، وبذلك تستطيع أن تكون المثل الحى لما يجب أن تكون عليه مثيلاتها من المحظيات والوصيفات وأمهات الأولاد[4].

والملاحظ أن دور المرأة فى الحياة السياسية لم يكن قاصراً على الإيحاءات لولدها بالتطلع إلى الحكْم، بل نجدها تراقب الأحداث السياسية، وتُبلغ زوجها عن أى تطور خطير يمس الدولة، مثال ذلك دور زوجة يوسف الفهرى «أم عثمان» التى لم تفصح المصادر عن اسمها، بل اكتفت بالقول بأنها «أم ولده وصاحبة

= ص١١. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٤٠. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢١. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص٢٧.

(١) ابن عذارى، البيان، (برواية الرازى)، ج٢، ص٤١. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١١١. مؤلف مجهول، ص٥٧. مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص٤٥. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٩٤. ابن الخطيب، رقم الحلل، ص٤١. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢١.

(٢) المراكشى، المعجب، ص٩. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص٢٧.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٩. السيوطى، تاريخ الخلفاء، ص٥٢٢.

(٤) التواتى، مأساة انهيار الوجود العربى، ص١١٢ - ١١٥.

سلطانه»[1]. وقد تمثل دورهـا بأنها قد أوفـدت رسولاً يحـمل رسالة إلى زوجـها يوسف الفهرى الذى كان خارج قرطبة، تنـص على أن عبد الرحمن بن معاوية قد دخل الأندلس ونزل قرية طرش (Torrox)[2]، من كورة ألبيرة (Olvera)[3]، عند أحد كبار موالى بنى أمـية واسمه عبيد الله بن عثمـان، كان هو وعبد الله بن خالد يتعاقـبان على حمل لواء بنى أميـة فى ألبيرة[4]. فى حين تذكر بعض المصادر بأنه عندما علم موالى بنى أمية بهذه المراسلات أخـفوا عبد الرحمن، وفى الوقت نفسه حاولوا التضليل على يوسف الفهرى، وذلك بالكتابة إليه بأن عبد الرحمن لم يعبر الأندلس طالبًا الملك والسلطان، كما يظن الأمير، بل جاء يطلب الثراء والأمان بين مواليه[5]. لكن تبعًا لما يذكره صاحب كتـاب أخبار مجموعة[6] فإن عامل ألبيرة، هاجم فعلاً عبد الرحمن وحماته، لكنه هزم وضرب أصحابه.

وبإمعان النظر فيما سبق يتضح لنا بأن المرأة كانت تتمتع بوعى سياسى حتى فى غياب زوجها، فهذه المرأة نجدها تسـهر على مصائر الدولة بذكاء وعزم، بدليل أنها لم تتردد عن إبلاغ زوجها عن أى جديد يمس وحدة الدولة.

ثانيًا: تدخُّل المرأة فى ولاية العهد:

لقد كان من النتائج السلبية للزواج المختلط تدخل المرأة فى ولاية العهد، لاسيما الجوارى والإماء، وكثيراً ما كانت الجـارية تستحوذ على قلب الأمير وتحيطه بأشراك جمالها وحبّها، حتى تسـتأثر لديه بنفوذ وسلطان كبيرين، إن هو اتخذها زوجًا له، بل إن منزلتهـا تزداد إذا ما صـارت أم ولده، فيلقى إليهـا عندئذ بمقاليـده فى سره

(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٧٤. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٤٦.
(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٧٤. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٣٤٦.
(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١١٢. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٤٤. دوزى تاريخ مـسلمى إسـبانيـا، ج١، ص٢٠٠. سـالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٨٤. الـشعـراوى، الأمويون أمراء الأندلس، ص٧٥.
(٤) ابن القوطية، تاريخ افـتتاح الأندلس، ص٤٦. مؤلف مجـهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١١٢. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٤١. ؛ المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص٢٩.
(٥) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٤٤ - ٤٥.
(٦) مؤلف مـجهـول، أخبار مـجمـوعة، ص٧٤. دوزى، تاريخ مـسلمى إسـبانيا، ج١، ص٢٠٠ الشعراوى، الأمويون أمراء الأندلس، ص٧٥. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١٨٤.

وجهره، ويسند إليها أموره، وتستغل هذه الفرصة لنيل ولاية العهد لابنها، ولعل أسطع مثال على ذلك، طروب جارية الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦ - ٢٣٨هـ/ ٨٢١ - ٨٥٢م)، وأم ولده عبد الله، البشكنسية الأصل، ولع بها الأمير ولعًا شديدًا، وكان لها تحكم وإدلال كبيرين عليه[١]. لهذا سعت على صرف ولاية العهد إلى ابنها عبد الله بعد أبيه دون محمد أكبر أبنائه وولى عهده، فراحت تصطنع أهل القصر من النساء والفتيان[٢]. فوقع اختيارها أخيراً على نصر الخصى كبير فتيان القصر، وكان نصر هذا مبغضًا لمحمد مائلاً مع عبدالله ابن طروب[٣] وقد استخدم داخل القصر منذ عهد أبيه الحكم الذى عُرف عنه أنه كان يخصى من اشتهر بالجمال من أبناء أهل بلده[٤]. وقد عرف أبوه بأبى الشمول[٥]، وهو من أسالمة أهل الذمة من أهل قرمونة (Carmona)[٦]، وكان موته قبيل مهلك نصر ابنه بأيام[٧]. وقد شيد نصر مُنيـة عرفت بمنية نصر[٨]. تقع إلى جوار مقبرة الربض العتيقة فى قرطبة (Cordoba)[٩].

وظهر أن نصرًا هذا سعى فى البداية إلى تأييد طروب التى عُرِف عنها بأنها كانت تبرم الأمور مع نصر الخصى، فلا يردُّ شيئًا مما تبرمه[١٠].

---

(١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٣ - ١٢٤. ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٦٩. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٤٥ -٤٩. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٩. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص٦١٣.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٦. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٤ - ١١٠.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٦. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٥١.

(٤) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٧٥.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٥.

(٦) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٧٥ - ٧٦. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٩٦.، ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٥.

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٥.

(٨) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٧٥. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٩٦. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٥. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٦٧.

(٩) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص٣٨.

(١٠) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٠.

فنجده يستميل أكثر الوزراء وعلية الجند ورجال الدولة إلى رأيه فى تقديم عبد الله على محمد وجميع إخوته[١]، وطروب أم عبد الله بدورها «تصطنع أهل القصر من النساء والفتيان وأكثر الخدمة طمعًا فى ذلك»[٢].

ويبدو من سياق الروايات أن طروب استطاعت فى البداية أن تفوز بولاية العهد لابنها عبد الله؛ لما لها من تحكُّم أوجبت عبد الرحمن على صرف الأمر إلى ابنها[٣]، مع علمها أن عبد الله كان يتصف بصفات سيئة، وهذا نستقيه من قول أولى العقل فيما بينهم: «إن ساعدنا مولاتنا فى ابنها عبد الله فقد آثرنا الهوى، ولم نراقب الله فى الاختيار للرعية، ولسنا نأمن إن بدأ ذلك على أيدينا أن نحل نظام الملك، ونفسد السيرة، ونتعجل نحن كره الناس لنا، فلا يمشى أحد منا فى طريق، ولا يمر بجماعة إلا قالوا: اللهم العن هذه الوجوه المطموسة؛ فإنهم تملكوا أمرنا ساعةً من ظلال ليل، فولَّوْه شر من عرفوه من مواليهم، وصرفوه عن خير من يعلمونه منهم»[٤].

ويبدو أن رجال الدولة كانوا يميلون إلى محمد[٥]؛ لما عُرِف عنه من رجاحة العقل والتقوى والفضل والعفاف[٦]، وهى صفات نادرة الوجود فى أخيه عبد الله فضلاً عن كونه أكبر أولاد الأمير عبد الرحمن[٧]؛لذلك فقد مال الأمير فى آخر

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٠٦.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٦. فى حين يذكر صاحب المقتبس: «أنها جعلت تصطنع أهل القصر من النسوان والخدم والخصيان ومن يتتابه من الوزراء، وأهل الخدمة ورجال المملكة لابنها عبد الله، وتقلب آراءهم إلى إيثار ولدها بالترشيح للملك». ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١١٠.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٦. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١١٠. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٩٨. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١١٢.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٠٧، ١٠٨. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٥٢.

(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٨. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٤، ١١٢.

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٩، ١١٠.

عمره لإعطاء ولاية العهد لابنه محمد[١]. بعد أن اختبر أولاده ولدًا ولدًا، فوجد محمـدًا منهم راجحًا فاضلاً باعتـدال أحواله، فأظهر تفضـيله عليهم، وأوعز إلى وزرائه وخاصته أنه ولي عهده[٢].

لكننا مع الرأى القائل بأن ولاية العهد ما زالت لعبد الله ابن طروب حتى وقت وفاة الأمير عبد الرحمن، بدليل أنه لم يعلن عن وفـاته إلا بعد اجتماع ضم جميع فتيان القصر صغيرهم وكبيرهم، الذين قرروا على صرف ولاية العهد إلى عبد الله ابن طروب، وذلك بقولهم وبلسـان واحد: «سيـدنا وابن سيدتنا المربية لنا والمحسنة إلينا، لا نرضى غـيره، ولا نعـدل عنه»[٣]. فى حين أشـار عليهم أحـد الفتـيان والمعروف عنه التقوى والفضل بقوله: «إن رأيى كـرأيكم وإنى أشكر للسيدة فضلها علىَّ دونكم، لكننى أرى أن منح ولاية العهـد إلى عبد الله سيكون سـببًا فى قطع آثارنا من الأندلس»[٤]. لا سيما أن عبد الله كان يتـصف بصفات سيئة، بدليل أن علية القوم كـانوا يتدبرون أمر ولاية العهد، وعبـد الله منهمكٌ فى اللذات، يشرب مع جملة من أصـحابه فى مجـلس اللهو والطرب[٥]. ولهذا تذكـر الرواية أنه تم الإجمـاع بين علية القوم وبرضى الـسيدة طروب عَلى جـعل ولاية العهد للأمـير محمد[٦]؛ لما عُرِف عنه من رجاحة العقل والتقوى والفضل[٧]، بالإضافة إلى أنه أكبر أولاد الأمير عبد الرحمن[٨].

فى حين تشيـر بعض الروايات إلى خبر آخـر مفاده أنَّ ولاية العهـد قد أعطيت إلى عبـد الله ابن طروب من قبل والده، وذلك بتـأثير زوجـته وأحد فـتيـانه نصر الخصى كما ذكرنا سابقًا، لكنه تراجع وقرر منحـها إلى محمد أكبر أبنائه، بعد أن

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٦. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٠٤.
(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٠٤.
(٣) ابن القوطية،تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٧. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١١١.
(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٧. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١١١.
(٥) المصدر نفسه، ص٩٨.
(٦) المصدر نفسه، ص٩٩، ١٠٠. ابـن حيان، المقتبس، تحقيق مـكى، ص١١٤، ١١٦. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٥٢.
(٧) المصدر نفسه، ص٩٨. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١١٣.
(٨) المصدر نفسه، ص٩٨. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٤، ١١٢.

عجزت عن إقناع زوجها، فلم تتردد فى إيجاد وسيلة لقتله مع ابنه[1]، فتآمرت مع الخصى نصر بعد أن علم أن محمداً إذا تولى الحكم بعد أبيه فسوف تكون عاقبته شديدة بسبب مناصرته لعبد الله بن طروب[2]؛ لهذا لم يتوانَ فى تدبير مؤامرة اغتيال للأمير عبد الرحمن، وذلك بدس السم فى دوائه مستعينًا فى ذلك بطبيب الأمير المعروف بالحرانى[3]. فى حين تذكر المصادر التى تحدثت عنه أن وصوله فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣هـ/ ٨٥٢ - ٨٨٦م)، لكن من المحتمل أنه وصل فى نهاية عهد الأمير عبد الرحمن، ونال شهرته فى عهد ولده محمد، فذهب نصر إلى هذا الطبيب وطلب منه سماً، وعلم الطبيب مراده فأعطى له السم، لكن الطبيب فطن إلى مغبة الأمر، فأخبر إحدى حظايا الأمير، واسمها فخر أو فجر، فسارعت بدورها، وأخبرت الأمير عبد الرحمن بهذه المؤامرة لكى يكون على حذر منها، ولما قدّم نصر الشراب المسموم إلى الأمير، أمسك عن شربه، بل قدَّمه لنصر الذى ما كاد يشربه حتى أسرع إلى الطبيب الحرانى ليعالجه، لكنه لقى حتفه [4].

لكننا نجد معظم مؤرخينا الذين تحدثوا عن هذه المؤامرة لم يشيروا بصورة صريحة إلى اشتراك طروب فيها. فى حين يذكر ابن خلدون[5]، أنه كان لطروب يدٌ فى هذه المؤامرة؛ وذلك بقوله إنها: «داخلت نصراً هذا فى أمرها، وداخل هو طبيب الدار فى أن يسم محمداً ولى العهد». ولكنه ظهر أن هذه الرواية ضعيفة جداً بدليلين:

أولهما: إذا كانت النية عند طروب متجهة لقتل الأمير محمد، فلماذا لم يقدم السم إليه أيضًا؟

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٩، ١١٠.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٦. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٩، ١٤.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٤.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٦. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٤. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٤٩. القفطى، تاريخ الحكماء، ص٣٩٤ - ٣٩٥. ابن جلجل، طبقات الأطباء ص٩٤ - ٩٥. ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٨٦. ابن صاعد، طبقات الأمم، ص١٨٦.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣٠.

وثانيهما: أن طروب بعد هذه الحادثة لم تَنَلْ أيّ أذى من الأمير عبد الرحمن[1]. هذا إذا علمنا أنها كانت موجودة عند وفاة الأمير عبد الرحمن؛ وذلك لأخذ رأيها في مسألة ولاية العهد[2]، إلا أنها فشلت في الوصول إلى غايتها فذهبت أطماعها أدراج الرياح، وأصبح ولي العهد الشرعي وليّاً للعهد وهو الأمير محمد.

أما إذا أمعنا النظر في جوانب هذه المؤامرة فإننا نجدها ذات أبعاد خطيرة:-

أولاً: إنه أصبح للمرأة نفوذ كبير مكّنها من رسم سياسة الدولة، فهي تبرم الأمور فلا يردّ شيء مما تبرمه[3].

ثانيًا: كان نصر الخصي ذا نظر ثاقب في الأمور السياسية، فهو وإن ساعد طروب لتمكين ولدها، إلا أنه كان يعمل لمصلحته الخاصة بدليلين اثنين:

الأول: أن طروب ستعمل على تمكينه لدى الأمير، فطلباتها لا ترد، ونصر جريء مقدام واسع الفهم، ولفتة من الأمير نحوه تجعله ذا مركز مرموق في الدولة، وفعلاً، تم له ما تمنى حينما عهد إليه الأمير عبد الرحمن بقيادة الجيوش التي عملت على إخراج المجوس من الأندلس وقت نزولهم بها سنة (٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)[4].

الثاني: هو يَجِدُّ في مساعدة طروب؛ حتى تمكّن ولدها من الحكم، وهو يعلم أن ولدها لم يكن يتميز برجاحة العقل كأخيه محمد[5]. فإذا ما نجحت مؤامرته فسيكون هو الأول والأخير عند الأمير الجديد، وربما كان يذهب بتفكيره إلى أبعد من ذلك، وهو إنشاء مملكة مستقلة للصقالبة، وهذا ما تم فعلاً مع طول الوقت على يد خيران الصقلبي الذي استقل بمدينة المرية (Almeria) سنة (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، وانضم إليه فتيان محمد بن أبي عامر[6].

---

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، هامش رقم (١) ص١١٤.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٧ - ٩٨. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص١١١ - ١١٣.

(٣) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٠.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص٨. العذري، ترصيع الأخبار، ص١٠٠. ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٨٧. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٩. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٥ - ٣٤٦.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٨. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي، ص١٤، ١٢.

(٦) ديوان ابن دراج القسطلي، ص٨٦ - ٨٧. رسائل ابن حزم الأندلسي، ج١، هامش رقم (٢)، ص٢١٧. العذري، ترصيع الأخبار، ص٨٣. ابن عذاري، البيان، ج٣، ص١٦٦. المقرى، نفح الطيب، ج١، هامش رقم (٢)، ص١٤١. العبادي، الصقالبة، ص١٧ - ١٨.

أما بالنسبة لطروب فقد كانت امرأة سياسية، وإن فشلت، إلا أنها تُقَدِّر الأمور حق قدرها، وهى تعلم علم اليقين بأن ولاية العهد ليست من حق ولدها؛ فهناك من إخوته من هو أكبر منه سناً وأرجح عقلاً، ولكن طموح الأم، وحبها لولدها دفعها إلى أن تتناسى هاتين الحقيقتين، وربما أفضت إلى زوجها بطريقة أو بأخرى بشيء مما يجول فى خاطرها، فأبدى رفضه القاطع؛ لذا لجأت إلى استخدام أسلوب الغدر والخيانة، لكن قبل أن تعمد إلى هذا الأسلوب نجدها «تصطنع أهل القصر من النسوان والخدم والخصيان ومن ينتابه من الوزراء وأهل الخدمة»[1]، وعلى الرغم من ذلك فقد فشلت، وبالرغم من فشلها إلا أنها أفسحت المجال أمام الزوجات الأخريات بعد ذلك كى يتخذن خطوات أوسع وأعمق فى مجال السياسة مما حدا بمؤرخنا ابن حزم[2] بوصف بعضهن «بالمعرقات فى الخلافة». والمراد بهذا من أعتق جارية، وتزوجها وولدت خليفة؛ كمرجان، وصُبح، وقد اشتهرت الأولى مرجان[3]، أو مرجانة[4]، أو مهرجان[5]، زوجة الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله، وأم الخليفة الحكم المستنصر[6]، بكونها أكثر أزواجه حظوة لديه حتى أنه فضلها على جميع حظاياه وخصوصًا على زوجه الحرة القرشية[7] فاطمة بنت الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن، التى ولدت للناصر ابنًا هو المنذر سمَّته باسم أبيها[8]. وقد تميزت مرجان برجاحة عقلها حتى أنه أطلق عليها

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١١٠.
(٢) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٦٥ - ٦٧.
(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٦٨. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص١٩٤. ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج٥، ص٧، ٦٧، ١٢٢، ١٩٤. الحميدى، جذوة المقتبس. ص١٣. الضبى، بغية الملتمس، ص١٨. النويرى، تاريخ المغرب، ص١١٧. النباهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص٧٩.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٣٦. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٦١. المقرى، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٦٥.
(٥) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٣٣.
(٦) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٦٧.
(٧) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج٥، ص٧.
(٨) المصدر نفسه، ج٥، ص٧. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢١٠.

«السيدة الكبرى»[1]، وبقيت منزلتها تزداد عنده حتى ملكت زمامه بدليل أن حظاياه لا يصلن إلى مطالبهن، ورغباتهن من الناصر لدين الله إلا بشفاعتها لهنَّ إليه وتوسلهن بها لديه، وذلك لعظيم منزلتها وغلبتها على قلبه، وإذا طرقه التعب لا يقيم إلا عند مرجان؛ لأنه كان يشعر بطيب الراحة لمداواتها ورفقها[2]. وبقيت على هذا الحال تعمل دون كلل فى سبيل كسب رضا الناصر دون زوجه الحرَّة القرشية، حتى لو كلفها ذلك بذل الغالى والرخيص، بدليل أن الخليفة الناصر لدين الله تشوق ذات يوم إلى زوجه الحرة، فدعا بوصيفة، فقال لها: انطلقى إلى السَّيدة فأبلغيها سلامنا، وعرِّفيها أنّا ضيوفها الليلة فلتستعد لنا، فانطلقت الوصيفة فأبلغتها رسالة الخليفة، وقالت: «يا مرحبًا بسيدى وأهلاً وكرامةً ورحبًا، حبذاها مِن بشرى أنا لها ساعية، وبعرجها طائرة»[3] على مسمع من كان عندها من كرائم الخليفة الناصر لدين الله وأمهات أولاده، ومن بينهن مرجان أُمُّ ولىِّ العهد الحكم التى لم تتمالك أعصابها عند سماعها رسالة الخليفة فتناولت عودًا فغنت: يا ليلةً لو أنها تُبتاع لى أو تشترى شريتها بكُلِّ ما أطلُبُهُ من المنى[4].

فلما أنهت قالت لها القرشية على سبيل المهازلة والشطط: «أعطينى بها عشرة آلاف دينار وأنا أبيعها».

فقالت: «قبلتُ واشتريْت». وبفضل رجاحة عقلها أخذت خط يدها، وانصرفت بالرقعة إلى منزلها، وأعدَّت عدتها وبالغت فى عطرها وزينتها، وجلست فى طريق الخليفة الذى يقوده إلى القرشية[5] فما أن أقبل قاصداً حرته القرشية حتى تصدَّت له مرجان فى أجمل شارة وأفخر حلية وأسطع طيب،

---

(١) المصدر نفسه، ج٥، ص٧، ١٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص١٣.

(٣) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج٥، ص١٠.

(٤) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج٥، ص١٠.

(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص١٠. الجنحانى الحبيب، الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الأندلس فى عصر عبد الرحمن الناصر من خلال المقتبس لابن حيان، المناهل، وزراة الشئون الثقافية، الرباط، المغرب، (ع٢٩/ س١١) س١٩٨٤م، ص٣٥٢ - ٣٥٣. وسيشار إليه فيما بعد بـ: الجنحانى، الحياة الاقتصادية.

فقالت: إليَّ، إليَّ يا ابن الخلائف، فقد حباني الله بقربك، فقد اشتريت مبيتك عندي الليلة، وناولته الرقعة بخط القرشية والشاهدات عليها من كرائمه، فلما نظر فيها هاجت نفسه غضبًا على ابنة عمه، ثم انطلق سريعًا ارتياحًا لمرجان، وعجبًا من شرف فعلها بصدق مودتها إليه، قائلاً لها: يا مرجان حملتك الرغبة في قربي والحرص على الاستكثار مني أن بذلتِ لها مثل هذا المال!. ثم صار إليها وبات عندها، وأطال المقام، وكان ذلك سبب استحواذها عليه وغلبتها على قلبه[1].

وتطالعنا كذلك من النساء اللاتي كان لهن نفوذ سياسي، وسيطرة على أزواجهن «صبح» التي ظهرت في بلاط قرطبة في أوائل عهد الحكم المستنصر بالله (٣٥٠ - ٣٦٦هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م)، ولسنا نعرف كثيرًا عن نشأتها وحياتها الأولى، وكل ما تقدمه لنا الرواية الإسلامية في ذلك هو أن صُبح كانت جارية بشكنسية[2]، تتصف بالجمال والحسن، تجيد الغناء[3]، شغف بها الحكم، وأغدق عليها حبه وعطفه وسماها بجعفر[4]، فهي الجارية الوحيدة التي أنجبت منه، إذ تقدم به السن وهو محروم من الولد، وكان الحكم حينما ولي الملك بعد وفاة أبيه عبد الرحمن الناصر قد بلغ السابعة والأربعين من عمره، ولم يكن رزق ولدًا بعد، وكان يتوق إلى ولد يرث الملك من بعده فتحققت أمنيته على يد حظيته صبح، ورزق منها بولد سماه عبد الرحمن، وذلك في (٣٥١هـ/ ٩٦٢م)، وسُرَّ بمولوده سرورًا عظيمًا[5]، ثم ولدت له بعد ذلك بثلاثة أعوام ولدًا آخر سماه هشامًا سنة (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)[6]، فسَمَت صبح لديه بعد أن كانت مجرد جارية أو حظية، وكثيرًا ما نعتتها الرواية الإسلامية بالسيدة صبح أم المؤيد[7]، ولبثت صبح تستأثر

---

(١) نفس المصدر، ص١٢.

(٢) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧١. ديوان ابن دراج القسطلي، ص١١٩. ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٢٥٢، ٢٥٣. المقري، نفح الطيب، ج١، ص٦٠٣.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧١. ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٢٥٣.

(٤) ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٢٣٧، ٢٥٣. .

(٥) المصدر نفسه، ، ج٢، ص٢٣٥.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٧.

(٧) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٧٦ ابن عذاري، البيان، ج٢، ص ٢٥٢. المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٣٩٩ .

فى البلاط والحكومة بنفوذ لا حد له، والحكم يثق بإخلاصها وحزمها، ويستمع لرأيها فى معظم الشئون، وكانت كلمتها هى العليا فى تعيين الوزراء، وبقيت هكذا حتى دخلت فى الميدان شخصية جديدة قُدِّر لها أن تقوم بدور عظيم فى توجيه مصائر الدولة، ألا وهى شخصية محمد بن أبى عامر (المنصور) الذى يرجع أصله إلى الجزيرة الخضراء (Algeciras) من قرية طرش (Torrox)[١].

نزحت أسرته مع الجيوش الفاتحة أيام طارق بن زياد، وموسى بن نصير بقيادة جده عبد الملك المعافرى[٢]، وقد قدمَ محمد هذا قرطبة وهو شاب فطلب العلم والأدب، وسمع الحديث فى جامعها، وكانت له همة عالية وطموح وثاب، رفيع المواهب إلى حد أنه كان يحدث بذلك زملاءه وإخوانه[٣].

يبدو أن علاقة محمد بن أبى عامر مع السيدة صبح كانت بسيطة حسب ما جاء فى المصادر التاريخية، وهى أن هذا الشاب زاول بعد تخرجه عملاً بسيطًا، فقد افتتح دكانًا بجوار قصر الخلافة يكتب فيه للناس شكاواهم[٤]. ولما كانت صفاته أرفع من عمله فهو متميز بالذكاء والنشاط وقوة الشخصية[٥]، مع مهارة فى معاملته وخاصة من اتصل به من خدم القصر وغلمانه، دفعهم إلى تهيئة فرصة

---

(١) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧٦، ١٧٨. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٧٨. الضبى، بغية الملتمس، ص١١٥. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٧٨. المراكشى، المعجب، ص١٤. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٦٨. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٧. النويرى، تاريخ المغرب، ص١٢١. ابن عاصم، جنة الرضا، ج١، هامش رقم (٣)، ص٢٦٧. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٩.

(٢) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧٥. ابن بسام، الذخيرة، (ق٤ - مج١)، ص٥٦. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٧٥. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص١٩٩. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٦، ٢٥٧. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٥٩. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤٧. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٩.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧٧. الحميدى، جذوة المقتبس ص٧٨. ابن الأثير، الكامل ج ٨، ص ٦٧٨. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٦٨. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص١٩٩. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٧. النويرى، تاريخ المغرب، ص١٢١ - ١٢٢. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٩.

(٤) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٩.

(٥) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص٦٢.

الاتصال له بالسيدة صبح أم المؤيد التى طلبت منه أن يكتب لها داخل القصر[1]، فترقت به الحال حتى وكّلت إليه النظر فى شئون أموالها وضياعها[2]. فى حين يذكر ابن عذارى[3] خبراً آخر لبداية ظهور محمد بن أبى عامر، وعلاقته مع السيدة صبح مفاده أن بداية ظهور ابن أبى عامر كان عن طريق الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى، الذى كان من المقربين للحكم المستنصر، بدليل ما ذُكِر عنه بأنه كان لطيف المنزلة من الحكم، قديم الصحبة، قريب الخاصة، فوالده عثمان بن نصر هو الذى كان قد تولى تأديب الحكَم فى صغره[4]. وحينما أراد الحكم أن يُعين مشرفًا لإدارة أملاك ولده عبد الرحمن الصغير سنة (٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، رشّحه الحاجب المصحفى فيمَن رُشّح لتولى هذا المنصب، فأعجبت صبح بذكائه، فاختارته دون غيره، وعين بمرتب قدره خمسة عشر ديناراً فى الشهر[5]، ولما توفى عبد الرحمن عين مشرفًا لأملاك أخيه هشام، وتقدم بسرعة فى وظائف الدولة، فأضيف إليه النظر على الخزانة العامة، ثم عيّن للنظر على خطة المواريث، فقاضيًا لكورة إشبيلية (Sevilla)، ثم عينه الحكم مديراً للشرطة، وفى أواخر أيامه عينه ناظراً على الحشم[6]، وذلك بفضل سعيها له عند زوجها، بحيث استطاع أن يكسب عطفها، وأن يتقلّد المناصب العليا فى الدولة، ومن أموالها أخذ يتحفها بكل نادرٍ وغريب ويلاطفها قولاً وفعلاً حتى استمال قلبها، وصاغ لها قصراً من فضة وقت ولايته السكة، عمل فيه مُدّة، وأنفق فيه مالاً جسيمًا، فجاء بديعًا لم ترَ العيون أعجب منه، وحُمِلَ ظاهراً لأعين الناس من دار ابن أبى عامر، بحيث تحدثت الناس بشأنه دهراً[7].

---

(١) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٩.

(٢) الحميدى، جذوة المقتبس، ص٧٨. ابن بسام، الذخيرة، (ق٤ - مج١)، ص٥٩. الضبى، بغية الملتمس، ص١١٥. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٦٨. المراكشى، المعجب، ص١٥. النويرى، تاريخ المغرب، ص٢١ - ١٢٢.

(٣) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٤.

(٥) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥١.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥١. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٥٩.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٢ . المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص ٨٨.

فكانت نتيجة ذلك أن ظهر الكثير من الأقاويل والإشاعات بهذا الخصوص، وأصبح محمد بن أبى عامر المنصور العشيق المتربع على قلب صبح، حتى تحدثت الناس بشغفها به[١]. فى الوقت الذى كان فيه الحكم ليس ببعيد عن الأحداث بدليل قوله لبعض ثقاته: «ما الذى استلطف به هذا الفتى وحُرمناه حتى ملك قلوبهن مع اجتماع زخرف الدنيا عندهن، حتى صرن لا يصفن إلا هداياه، ولا يرضيهن إلا ما أتاه؟! إنه لساحر عليم، أو خادم لبيب، وإنى لخائف على ما بيده»[٢]، وربما يعزى تمكن ابن أبى عامر عند الحرم لقديم الاتصال، وحسن الخدمة، والإرادة القوية[٣] التى كان يتمتع بها، هذا بالإضافة إلى الصفات الجمالية، فهو وسيم المحيا، حسن القد والتكوين، ساحر الخلال[٤]، يعمل بدون كلل فى خدمة صبح، يغمرها بنفيس الهدايا والتحف فى سبيل كسب رضاها[٥]، لكن مهما تعددت صور العلاقة، فالمصادر اتفقت على أن سبب ظهور محمد بن أبى عامر يعود إلى السيدة صبح؛ بدليل قول ابن عذارى[٦]: إن سبب ظهوره كان خدمته للسيدة صبح البشكنسية أم عبد الرحمن وهشام، فكانت هذه الخدمة من أقوى الأسباب فى انتقال الملك له فيما بعد، وذلك باستغلال مكانتها لدى الحكم، لما تتمتع به من نفوذ؛ فهى السيدة «الغالبة على مولاها»[٧]. مما حدا ببعض المحدثين[٨] إلى المبالغة فى ذكر سلطانها، فأشار بعضهم، إلى أن السلطة كانت اسمية بيد الحكم،بينما السلطان الفعلى كان بيد صبح، نظرًا لما بذلته من جهود كبيرة لإيصال محمد بن أبى عامر (المنصور) إلى هذا المنصب الرفيع، وإيصال ابنها إلى ولاية العهد دون عمه المغيرة بن عبد الرحمن أحد المنافسين له، الذى تم قتله على يد محمد بن أبى عامر (المنصور)، وبإيعاز من جعفر بن عثمان المصحفى عندها صفت الأمور لابنها هشام المؤيد[٩].

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٨٠.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٢.
(٣) ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٢٠٠.
(٤) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٧.
(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٢. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص٨٨.
(٦) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٢. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص١٩٤ - ١٩٥.
(٧) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٢.
(٨) البواب سليمان سليم، مئة أوائل من النساء، ط ٢، دار الحكمة للطباعة والنشر دمشق، س ١٩٨٦م، ص ٤٥٣. وسيشار إليه فيما بعد بـ: البواب، مئة أوائل من النساء .
(٩) ابن بسام، الذخيرة، (ق٤ - مج١)، ص ٥٨ النويرى، تاريخ المغرب، ص ١٢١ - ١٢٢.

وهى بعملها هذا قضت على الخلافة الأموية؛ ذلك لأن الحكم المستنصر لم يكن يبغى جعل ولده هشام ولياً للعهد، وإنما كان يبغى جعل الخلافة لأخيه المغيرة، وهذا نستقيه من كلام ابن أبى عامر إلى خاصته بعد وفاة الحكم؛ إذ نجده يطلب من خدم القصر ألا يذيعوا خبر وفاته، وفى الوقت نفسه نجده يفصح لهم عما يدور فى نيته حول جعل الخلافة فى هشام مستغلاً حداثة سنه؛ إذ كان فى حدود عشر سنوات أو أكثر قليلاً حين تولى الخلافة[1]. وفى ذلك قال: «إن حبسنا الدولة على هشام أمنًا على أنفسنا وصارت الدنيا فى أيدينا، وإن انتقلت إلى المغيرة استبدل بنا وطلب شفاء أحقاده»[2] وبهذا استطاع محمد بن أبى عامر أن يضمن الملك والحكم لصبح وابنها بعد وفاة الحكم، مستعينًا بأموالها على ذلك ثم سما له أمل التغلب على هشام المؤيد، فمكر بأهل الدولة، وضرب بين رجالها، حتى تمكن من الاستقلال بالملك والاستبداد بالأمر، وبنى لنفسه مدينة سماها الزاهرة، وجلس على سرير الملك وأمر أن يُحيًا بتحية الملوك، بعد أن تسمى بالحاجب المنصور، كما أمر بالدعاء على المنابر عقب الدعاء للخليفة[3]، وتسمى عندئذ «بالملك الكريم»[4]. وتم بذلك استئثاره بجميع السلطات والرسوم ولم يبقَ لهشام المؤيد من رسوم الخلافة سوى الاسم.

ثالثًا: دور المرأة فى المعارضة:

برزت المرأة فى بعض حركات المعارضة والتمرد التى قامت فى الأندلس، ففى عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم سمعنا بأول حركة معارضة قامت بها جميلة

(١) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٧١ الحميدى، جذوة المقتبس، ص ١٧. الضبى، بغية الملتمس، ص ١١٥. المراكشى، المعجب، ص ١٤. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص ٣٩٩. أمين، ظهر الإسلام، ج٣، ص ١٢٦.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، (ق٤ - مج١) ص ٥٨. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص ٢٦٠.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧٨ - ١٨١. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٧٨. الضبى، بغية الملتمس، ص١١٥. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٧٨. المراكشى، المعجب، ص١٥. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٦٨. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٧٥، ٢٧٩ - ٢٨٠. النويرى، تاريخ المغرب، ص١٢١ - ١٢٢. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤٨. المقرى، نفح الطيب، ج١، ٣٩٦ - ٣٩٨. عنان، تراجم إسلامية، ص٢٠٧. الركابى، جودت، فى الأدب الأندلسى، ط٤، دار المعارف، مصر، س١٩٦٠م، ص٢١. وسيشار إليه فيما بعد بـ: الركابى، فى الأدب الأندلسى. أمين، ظهر الإسلام، ج٣، ص١٢٧.

(٤) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٩٤.

بنت عبد الجبار من أهل ماردة (Merida) على أثر تزعم أخيها محمود قيادة حركة عصيان حين قامت الفتنة فى ماردة بين البربر والمولدين سنة (٢١٣هـ/ ٨٢٨م)[١]، تسانده فى ذلك أخته[٢]، التى عرفت من يومها بفروسيتها وحسنها وبراعة جمالها حتى قيل فيها إنها تميزت «بالشجاعة والنجدة والفروسية، ولقاء الفرسان ومبارزتهم فى العساكر»[٣].

ويعود أصل محمود وأخته جميلة إلى إحدى البيوتات الكبيرة من قبيلة مصمودة، وهم أبناء عبد الجبار بن زاقلة (زانلة) القائم بأمر ماردة فى ذلك الوقت[٤]. ولم يكن محمود وحده الذى أشعل نيران الفتنة فى هذا الثغر من البلاد، بل انضم إليه متمرد آخر من المولدين، يدعى سليمان بن مرتين عرف باسم قعنب، واستطاع هذان المتمردان إعلان الاستقلال بمدينة ماردة، وأعلنا عصيانهما على الأمير عبد الرحمن الثانى[٥]. ويبدو أن أخته جميلة أدركت خطورة حركته، ومعارضته للأمير، فدعته إلى الطاعة، إلا أن محموداً لم يذعنْ إلى طلبها، وآثر الاستمرار فى التمرد والمعارضة[٦]؛ لهذا فإن الأمير لم يترك حركة تمردهما دون عقاب، فنجده يسيّر إليهما حملات عديدة من أجل القضاء على تمردهما[٧].

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٩. مؤلف مجهول، نبذة تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، نشر ليفى بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، س١٩٣٧م، ج١، ص٨٠. وسيشار إليه فيما بعد بـ: مؤلف مجهول، مفاخر البربر. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، هامش رقم (٥)، ص٣٩٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٤١٠. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٤٨. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٥٨. ابن خلدون، العبر ج٤، ص١٢٨. الشعراوى، الأمويون أمراء الأندلس، ص٣٠٦. أبو ضيف، القبائل العربية، ص١٩٢. الحجى، أندلسيات (المجموعة الثانية) ص١٢٤.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٩. الحجى، أندلسيات (المجموعة الثانية)، ص١٢٤. الشعراوى، الأمويون أمراء الأندلس، ص٣٠٧.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠١. الحجى، أندلسيات (المجموعة الثانية)، ص١٢٤. نعنعى، تاريخ الدولة الأموية، ص٢٠٨.

(٤) المصدر نفسه، ص٥٠٠ - ٥٠١.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٤١٠ - ٤١١. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٨٣ - ٨٤.

(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٩.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٤١٠ - ٤١١. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٤٨. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٨٣ - ٨٥. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٨. الحجى، أندلسيات (المجموعة الثانية) ص١٢٤. الشعراوى، الأمويون أمراء الأندلس، ص٣٠٧.

عندها اضطُرّ محمود إلى إقامة تحالف مع ألفونسو الثانى (Alfonso -II) ملك مملكة ليون (leon)[(١)]. إلا أن هذا التحالف لم يدُم طويلاً، فقد انقلب ألفونسو الثانى ضده، وجهز جيشًا وأمر بمحاصرة الحصن الذى يعتصم فيه، ثم قتله هو ومن معه فى سنة (٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)[(٢)]. أما مصير أخته جميلة فيذكر أنها وقعت فى الأسر، وصارت من نصيب أحد كبار النصارى الذى أرغمها على التنصر، وتزوج منها، وكان من نسلها فيما بعد أسقف شنت ياقب (Santiago)[(٣)]. وتطالعنا كذلك السيدة صبح المشار إليها سابقًا كامرأة معارضة للحكم العامرى، لا سيما بعد أن انقلب عليها محمد بن أبى عامر، الذى استطاع بفضل عزمه وصرامته وبراعته أن يتخطى كل عقبة، وأن يروع كل منافس ومناوئ، وفى ذلك يقول ابن خلدون فى تاريخه[(٤)]: «ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه، فمال عليهم وحطمهم عن مراتبهم، وقتل بعضهم ببعض، كل ذلك عن أمر هشام، وخطه وتوقيعه، حتى استأصل شأفتهم، وفرّق جموعهم»، وأول ما بدأ بالصقالبة الذين اقترحوا تولية المغيرة، وفى قصة تطول تخلص من جعفر بن عثمان المصحفى الذى أشار عليه بقتل المغيرة[(٥)]. أما ابنها الصغير فلم يسمح له إلا باللهو واللعب ومغازلة النساء، فنشأ متخلفًا عقلاً وصحة[(٦)] لكن بالرغم من إجهازه على

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٣٩٧. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٤٨.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٩. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٤١١. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٤٨. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٨. أبوضيف، القبائل العربية، ص١٩٢. الحجى، أندلسيات (المجموعة الثانية)، ص١٢٤. محمد، عواد صالح، الأندلس فى عهد الطوائف الأولى/ دراسة فى السياسة الداخلية (٢٣٨ - ٣٠٠هـ/ ٨٥٢ - ٩١٢م)، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، العراق، س١٩٧٢م، ص٤١ - ٤٢. وسيشار إليه فيما بعد بـ: محمد، الأندلس فى عهد الطوائف.

٣) الحجى، أندلسيات (المجموعة الثانية)، ص١٢٥. الشعراوى، الأمويون أمراء الأندلس، ص٣٠٧. أبو ضيف، القبائل العربية، ص١٩٢.

(٤) ابن خلدون العبر، ج٤، ص١٤٧.

(٥) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧٩. ابن بسام، الذخيرة، (ق٤ - مج١)، ص٦٣، ٦٤. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٦١ - ٢٦٤. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤٧. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٧.

(٦) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٧٦. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٥٨٠. عنان، تراجم إسلامية، ص٢٠٥.

منافسيه، وحجره على هشام الذى ظهرت فيه الكثير من القصائد والأناشيد الشعبية، للتشهير بحجر محمد بن أبى عامر عليه، وعلائقه بصبح وقاضيه ابن السليم أبو بكر محمد بن إسحاق (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م). فمن ذلك ما قيل على لسان هشام فى الشكوى من الحجر عليه:

اقترب الوعدُ وحان الهلاك وكُلُّ ما تحذره قد أتاك

خليفةٌ يلعبُ فى مكتبٍ وأمهُ حُبلى وقاض..... [1]

والبيتان يشيران إلى الخليفة هشام؛ لكونه صغيراً، وإلى أمه التى جاءت بابن أبى عامر إلى السلطة، كما يشيران أيضًا إلى اتهام القاضى بالفجور، وهذا قول لاذع ينقد أوضاع الدولة بالسخرية والتجريح، ويفصح عن السخط والتبرم. ويبدو أن محمد بن أبى عامر لما غلب حظه وسعده ووصل إلى سدة الحكم، لم يأمن أن يقيم فى القصر الذى يقيم فيه الخليفة، فابتنى له مدينة خاصة به سماها «الزاهرة» سنة (٣٦٨هـ/ ٩٧٨م)، وشحنها بالسلاح والعتاد والمؤن، ونقل إليها دواوين الحكم[2]، الأمر الذى دفع السيدة صبح إلى الاتصال بالعناصر المعارضة لابن أبى عامر، فامتد نظرها إلى أحد زعماء المغاربة واسمه زيرى بن عطية[3] حاكم المغرب الأقصى من

---

(١) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٨٠؛ المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٦٠٢ - ٦٠٣، ج٢٣، ص٢٢٠؛ عنان، تراجم إسلامية، ص٢٠٧؛ عبد الله، الهجاء فى الشعر العربى الأندلسى، ص٦٨ - ٦٩.

(٢) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٨٠ - ١٨١. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص١٩٦، ٢٠١. ابن عذارى، البيان، ج٢ ص٢٧٥؛ النويرى، تاريخ المغرب، ص١٢٣. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤٨. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٧، ٥٧٨ - ٥٨٠، ٦٠٢ - ٦٠٣.

(٣) زيرى بن عطية: يرجع فى نسبه إلى خزر بن حفص من بنى خزر، كان حاكمًا على مدينة فاس، وكانت علاقته فى البداية مع ابن أبى عامر حسنة، بحيث وصلت إلى درجة تقديم الهدايا، وتوليته خطة الوزارة، إلا أن هذه العلاقة لم تدُم طويلاً، لا سيما بعد أن استبد محمد بن أبى عامر بالسلطة دون الخليفة الصغير هشام المؤيد. أنظر بشأن ذلك: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ج١، ص٢٢، ٢٧، ٤٦. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٨٣- ١٨٤. ديوان ابن دراج القسطلى، هامش رقم (١)، ص٣ -٤.

قبل ابن أبى عامر(١). وحاولتْ مـدّه بالأموال، ويُذكر أنها عـملت ذلك بالاتفاق مع أخيها رائق علـى نقل الأموال سرًا، وذلك مقابل حشد الجند والـتأهُّب للعبور إلى الأندلس، وقد حـملتْ هذه الأموال على أعناق الخدم الصـقالبة فيـها الذهب والفضة، وكان مبلغ ما حملت فيها من الذهب ثمانين ألف دينار، أرادت إخراجها من مدينة الزهراء(٢). إلا أن ابن أبى عامر فطن إلى المؤامرة قبل نضجها، فاجتمع بالخليفـة هشام سرًا، واعتـرف له بالفضل والفناء فى حفظ قـواعد الدولة، عندها خرست ألسنة الأعداء والحسدة(٣)، فاستطاع بذلك الاستـيلاء على الأموال ونقلها من قـصر الخـلافة بالزهراء إلى قـصره المعـروف بالزاهرة(٤). وقد روى فى هذا الصدد بأن السيدة صبح قالت لابنها هشام: «أما ترى ما يصنع هذا الكلب؟» تعنى المنصور، «فقال: دعـيه ينبح لنا ولا ينبح علينا»(٥). فى الوقت نفسـه كانت صبح تدافع بضراوة ضد فعلة ابن أبى عامر بعد أن حمل الأموال من القصر الخلافى إلى قصره(٦). وقد أشارت المصادر إلى «صرامة تلك المرأة مع ابن أبى عامر وولده عبد الملك، ورميها لهـما بكل عظيمة»(٧). أما بخصوص الأمـوال التى حاولتْ نقلها، فمـا هى إلا من أجل الإنفاق على الجيش المغـربى بقيادة زيرى بن عطيـة؛ لغرض القضاء على ابن أبى عامر، بدليل أن شـعار جند زيرى بن عطية أثناء حربهم ضد جند محمد بن أبى عامر (المنصور) كان «هشام يا منصور»(٨). وهكذا فشلت صبح

(١) ابن عـذارى، البيـان، ج ٢، ص ٢٨١ - ٢٨٢. المقـرى، نفـح الطيب، ج ١، ص ٣٩٨. العبادى، المجمل فى تاريخ الأندلس، ص ١٣١. عنان، تراجم إسلامـية، ص ٢٠٩. نعنعى، تاريخ الدولة الأموية، ص ٤٤٣.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، (ق ٤ - مج ١)، ص ٧١ - ٧٢. المقرى، نفح الطيب، ج ٣، ص ٩٢ - ٩٣.

(٣) ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج ١، ص ٢٠١. المقرى، نفح الطيب، ج ٣، ص ٩٣.

(٤) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٨٤. ابن بسام، الذخيرة، (ق ٤ - مج ١)، ص ٧١ - ٧٢. ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٦٢. ابن سـعيـد ورفاقـه، المغرب، ج ١، ص ٢٠١. المقرى، نفح الطيب، ج ٣، ص ٩٣.

(٥) ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج ١، ص ١٩٥.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، (ق ٤ - مج ١)، ص ٧٢. المقرى، نفح الطيب، ج ٣، ص ٩٣.

(٧) المصدر نفسه، (ق ١ - مج ١)، ص ٧٢.

(٨) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ج ١، ص ٢٩.

فى محاولتها، ولو كانت حقا قد نجحت فى نقل الأموال لربما استطاعت أن تقضى على ابن أبى عامر، الرجل القوى الذى وصل إلى ذلك بفضل صبح، ومما يجدر بنا ذكره هنا أن الدولة الأموية بالأندلس قد انتهت فعلاً بانتهاء عهد الحكم المستنصر (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م)، ولم يكن استمرارها بعد ذلك إلا صورة، ولما أيقنت صبح أن المعارضة عبث، لجأت إلى السكينة والعزلة، فلا نسمع عنها بعد ذلك شيئًا، ولا نعرف تاريخ وفاتها بالتحديد، وكل ما تقوله الرواية فى ذلك إن وفاتها كانت على أيام ولدها هشام(١).

رابعًا: دور المرأة فى تدبير المؤامرات والقتل:

رأينا فيما سبق تفاصيل وصول محمد بن أبى عامر (المنصور) إلى دفة الحكم، وكيف استطاع الاستقلال بالملك إلا أن هذا الاستقلال لم يدُم طويلاً؛ لأن المنصور كان قد توفى فى سنة (٣٩٢هـ/ ١٠٠١م)(٢). جاعلاً ولاية العهد من بعده لابنه عبد الملك ابن زوجته الحرة التى تُعرف بالذلفاء، دون عبد الرحمن ابن زوجته عبدة بنت شانجة النصرانى الملقب بشنجول (Sanchol)(٣). وقد اشتهرت الأولى (الذلفاء) فى تدبير المؤامرات والقتل، فقد ذُكر عنها أنها ساهمت فى مقتل الوزير عيسى بن سعيد الذى نال شهرة ومنزلة كبيرة لدى عبد الملك، لا سيما بعد المصاهرة التى تمت بينهما، فقد تزوج ابن الوزير عيسى المكنى بأبى عامر من أخت عبد الملك الصغرى، إحدى بنات المنصور(٤). وكانت النتيجة أن ارتفع شأن الوزير عيسى لدى الحاجب عبد الملك، عندها مال أصحاب عبد الملك على عيسى ونصبوا له عداوة، وعملوا على الإيقاع به عند عبد الملك، كذلك ساهمت الذلفاء

---

(١) ابن عذارى، البيان، ج ٢، ص ٢٥٣.

(٢) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٩٤. الحميدى، جذوة المقتبس، ص ٧٩. الضبى، بغية الملتمس، ص ١٨٣. المراكشى، المعجب ص ٢١. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج ١، ص٢٠١.

(٣) ديوان ابن دراج القسطلى، ص ٥٠. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج ١، هامش رقم (١)، ص ٢٧٢. ابن عذارى، البيان، ج ٣، ص ٣٨، ٤٢. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٦٦.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، (ق ١ - مج ١)، ص ١٢٤. أبو دياك، الوجيز، ص ٣٨٧.

وجواريها فى الإيقاع بالوزير عيسى لدى ابنها[1]. ويُذكر أن السبب فى مساهمة الذلفاء فى الإيقاع بالوزير عيسى، يعود لمساهمته فى زواج ابنها عبد الملك من بنت مولاته الجنان، الجارية الحسناء التى كانت قد تأدبت بأدب أهله، وأخذت الغناء من محسنات قيانه، رآها عبد الملك يومًا فراعته، وبقى على هذه الحال حتى تزوج منها، وعندما وصل خبر زواجهما (للذلفاء) أنكرت عليه ذلك فحقدت أمه على عيسى[2]. الأمر الذى زادها إصراراً على الإيقاع به عند ابنها، فلما أحسّ الوزير عيسى بن سعيد بتغيير موقف عبد الملك اتجاهه أراد الانقلاب على العامريين ومساندة المروانيين، وعلى رأسهم هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، وذلك بصرف الخلافة إليه بدلاً من الخليفة هشام المؤيد فاقد السلطة والسيطرة على المُلك، وبالتالى يتمكن من ضرب العامريين[3]. ومما يشير إلى الدور الذى لعبته الذلفاء فى تدبير المؤامرات واغتيال بعض الشخصيات البارزة فى الدولة؛ نص ابن عذارى، حين قال: «فدخلت على ابنها فصدقته عن تهمة عيسى، وعزمت فى قتله فلم يشكّ فى صحة ذلك، فخرج لوقته وأمر بقتله»[4]، ويبدو من سياق الرواية التاريخية أن السيدة الذلفاء كانت تتمتع بنفوذ كبير عند ولدها عبد الملك، بحيث مكنّها من التدخل فى شئون الدولة والحكم، ولم يكن هذا النفوذ بجديد عليها؛ بل كانت تتمتع به منذ عهد والده المنصور؛ بدليل أنه قد أودع لديها الأموال الخاصة التى تركها بعد وفاته لابنه عبد الملك، وذلك أثناء مرضه الأخير؛ إذ أوصى ولده عبد الملك بقوله: «والمال المخزون عند والدتك هو ذخيرة مملكتك، وعدةٌ لحاجة تنزل بك، فأقمه مقام الجارحة من جوارحك التى لا تبدّلها إلا عند الشدة، تخاف منها على سائر جسدك»[5]. كما يشار أيضًا إلى هذه المرأة بأنها السبب فى إسقاط الدولة العامرية؛ فقد اعتقدت بأن ابنها عبد الملك مات مقتولاً من قبل أخيه عبد الرحمن الملقب بشنجول ابن ضرتها عبدة بنت شانجة[6]. ونتيجة

(١) ابن بسام، الذخيرة، (ق ١ - مج ١)، ص ١٢٤. ابن عذارى، البيان، ج ٣، ص ٢٩.
(٢) ابن بسام، الذخيرة، (ق ١ - مج ١)، ص ١٢٤ - ١٢٥.
(٣) المصدر نفسه، (ق ١ - مج ١)، ص ١٢٥. ابن عذارى، البيان، ج ٣، ص ٣٠.
(٤) ابن عذارى، البيان، ج ٣، ص ٣٢.
(٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٨٢.
(٦) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٦٧٨. ابن عذارى، البيان، ج ٣، ص ٥٢. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٠٩.

عمره لإعطاء ولاية العهد لابنه محمد[1]. بعد أن اختبر أولاده ولدًا ولدًا، فوجد محمـدًا منهم راجحًا فاضلاً باعتـدال أحواله، فأظهر تفضـيله عليهم، وأوعز إلى وزرائه وخاصته أنه ولِى عهده[2].

لكننا مع الرأى القائل بأن ولاية العهد ما زالت لعبد الله ابن طروب حتى وقت وفاة الأمير عبد الرحمن، بدليل أنه لم يعلن عن وفـاته إلا بعد اجتماع ضم جميع فتيان القصر صغيرهم وكبيرهم، الذين قرروا على صرف ولاية العهد إلى عبد الله ابن طروب، وذلك بقولهم وبلسـان واحد: «سيـدنا وابن سيدتنا المربية لنا والمحسنة إلينا، لا نرضى غـيره، ولا نعـدل عنه»[3]. فى حين أشـار عليهم أحـد الفتـيان والمعروف عنه التقوى والفضل بقوله: «إن رأيى كـرأيكم وإنى أشكر للسيدة فضلها علىّ دونكم، لكننى أرى أن منح ولاية العهـد إلى عبد الله سيكون سـببًا فى قطع آثارنا من الأندلس»[4]. لا سيما أن عبد الله كان يتـصف بصفات سيئة، بدليل أن علية القوم كـانوا يتدبرون أمر ولاية العهد، وعبـد الله منهمكٌ فى اللذات، يشرب مع جملة من أصـحابه فى مجـلس اللهو والطرب[5]. ولهذا تذكـر الرواية أنه تم الإجمـاع بين علية القوم وبرضى الـسيدة طروب علَى جـعل ولاية العهد للأمـير محمد[6]؛ لما عُرِف عنه من رجاحة العقل والتقوى والفضل[7]، بالإضافة إلى أنه أكبر أولاد الأمير عبد الرحمن[8].

فى حين تشيـر بعض الروايات إلى خبر آخـر مفاده أنَّ ولاية العهـد قد أعطيت إلى عبـد الله ابن طروب من قبل والده، وذلك بتـأثير زوجـته وأحد فـتيـانه نصر الخصى كما ذكرنا سابقًا، لكنه تراجع وقرر منحـها إلى محمد أكبر أبنائه، بعد أن

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٦. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٠٤.
(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٠٤.
(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٧. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١١١.
(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٧. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١١١.
(٥) المصدر نفسه، ص٩٨.
(٦) المصدر نفسه، ص٩٩، ١٠٠. ابـن حيان، المقتبس، تحقيق مـكى، ص١١٤، ١١٦. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٥٢.
(٧) المصدر نفسه، ص٩٨. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١١٣.
(٨) المصدر نفسه، ص٩٨. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٤، ١١٢.

عجزت عن إقناع زوجها، فلم تتردد في إيجاد وسيلة لقتله مع ابنه[1]، فتآمرت مع الخصي نصر بعد أن علم أن محمداً إذا تولى الحكم بعد أبيه فسوف تكون عاقبته شديدة بسبب مناصرته لعبد الله بن طروب[2]؛ لهذا لم يتوانَ في تدبير مؤامرة اغتيال للأمير عبد الرحمن، وذلك بدس السم في دوائه مستعينًا في ذلك بطبيب الأمير المعروف بالحرانى[3]. في حين تذكر المصادر التي تحدثت عنه أن وصوله في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ - ٢٧٣هـ/ ٨٥٢ - ٨٨٦م)، لكن من المحتمل أنه وصل في نهاية عهد الأمير عبد الرحمن، ونال شهرته في عهد ولده محمد، فذهب نصر إلى هذا الطبيب وطلب منه سماً، وعلم الطبيب مراده فأعطى له السم، لكن الطبيب فطن إلى مغبة الأمر، فأخبر إحدى حظايا الأمير، واسمها فخر أو فجر، فسارعت بدورها، وأخبرت الأمير عبد الرحمن بهذه المؤامرة لكي يكون على حذر منها، ولما قدّم نصر الشراب المسموم إلى الأمير، أمسك عن شربه، بل قدَّمه لنصر الذى ما كاد يشربه حتى أسرع إلى الطبيب الحرانى ليعالجه، لكنه لقى حتفه[4].

لكننا نجد معظم مؤرخينا الذين تحدثوا عن هذه المؤامرة لم يشيروا بصورة صريحة إلى اشتراك طروب فيها. في حين يذكر ابن خلدون[5]، أنه كان لطروب يدٌ في هذه المؤامرة؛ وذلك بقوله إنها: «داخلت نصراً هذا في أمرها، وداخل هو طبيب الدار في أن يسم محمداً ولي العهد». ولكنه ظهر أن هذه الرواية ضعيفة جداً بدليلين:

أولهما: إذا كانت النية عند طروب متجهة لقتل الأمير محمد، فلماذا لم يقدم السم إليه أيضًا؟

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٩، ١١٠.
(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٦. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٩، ١٤.
(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٤.
(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٦. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٤. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٤٩. القفطى، تاريخ الحكماء، ص٣٩٤ - ٣٩٥. ابن جلجل، طبقات الأطباء ص٩٤ - ٩٥. ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٨٦. ابن صاعد، طبقات الأمم، ص١٨٦.
(٥) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣٠.

وثانيهما: أن طروب بعد هذه الحادثة لم تَنَلْ أيَّ أذى من الأمير عبد الرحمن[1]. هذا إذا علمنا أنها كانت موجودة عند وفاة الأمير عبد الرحمن؛ وذلك لأخذ رأيها فى مسألة ولاية العهد[2]، إلا أنها فشلت فى الوصول إلى غايتها فذهبت أطماعها أدراج الرياح، وأصبح ولى العهد الشرعى ولياً للعهد وهو الأمير محمد.

أما إذا أمعنا النظر فى جوانب هذه المؤامرة فإننا نجدها ذات أبعاد خطيرة:-

أولاً: إنه أصبح للمرأة نفوذ كبير مكّنها من رسم سياسة الدولة، فهى تبرم الأمور فلا يردّ شيء مما تبرمه[3].

ثانيًا: كان نصر الخصى ذا نظر ثاقب فى الأمور السياسية، فهو وإن ساعد طروب لتمكين ولدها، إلا أنه كان يعمل لمصلحته الخاصة بدليلين اثنين:

الأول: أن طروب ستعمل على تمكينه لدى الأمير، فطلباتها لا ترد، ونصر جرىء مقدام واسع الفهم، ولفتة من الأمير نحوه تجعله ذا مركز مرموق فى الدولة، وفعلاً، تم له ما تمنى حينما عهد إليه الأمير عبد الرحمن بقيادة الجيوش التى عملت على إخراج المجوس من الأندلس وقت نزولهم بها سنة (٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)[4].

الثانى: هو يَجِدُّ فى مساعدة طروب؛ حتى تمكّن ولدها من الحكم، وهو يعلم أن ولدها لم يكنْ يتميز برجاحة العقل كأخيه محمد[5]. فإذا ما نجحت مؤامرته فسيكون هو الأول والأخير عند الأمير الجديد، وربما كان يذهب بتفكيره إلى أبعد من ذلك، وهو إنشاء مملكة مستقلة للصقالبة، وهذا ما تم فعلاً مع طول الوقت على يد خيران الصقلبى الذى استقل بمدينة المرية (Almeria) سنة (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، وانضم إليه فتيان محمد بن أبى عامر[6].

---

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، هامش رقم (١) ص١١٤.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٧ - ٩٨. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١١١ - ١١٣.

(٣) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٠.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٨. العذرى، ترصيع الأخبار، ص١٠٠. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٨٧. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٩. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٥ - ٣٤٦.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٨. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١٤، ١٢.

(٦) ديوان ابن دراج القسطلى، ص٨٦ - ٨٧. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج١، هامش رقم (٢)، ص٢١٧. العذرى، ترصيع الأخبار، ص٨٣. ابن عذارى، البيان، ج٣، ص١٦٦. المقرى، نفح الطيب، ج١، هامش رقم (٢)، ص١٤١. العبادى، الصقالبة، ص١٧ - ١٨.

أما بالنسبة لطروب فقد كانت امرأة سياسية، وإن فشلت، إلا أنها تُقَدِّر الأمور حق قدرها، وهى تعلم علم اليقين بأن ولاية العهد ليست من حق ولدها؛ فهناك من إخوته من هو أكبر منه سناً وأرجح عقلاً، ولكن طموح الأم، وحبها لولدها دفعها إلى أن تتناسى هاتين الحقيقتين، وربما أفضت إلى زوجها بطريقة أو بأخرى بشىء مما يجول فى خاطرها، فأبدى رفضه القاطع؛ لذا لجأت إلى استخدام أسلوب الغدر والخيانة، لكن قبل أن تعمد إلى هذا الأسلوب نجدها «تصطنع أهل القصر من النسوان والخدم والخصيان ومن ينتابه من الوزراء وأهل الخدمة»[1]، وعلى الرغم من ذلك فقد فشلت، وبالرغم من فشلها إلا أنها أفسحت المجال أمام الزوجات الأخريات بعد ذلك كى يتخذن خطوات أوسع وأعمق فى مجال السياسة مما حدا بمؤرخنا ابن حزم[2] بوصف بعضهن «بالمعرقات فى الخلافة». والمراد بهذا من أعتق جارية، وتزوجها وولدت خليفة؛ كمرجان، وصُبح، وقد اشتهرت الأولى مرجان[3]، أو مرجانة[4]، أو مهرجان[5]، زوجة الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله، وأم الخليفة الحكم المستنصر[6]، بكونها أكثر أزواجه حظوة لديه حتى أنه فضلها على جميع حظاياه وخصوصًا على زوجه الحرة القرشية[7] فاطمة بنت الأمير المنذر بن محمد بن عبد الرحمن، التى ولدت للناصر ابنًا هو المنذر سمَّته باسم أبيها[8]. وقد تميزت مرجان برجاحة عقلها حتى أنه أطلق عليها

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص١١٠.

(٢) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٦٥ - ٦٧.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٦٨. رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص١٩٤. ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج٥، ص٧، ٦٧، ١٢٢، ١٩٤. الحميدى، جذوة المقتبس. ص١٣. الضبى، بغية الملتمس، ص١٨. النويرى، تاريخ المغرب، ص١١٧. النباهى، تاريخ قضاة الأندلس، ص٧٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٣٦. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٦١. المقرى، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٦٥.

(٥) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٣٣.

(٦) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، ص٦٧.

(٧) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج٥، ص٧.

(٨) المصدر نفسه، ج٥، ص٧. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢١٠.

«السيدة الكبرى»[1]، وبقيت منزلتها تزداد عنده حتى ملكت زمامه بدليل أن حظاياه لا يصلن إلى مطالبهن، ورغباتهن من الناصر لدين الله إلا بشفاعتها لهنّ إليه وتوسلهن بها لديه، وذلك لعظيم منزلتها وغلبتها على قلبه، وإذا طرقه التعب لا يقيم إلا عند مرجان؛ لأنه كان يشعر بطيب الراحة لمداواتها ورفقها[2]. وبقيت على هذا الحال تعمل دون كلل في سبيل كسب رضا الناصر دون زوجه الحرّة القرشية، حتى لو كلفها ذلك بذل الغالى والرخيص، بدليل أن الخليفة الناصر لدين الله تشوق ذات يوم إلى زوجه الحرة، فدعا بوصيفة، فقال لها: انطلقى إلى السّيدة فأبلغيها سلامنا، وعرِّفيها أنّا ضيوفها الليلة فلتستعد لنا، فانطلقت الوصيفة فأبلغتها رسالة الخليفة، وقالت: «يا مرحبًا بسيدى وأهلاً وكرامةً ورحبًا، حبذاها مِن بشرى أنا لها ساعية، وبعرجها طائرة»[3] على مسمع من كان عندها من كرائم الخليفة الناصر لدين الله وأمهات أولاده، ومن بينهن مرجان أُمّ ولىّ العهد الحكم التى لم تتمالك أعصابها عند سماعها رسالة الخليفة فتناولت عودًا فغنت: يا ليلةً لو أنها تُبتاع لى أو تشترى شريتها بكُلّ ما أطلُبُهُ من المنى[4].

فلما أنهت قالت لها القرشية على سبيل المهازلة والشطط: «أعطينى بها عشرة آلاف دينار وأنا أبيعها».

فقالت: «قبلتُ واشتريت». وبفضل رجاحة عقلها أخذت خط يدها، وانصرفت بالرقعة إلى منزلها، وأعدّت عدتها وبالغت فى عطرها وزينتها، وجلست فى طريق الخليفة الذى يقوده إلى القرشية[5] فما أن أقبل قاصدًا حرته القرشية حتى تصدّت له مرجان فى أجمل شارة وأفخر حلية وأسطع طيب،

---

(١) المصدر نفسه، ج٥، ص٧، ١٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص١٣.

(٣) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج٥، ص١٠.

(٤) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج٥، ص١٠.

(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص١٠. الجنحانى الحبيب، الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الأندلس فى عصر عبد الرحمن الناصر من خلال المقتبس لابن حيان، المناهل، وزراة الشئون الثقافية، الرباط، المغرب، (ع٢٩/ س١١) س١٩٨٤م، ص٣٥٢ - ٣٥٣. وسيشار إليه فيما بعد بـ: الجنحانى، الحياة الاقتصادية.

فقالت: إليّ، إليّ يا ابن الخلائف، فقد حباني الله بقربك، فقد اشتريت مبيتك عندي الليلة، وناولته الرقعة بخط القرشية والشاهدات عليها من كرائمه، فلما نظر فيها هاجت نفسه غضبًا على ابنة عمه، ثم انطلق سريعًا ارتياحًا لمرجان، وعجبًا من شرف فعلها بصدق مودتها إليه، قائلاً لها: يا مرجان حملتك الرغبة فى قربى والحرص على الاستكثار منى أن بذلتِ لها مثل هذا المال!. ثم صار إليها وبات عندها، وأطال المقام، وكان ذلك سبب استحواذها عليه وغلبتها على قلبه(١).

وتطالعنا كذلك من النساء اللائى كان لهن نفوذ سياسى، وسيطرة على أزواجهن «صبح» التى ظهرت فى بلاط قرطبة فى أوائل عهد الحكم المستنصر بالله (٣٥٠ - ٣٦٦هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م)، ولسنا نعرف كثيرًا عن نشأتها وحياتها الأولى، وكل ما تقدمه لنا الرواية الإسلامية فى ذلك هو أن صُبْح كانت جارية بشكنسية(٢)، تتصف بالجمال والحسن، تجيد الغناء(٣)، شغف بها الحكم، وأغدق عليها حبه وعطفه وسماها بجعفر(٤)، فهى الجارية الوحيدة التى أنجبت منه، إذ تقدم به السن وهو محروم من الولد، وكان الحكم حينما ولى الملك بعد وفاة أبيه عبد الرحمن الناصر قد بلغ السابعة والأربعين من عمره، ولم يكن رزق ولدًا بعد، وكان يتوق إلى ولد يرث الملك من بعده فتحققت أمنيته على يد حظيته صبح، ورزق منها بولد سماه عبد الرحمن، وذلك فى (٣٥١هـ/ ٩٦٢م)، وسُرَّ بمولوده سرورًا عظيمًا(٥)، ثم ولدت له بعد ذلك بثلاثة أعوام ولدًا آخر سماه هشامًا سنة (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)(٦)، فسَمَت صبح لديه بعد أن كانت مجرد جارية أو حظية، وكثيرًا ما نعتتها الرواية الإسلامية بالسيدة صبح أم المؤيد(٧)، ولبثت صبح تستأثر

---

(١) نفس المصدر، ص١٢.

(٢) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧١. ديوان ابن دراج القسطلى، ص١١٩. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٢، ٢٥٣. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٦٠٣.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧١. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٣.

(٤) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٣٧، ٢٥٣. .

(٥) المصدر نفسه، ، ج٢، ص٢٣٥.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٧.

(٧) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٧٦ ابن عذارى، البيان، ج٢، ص ٢٥٢. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص ٣٩٩ .

فى البلاط والحكومة بنفوذ لا حد له، والحكم يثق بإخلاصها وحزمها، ويستمع لرأيها فى معظم الشئون، وكانت كلمتها هى العليا فى تعيين الوزراء، وبقيت هكذا حتى دخلت فى الميدان شخصية جديدة قُدِّر لها أن تقوم بدور عظيم فى توجيه مصائر الدولة، ألا وهى شخصية محمد بن أبى عامر (المنصور) الذى يرجع أصله إلى الجزيرة الخضراء (Algeciras) من قرية طرش (Torrox)[1].

نزحت أسرته مع الجيوش الفاتحة أيام طارق بن زياد، وموسى بن نصير بقيادة جده عبد الملك المعافرى[2]، وقد قدمَ محمد هذا قرطبة وهو شاب فطلب العلم والأدب، وسمع الحديث فى جامعها، وكانت له همة عالية وطموح وثاب، رفيع المواهب إلى حد أنه كان يحدث بذلك زملاءه وإخوانه[3].

يبدو أن علاقة محمد بن أبى عامر مع السيدة صبح كانت بسيطة حسب ما جاء فى المصادر التاريخية، وهى أن هذا الشاب زاول بعد تخرجه عملاً بسيطًا، فقد افتتح دكانًا بجوار قصر الخلافة يكتب فيه للناس شكاواهم[4]. ولما كانت صفاته أرفع من عمله فهو متميز بالذكاء والنشاط وقوة الشخصية[5]، مع مهارة فى معاملته وخاصة من اتصل به من خدم القصر وغلمانه، دفعهم إلى تهيئة فرصة

(١) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧٦، ١٧٨. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٧٨. الضبى، بغية الملتمس، ص١١٥. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٧٨. المراكشى، المعجب، ص١٤. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٦٨. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٧. النويرى، تاريخ المغرب، ص١٢١. ابن عاصم، جنة الرضا، ج١، هامش رقم (٣)، ص٢٦٧. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٩.

(٢) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧٥. ابن بسام، الذخيرة، (ق٤ - مج١)، ص٥٦. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٧٥. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص١٩٩. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٦، ٢٥٧. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٥٩. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤٧. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٩.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧٧. الحميدى، جذوة المقتبس ص٧٨. ابن الأثير، الكامل ج ٨ ،ص ٦٧٨. ابن الأبار ،الحلة السيراء، ج١، ص٢٦٨. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص١٩٩. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٧. النويرى، تاريخ المغرب، ص١٢١ - ١٢٢. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٩.

(٤) المقرى ،نفح الطيب ، ج١، ص٣٩٩.

(٥) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص٦٢.

الاتصال له بالسيدة صبح أم المؤيد التى طلبت منه أن يكتب لها داخل القصر[1]، فترقت به الحال حتى وكلت إليه النظر فى شئون أموالها وضياعها[2]. فى حين يذكر ابن عذارى[3] خبراً آخر لبداية ظهور محمد بن أبى عامر، وعلاقته مع السيدة صبح مفاده أن بداية ظهور ابن أبى عامر كان عن طريق الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى، الذى كان من المقربين للحكم المستنصر، بدليل ما ذُكِر عنه بأنه كان لطيف المنزلة من الحكم، قديم الصحبة، قريب الخاصة، فوالده عثمان بن نصر هو الذى كان قد تولى تأديب الحكَم فى صغره[4]. وحينما أراد الحكم أن يُعين مشرفًا لإدارة أملاك ولده عبد الرحمن الصغير سنة (٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، رشَّحه الحاجب المصحفى فيمَن رُشّح لتولى هذا المنصب، فأعجبت صبح بذكائه، فاختارته دون غيره، وعين بمرتب قدره خمسة عشر ديناراً فى الشهر[5]، ولما توفى عبد الرحمن عين مشرفًا لأملاك أخيه هشام، وتقدم بسرعة فى وظائف الدولة، فأضيف إليه النظر على الخزانة العامة، ثم عُيّن للنظر على خطة المواريث، فقاضيًا لكورة إشبيلية (Sevilla)، ثم عينه الحكم مديراً للشرطة، وفى أواخر أيامه عينه ناظرًا على الحشم[6]، وذلك بفضل سعيها له عند زوجها، بحيث استطاع أن يكسب عطفها، وأن يتقلَّد المناصب العليا فى الدولة، ومن أموالها أخذ يتحفها بكل نادرٍ وغريب ويلاطفها قولاً وفعلاً حتى استمال قلبها، وصاغ لها قصراً من فضة وقتَ ولايته السكة، عمل فيه مُدّة، وأنفق فيه مالاً جسيمًا، فجاء بديعًا لم ترَ العيون أعجب منه، وحُمِلَ ظاهراً لأعين الناس من دار ابن أبى عامر، بحيث تحدثت الناس بشأنه دهراً[7].

(١) المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٩.

(٢) الحميدى، جذوة المقتبس، ص٧٨. ابن بسام، الذخيرة، (ق٤ - مج١)، ص٥٩. الضبى، بغية الملتمس، ص١١٥. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٦٨. المراكشى، المعجب، ص١٥. النويرى، تاريخ المغرب، ص٢١ - ١٢٢.

(٣) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٤.

(٥) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥١.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥١. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٥٩.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٢ . المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص ٨٨.

فكانت نتيجة ذلك أن ظهر الكثير من الأقاويل والإشاعات بهذا الخصوص، وأصبح محمد بن أبى عامر المنصور العشيق المتربع على قلب صبح، حتى تحدثت الناس بشغفها به(١). فى الوقت الذى كان فيه الحكم ليس ببعيد عن الأحداث بدليل قوله لبعض ثقاته: «ما الذى استُلطف به هذا الفتى وحُرمناه حتى ملك قلوبهن مع اجتماع زخرف الدنيا عندهن، حتى صرن لا يصفن إلا هداياه، ولا يرضيهن إلا ما أتاه؟! إنه لساحر عليم، أو خادم لبيب، وإنى لخائف على ما بيده»(٢)، وربما يعزى تمكن ابن أبى عامر عند الحرم لقديم الاتصال، وحسن الخدمة، والإرادة القوية(٣) التى كان يتمتع بها، هذا بالإضافة إلى الصفات الجمالية، فهو وسيم المحيا، حسن القد والتكوين، ساحر الخلال(٤)، يعمل بدون كلل فى خدمة صبح، يغمرها بنفيس الهدايا والتحف فى سبيل كسب رضاها(٥)، لكن مهما تعددت صور العلاقة، فالمصادر اتفقت على أن سبب ظهور محمد بن أبى عامر يعود إلى السيدة صبح؛ بدليل قول ابن عذارى(٦): إن سبب ظهوره كان خدمته للسيدة صبح البشكنسية أم عبد الرحمن وهشام، فكانت هذه الخدمة من أقوى الأسباب فى انتقال الملك له فيما بعد، وذلك باستغلال مكانتها لدى الحكم، لما تتمتع به من نفوذ؛ فهى السيدة «الغالبة على مولاها»(٧). مما حدا ببعض المحدثين(٨) إلى المبالغة فى ذكر سلطانها، فأشار بعضهم، إلى أن السلطة كانت اسمية بيد الحكم، بينما السلطان الفعلى كان بيد صبح، نظراً لما بذلته من جهود كبيرة لإيصال محمد بن أبى عامر (المنصور) إلى هذا المنصب الرفيع، وإيصال ابنها إلى ولاية العهد دون عمه المغيرة بن عبد الرحمن أحد المنافسين له، الذى تم قتله على يد محمد بن أبى عامر (المنصور)، وبإيعاز من جعفر بن عثمان المصحفى عندها صفت الأمور لابنها هشام المؤيد(٩).

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٨٠.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٢.
(٣) ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٢٠٠.
(٤) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٧.
(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٢. المقرى، نفح الطيب، ج٣، ص٨٨.
(٦) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٢. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص١٩٤ - ١٩٥.
(٧) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٥٢.
(٨) البواب سليمان سليم، مئة أوائل من النساء، ط ٢، دار الحكمة للطباعة والنشر دمشق، س ١٩٨٦م، ص ٤٥٣. وسيشار إليه فيما بعد بـ: البواب، مئة أوائل من النساء .
(٩) ابن بسام، الذخيرة، (ق٤ - مج١)، ص ٥٨ النويرى، تاريخ المغرب، ص ١٢١ - ١٢٢.

وهي بعملها هذا قضت على الخلافة الأموية؛ ذلك لأن الحكم المستنصر لم يكن يبغى جعل ولده هشام وليّاً للعهد، وإنما كان يبغى جعل الخلافة لأخيه المغيرة، وهذا نستقيه من كلام ابن أبى عامر إلى خاصته بعد وفاة الحكم؛ إذ نجده يطلب من خدم القصر ألا يذيعوا خبر وفاته، وفى الوقت نفسه نجده يفصح لهم عما يدور فى نيته حول جعل الخلافة فى هشام مستغلاً حداثة سنه؛ إذ كان فى حدود عشر سنوات أو أكثر قليلاً حين تولى الخلافة[1]. وفى ذلك قال: «إن حبسنا الدولة على هشام أمنّا على أنفسنا وصارت الدنيا فى أيدينا، وإن انتقلت إلى المغيرة استبدل بنا وطلب شفاء أحقاده»[2] وبهذا استطاع محمد بن أبى عامر أن يضمن الملك والحكم لصبح وابنها بعد وفاة الحكم، مستعينًا بأموالها على ذلك ثم سما له أمل التغلب على هشام المؤيد، فمكر بأهل الدولة، وضرب بين رجالها، حتى تمكن من الاستقلال بالملك والاستبداد بالأمر، وبنى لنفسه مدينة سماها الزاهرة، وجلس على سرير الملك وأمر أن يُحيًا بتحية الملوك، بعد أن تسمى بالحاجب المنصور، كما أمر بالدعاء على المنابر عقب الدعاء للخليفة[3]، وتسمى عندئذ «بالملك الكريم»[4]. وتم بذلك استئثاره بجميع السلطات والرسوم ولم يبقَ لهشام المؤيد من رسوم الخلافة سوى الاسم.

ثالثًا: دور المرأة فى المعارضة:

برزت المرأة فى بعض حركات المعارضة والتمرد التى قامت فى الأندلس، ففى عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم سمعنا بأول حركة معارضة قامت بها جميلة

(١) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٧١ الحميدى، جذوة المقتبس، ص ١٧. الضبى، بغية الملتمس، ص ١١٥. المراكشى، المعجب، ص ١٤. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص ٣٩٩. أمين، ظهر الإسلام، ج٣، ص ١٢٦.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، (ق٤ - مج١) ص ٥٨. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص ٢٦٠.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧٨ - ١٨١. الحميدى، جذوة المقتبس، ص٧٨. الضبى، بغية الملتمس، ص١١٥. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٦٧٨. المراكشى، المعجب، ص١٥. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٦٨. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٧٥، ٢٧٩ - ٢٨٠. النويرى، تاريخ المغرب، ص١٢١ - ١٢٢. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤٨. المقرى، نفح الطيب، ج١، ٣٩٦ - ٣٩٨. عنان، تراجم إسلامية، ص٢٠٧. الركابى، جودت، فى الأدب الأندلسى، ط٤، دار المعارف، مصر، س١٩٦٠م، ص٢١. وسيشار إليه فيما بعد بـ: الركابى، فى الأدب الأندلسى. أمين، ظهر الإسلام، ج٣، ص١٢٧.

(٤) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٩٤.

بنت عبد الجبار من أهل ماردة (Merida) على أثر تزعم أخيها محمود قيادة حركة عصيان حين قامت الفتنة فى ماردة بين البربر والمولدين سنة (٢١٣هـ/ ٨٢٨م)(١)، تسانده فى ذلك أخته(٢)، التى عرفت من يومها بفروسيتها وحسنها وبراعة جمالها حتى قيل فيها إنها تميزت «بالشجاعة والنجدة والفروسية، ولقاء الفرسان ومبارزتهم فى العساكر»(٣).

ويعود أصل محمود وأخته جميلة إلى إحدى البيوتات الكبيرة من قبيلة مصمودة، وهم أبناء عبد الجبار بن زاقلة (زانلة) القائم بأمر ماردة فى ذلك الوقت(٤). ولم يكن محمود وحده الذى أشعل نيران الفتنة فى هذا الشغر من البلاد، بل انضم إليه متمرد آخر من المولدين، يدعى سليمان بن مرتين عرف باسم قعنب، واستطاع هذان المتمردان إعلان الاستقلال بمدينة ماردة، وأعلنا عصيانهما على الأمير عبد الرحمن الثانى(٥). ويبدو أن أخته جميلة أدركت خطورة حركته، ومعارضته للأمير، فدعته إلى الطاعة، إلا أن محموداً لم يذعنْ إلى طلبها، وآثر الاستمرار فى التمرد والمعارضة(٦)؛ لهذا فإن الأمير لم يترك حركة تمردهما دون عقاب، فنجده يسيّر إليهما حملات عديدة من أجل القضاء على تمردهما(٧).

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٩. مؤلف مجهول، نبذة تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، نشر ليفى بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، س١٩٣٧م، ج١، ص٨٠. وسيشار إليه فيما بعد بـ: مؤلف مجهول، مفاخر البربر. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، هامش رقم (٥)، ص٣٩٧. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٤١٠. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٤٨. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٥٨. ابن خلدون، العبر ج٤، ص١٢٨. الشعراوى، الأمويون أمراء الأندلس، ص٣٠٦. أبو ضيف، القبائل العربية، ص١٩٢. الحجى، أندلسيات (المجموعة الثانية) ص١٢٤.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٩. الحجى، أندلسيات (المجموعة الثانية)، ص١٢٤. الشعراوى، الأمويون أمراء الأندلس، ص٣٠٧.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠١. الحجى، أندلسيات (المجموعة الثانية)، ص١٢٤. نعنعى، تاريخ الدولة الأموية، ص٢٠٨.

(٤) المصدر نفسه، ص٥٠٠ - ٥٠١.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٤١٠ - ٤١١. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٨٣ - ٨٤.

(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٩.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٤١٠ - ٤١١. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٤٨. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٨٣ - ٨٥. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٨. الحجى، أندلسيات (المجموعة الثانية) ص١٢٤. الشعراوى، الأمويون أمراء الأندلس، ص٣٠٧.

عندها اضطُرّ محمود إلى إقامة تحالف مع ألفونسو الثانى (Alfonso -II) ملك مملكة ليون (leon)[١]. إلا أن هذا التحالف لم يدُم طويلاً، فقد انقلب ألفونسو الثانى ضده، وجهز جيشًا وأمر بمحاصرة الحصن الذى يعتصم فيه، ثم قتله هو ومن معه فى سنة (٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)[٢]. أما مصير أخته جميلة فيذكر أنها وقعت فى الأسر، وصارت من نصيب أحد كبار النصارى الذى أرغمها على التنصر، وتزوج منها، وكان من نسلها فيما بعد أسقف شنت ياقب (Santiago)[٣]. وتطالعنا كذلك السيدة صبح المشار إليها سابقًا كامرأة معارضة للحكم العامرى، لا سيما بعد أن انقلب عليها محمد بن أبى عامر، الذى استطاع بفضل عزمه وصرامته وبراعته أن يتخطى كل عقبة، وأن يروع كل منافس ومناوئ، وفى ذلك يقول ابن خلدون فى تاريخه[٤]: «ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه، فمال عليهم وحطمهم عن مراتبهم، وقتل بعضهم ببعض، كل ذلك عن أمر هشام، وخطه وتوقيعه، حتى استأصل شأفتهم، وفرّق جموعهم»، وأول ما بدأ بالصقالبة الذين اقترحوا تولية المغيرة، وفى قصة تطول تخلص من جعفر بن عثمان المصحفى الذى أشار عليه بقتل المغيرة[٥]. أما ابنها الصغير فلم يسمح له إلا باللهو واللعب ومغازلة النساء، فنشأ متخلفًا عقلاً وصحة[٦] لكن بالرغم من إجهازه على

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص٣٩٧. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٤٨.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٩. ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٤١١. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص٤٨. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٨. أبوضيف، القبائل العربية، ص١٩٢. الحجى، أندلسيات (المجموعة الثانية)، ص١٢٤. محمد، عواد صالح، الأندلس فى عهد الطوائف الأولى/ دراسة فى السياسة الداخلية (٢٣٨ - ٣٠٠هـ/ ٨٥٢ - ٩١٢م)، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، العراق، س١٩٧٢م، ص٤١ - ٤٢. وسيشار إليه فيما بعد بـ: محمد، الأندلس فى عهد الطوائف.

٣) الحجى، أندلسيات (المجموعة الثانية)، ص١٢٥. الشعراوى، الأمويون أمراء الأندلس، ص٣٠٧. أبو ضيف، القبائل العربية، ص١٩٢.

(٤) ابن خلدون العبر، ج٤، ص١٤٧.

(٥) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٧٩. ابن بسام، الذخيرة، (ق٤ - مج١)، ص٦٣، ٦٤. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٦١ - ٢٦٤. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤٧. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٧.

(٦) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٧٦. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٥٨٠. عنان، تراجم إسلامية، ص٢٠٥.

منافسيه، وحجره على هشام الذى ظهرت فيه الكثير من القصائد والأناشيد الشعبية، للتشهير بحجر محمد بن أبى عامر عليه، وعلائقه بصبح وقاضيه ابن السليم أبو بكر محمد بن إسحاق (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م). فمن ذلك ما قيل على لسان هشام فى الشكوى من الحجر عليه:

اقترب الوعدُ وحان الهلاك ... وكُلُّ ما تحذره قد أتاك

خليفةٌ يلعبُ فى مكتبٍ ... وأمهُ حُبلى وقاض..... [1]

والبيتان يشيران إلى الخليفة هشام؛ لكونه صغيرًا، وإلى أمه التى جاءت بابن أبى عامر إلى السلطة، كما يشيران أيضًا إلى اتهام القاضى بالفجور، وهذا قول لاذع ينقد أوضاع الدولة بالسخرية والتجريح، ويفصح عن السخط والتبرم. ويبدو أن محمد بن أبى عامر لما غلب حظه وسعده ووصل إلى سدة الحكم، لم يأمن أن يقيم فى القصر الذى يقيم فيه الخليفة، فابتنى له مدينة خاصة به سماها «الزاهرة» سنة (٣٦٨هـ/ ٩٧٨م)، وشحنها بالسلاح والعتاد والمؤن، ونقل إليها دواوين الحكم[2]، الأمر الذى دفع السيدة صبح إلى الاتصال بالعناصر المعارضة لابن أبى عامر، فامتد نظرها إلى أحد زعماء المغاربة واسمه زيرى بن عطية[3] حاكم المغرب الأقصى من

---

(١) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٢٨٠؛ المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٦٠٢ - ٦٠٣، ج٣، ص٢٢٠؛ عنان، تراجم إسلامية، ص٢٠٧؛ عبد الله، الهجاء فى الشعر العربى الأندلسى، ص٦٨ - ٦٩.

(٢) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٨٠ - ١٨١. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج١، ص١٩٦، ٢٠١. ابن عذارى، البيان، ج٢ ص٢٧٥؛ النويرى، تاريخ المغرب، ص١٢٣. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٤٨. المقرى، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٧، ٥٧٨ - ٥٨٠، ٦٠٢ - ٦٠٣.

(٣) زيرى بن عطية: يرجع فى نسبه إلى خزر بن حفص من بنى خزر، كان حاكمًا على مدينة فاس، وكانت علاقته فى البداية مع ابن أبى عامر حسنة، بحيث وصلت إلى درجة تقديم الهدايا، وتوليته خطة الوزارة، إلا أن هذه العلاقة لم تدُم طويلاً، لا سيما بعد أن استبد محمد بن أبى عامر بالسلطة دون الخليفة الصغير هشام المؤيد. أنظر بشأن ذلك: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ج١، ص٢٢، ٢٧، ٤٦. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٨٣- ١٨٤. ديوان ابن دراج القسطلى، هامش رقم (١)، ص٣ -٤.

قِبل ابن أبى عامر[١]. وحاولتْ مدّه بالأموال، ويُذكر أنها عملت ذلك بالاتفاق مع أخيها رائق علـى نقل الأموال سراً، وذلك مقابل حشد الجند والتأهُّب للعبور إلى الأندلس، وقد حملتْ هذه الأموال على أعناق الخدم الصقالبة فيها الذهب والفضة، وكان مبلغ ما حملت فيها من الذهب ثمانين ألف دينار، أرادت إخراجها من مدينة الزهراء[٢]. إلا أن ابن أبى عامر فطن إلى المؤامرة قبل نضجها، فاجتمع بالخليفة هشام سراً، واعترف له بالفضل والفناء فى حفظ قواعد الدولة، عندها خرست ألسنة الأعداء والحسدة[٣]، فاستطاع بذلك الاستيلاء على الأموال ونقلها من قصر الخلافة بالزهراء إلى قصره المعروف بالزاهرة[٤]. وقد روى فى هذا الصدد بأن السيدة صبح قالت لابنها هشام: «أما ترى ما يصنع هذا الكلب؟» تعنى المنصور، «فقال: دعيه ينبح لنا ولا ينبح علينا»[٥]. فى الوقت نفسه كانت صبح تدافع بضراوة ضد فعلة ابن أبى عامر بعد أن حمل الأموال من القصر الخلافى إلى قصره[٦]. وقد أشارت المصادر إلى «صرامة تلك المرأة مع ابن أبى عامر وولده عبد الملك، ورميها لهما بكل عظيمة»[٧]. أما بخصوص الأموال التى حاولتْ نقلها، فما هى إلا من أجل الإنفاق على الجيش المغربى بقيادة زيرى بن عطية؛ لغرض القضاء على ابن أبى عامر، بدليل أن شعار جند زيرى بن عطية أثناء حربهم ضد جند محمد بن أبى عامر (المنصور) كان «هشام يا منصور»[٨]. وهكذا فشلت صبح

(١) ابن عذارى، البيان، ج ٢، ص ٢٨١ - ٢٨٢. المقرى، نفح الطيب، ج ١، ص ٣٩٨. العبادى، المجمل فى تاريخ الأندلس، ص ١٣١. عنان، تراجم إسلامية، ص ٢٠٩. نعنعى، تاريخ الدولة الأموية، ص ٤٤٣.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، (ق ٤ - مج ١)، ص ٧١ - ٧٢. المقرى، نفح الطيب، ج ٣، ص ٩٢ - ٩٣.

(٣) ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج ١، ص ٢٠١. المقرى، نفح الطيب، ج ٣، ص ٩٣.

(٤) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٨٤. ابن بسام، الذخيرة، (ق ٤ - مج ١)، ص ٧١ - ٧٢. ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص ٦٢. ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج ١، ص ٢٠١. المقرى، نفح الطيب، ج ٣، ص ٩٣.

(٥) ابن سعيد ورفاقه، المغرب، ج ١، ص ١٩٥.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، (ق ٤ - مج ١)، ص ٧٢. المقرى، نفح الطيب، ج ٣، ص ٩٣.

(٧) المصدر نفسه، (ق ١ - مج ١)، ص ٧٢.

(٨) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ج ١، ص ٢٩.

فى محاولتها، ولو كانت حقا قد نجحت فى نقل الأموال لربما استطاعت أن تقضى على ابن أبى عامر، الرجل القوى الذى وصـل إلى ذلك بفضل صبح، ومما يجدر بنا ذكره هنا أن الدولة الأموية بالأندلس قد انتهت فعلاً بانتهاء عهد الحكم المستنصر (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م)، ولم يكن استمرارها بعـد ذلك إلا صورة، ولما أيقنت صبح أن المعارضة عبث، لجـأت إلى السكينة والعزلة، فلا نسمع عنها بعـد ذلك شيئًا، ولا نعرف تاريخ وفاتها بالتحديد، وكل ما تقوله الرواية فى ذلك إن وفاتها كانت على أيام ولدها هشام[1].

رابعًا: دور المرأة فى تدبير المؤامرات والقتل:

رأينا فيما سبق تفاصيل وصول مـحمد بن أبى عامر (المنصور) إلى دفة الحكم، وكيف استطاع الاستقلال بالملك إلا أن هذا الاستقلال لم يدُم طويلاً؛ لأن المنصور كان قد توفى فى سنة (٣٩٢هـ/ ١٠٠١م)[2]. جاعلاً ولاية العـهد من بعده لابنه عبد الملك ابن زوجته الحرة التى تُعرف بالذلفاء، دون عبد الرحمن ابن زوجته عبدة بنت شـانجة النصـرانى الملقب بشنجـول (Sanchol)[3]. وقـد اشتـهـرت الأولى (الذلفاء) فى تدبير المؤامرات والقتل، فقد ذُكـر عنها أنها ساهمت فى مقتل الوزير عيـسى بن سعيـد الذى نال شهـرة ومنزلة كبيـرة لدى عبد الـملك، لا سيمـا بعد المصاهرة التى تمت بينهما، فقد تزوج ابن الوزير عيسى المكنى بأبى عامر من أخت عبد الملك الصغرى، إحدى بنات المنصور[4]. وكانت النتيجة أن ارتفع شأن الوزير عيـسى لدى الحاجب عـبد الملك، عـندها مال أصـحاب عبـد الملك على عـيسى ونصبوا له عداوة، وعملوا على الإيقاع به عند عبد الملك، كذلك ساهمت الذلفاء

---

(١) ابن عذارى، البيان، ج ٢، ص ٢٥٣.

(٢) مؤلف مجهـول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٩٤. الحميدى، جذوة المقـتبس، ص ٧٩. الضبى، بغيـة الملتمس، ص ١٨٣. المراكـشى، المعجب ص ٢١. ابن سـعيـد ورفاقـه، المغرب، ج ١، ص٢٠١.

(٣) ديوان ابن دراج القـسطلى، ص ٥٠. ابن الأبار، الحلة السـيـراء، ج ١، هامش رقم (١)، ص ٢٧٢. ابن عذارى، البيان، ج ٣، ص ٣٨، ٤٢. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٦٦.

(٤) ابن بسام، الذخيرة، (ق ١ - مج ١)، ص ١٢٤. أبو دياك، الوجيز، ص ٣٨٧.

وجواريها في الإيقاع بالوزير عيسى لدى ابنها[1]. ويُذكر أن السبب في مساهمة الذلفاء في الإيقاع بالوزير عيسى، يعود لمساهمته في زواج ابنها عبد الملك من بنت مولاته الجنان، الجارية الحسناء التي كانت قد تأدّبت بأدب أهله، وأخذت الغناء من محسنات قيانه، رآها عبد الملك يومًا فراعته، وبقي على هذه الحال حتى تزوج منها، وعندما وصل خبر زواجهما (للذلفاء) أنكرت عليه ذلك فحقدت أمه على عيسى[2]. الأمر الذي زادها إصرارًا على الإيقاع به عند ابنها، فلما أحسّ الوزير عيسى بن سعيد بتغيير موقف عبد الملك اتجاهه أراد الانقلاب على العامريين ومساندة المروانيين، وعلى رأسهم هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، وذلك بصرف الخلافة إليه بدلاً من الخليفة هشام المؤيد فاقد السلطة والسيطرة على المُلك، وبالتالي يتمكن من ضرب العامريين[3]. ومما يشير إلى الدور الذي لعبته الذلفاء في تدبير المؤامرات واغتيال بعض الشخصيات البارزة في الدولة؛ نص ابن عذارى، حين قال: «فدخلت على ابنها فصدقته عن تهمة عيسى، وعزمت في قتله فلم يشكّ في صحة ذلك، فخرج لوقته وأمر بقتله»[4]، ويبدو من سياق الرواية التاريخية أن السيدة الذلفاء كانت تتمتع بنفوذ كبير عند ولدها عبد الملك، بحيث مكنّها من التدخل في شئون الدولة والحكم، ولم يكن هذا النفوذ بجديد عليها؛ بل كانت تتمتع به منذ عهد والده المنصور؛ بدليل أنه قد أودع لديها الأموال الخاصة التي تركها بعد وفاته لابنه عبد الملك، وذلك أثناء مرضه الأخير؛ إذ أوصى ولده عبد الملك بقوله: «والمال المخزون عند والدتك هو ذخيرة مملكتك، وعدةٌ لحاجة تنزل بك، فأقمه مقام الجارحة من جوارحك التي لا تبدلّها إلا عند الشدة، تخاف منها على سائر جسدك»[5]. كما يشار أيضًا إلى هذه المرأة بأنها السبب في إسقاط الدولة العامرية؛ فقد اعتقدت بأن ابنها عبد الملك مات مقتولاً من قبِل أخيه عبد الرحمن الملقب بشنجول ابن ضرتها عبدة بنت شانجة[6]. ونتيجة

---

(١) ابن بسام، الذخيرة، (ق ١ - مج ١)، ص ١٢٤. ابن عذارى، البيان، ج ٣، ص ٢٩.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، (ق ١ - مج ١)، ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٣) المصدر نفسه، (ق ١ - مج ١)، ص ١٢٥. ابن عذارى، البيان، ج ٣، ص ٣٠.

(٤) ابن عذارى، البيان، ج ٣، ص ٣٢.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٨٢.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٦٧٨. ابن عذارى، البيان، ج ٣، ص ٥٢. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٠٩.

للعداء الطبيعي بين الضرتين طلبت عبدة من ولدها شنجول (Sanchol) أن يدس السم لأخيه عبد الملك، وبهذه الطريقة يصل إلى الحكم ويتخلص من أخيه، وفعلاً عمل بوصية أمه، ودس السم لأخيه مع أحد خدمه فقتله[١]. وبعدها نجد عبد الرحمن يبالغ فى تكريمها ويجمل عشرتها ويهيىء لها ولأولاد أخيه عبد الملك ونسائه أسباب الراحة لم ينقصها شىء من حالها[٢].

لكن وعلى الرغم من حسن المعاملة إلا أنها عقدت العزم على اغتياله، فسعت على حتفه عند بنى مروان عداة قومها، فاتفقت مع أحد الفتيان وهو بشر الصقلبى من الفتيان العامريين المنحرفين عن عبد الرحمن شنجول، وعلى الفور اتصل بالمروانيين الذين بدورهم أشاروا عليه بالاتصال بمحمد بن هشام المعروف عنه بالقوة والبأس، ففتح معه باب التدبير ووعده عن الذلفاء بالإعانة بالمال، وبعد جهود عظيمة بذلها الفتى لإقناع المروانيين بصدق نوايا سيدته تجاههم، وأنها تسعى لاسترجاع ملكهم من العامريين، والتخلص من عبد الرحمن، وأخيراً وقع الاختيار على رجل أموى يتصل بنسبه بعبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله، واسمه محمد بن هشام بن عبد الجبار والذى بويع بالخلافة سراً سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٨م)[٣]. وقد وصف بمخاطرته بحياته خليعاً جسوراً، مداخلاً لصقوره، لا يدرى فى أى وادٍ يهلك، اجتمع حوله فئات مختلفة من الأشرار[٤].

---

(١) ابن عذارى، البيان، ج ٣، ص ٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٢.

(٣) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج ٢، ص ١٩٦. ابن غالب، محمد بن أيوب الأندلسى، نص أندلسى جديد قطعة من كتاب فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس، تحقيق لطفى عبد البديع، مطبعة مصر، القاهرة، س ١٩٥٦م، ص ٤٠. وسيشار إليه فيما بعد، ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس. ديوان ابن دراج القسطلى، ص ٥٠. ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٦٧٩. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج ١، ص ٢٧١. المراكشى، المعجب، ص ٢٢. ابن عذارى، البيان، ج ٣، ص ٥٢ - ٥٣. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٠٩. ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٤٩ - ١٥٠. المقرى، نفح الطيب، ج ١، ص ٤٢٦. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص ٣٤٧. أبو صالح، الجوارى، ص ٦١. نعنعى، تاريخ الدول الأموية، ص ٤٨٩. التواتى، مأساة انهيار الوجود العربى، ص ٥٣٨ - ٥٣٩. الصوفى، خالد، تاريخ العرب فى الأندلس عصر الإمارة من عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر (١٣٨ - ٣٥٠هـ)، دمشق، د.ت، ص ٩. وسيشار إليه فيما بعد. الصوفى، تاريخ العرب.

(٤) ابن عذارى، البيان، ج ٣، ص ٥٢. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٠٩. التواتى، مأساة انهيار الوجود العربى، ص ٥٣٩.

وبعدها قام محمد بن هشام بثورته أو فتنته منتهزًا وقت خروج عبد الرحمن الملقب بشنجول للجهاد سنة (٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م)، وقد طال أمر هذه الثورة حتى استمرت إحدى وعشرين سنة، هدم خلالها كل معلم حضارى أنشأة الأمويون أو العامريون، فهُدمت الزهراء، التى بناها الناصر ودُكت أسوارها، كما هُدمت الزاهرة التى شيدها محمد ابن أبى عامر، واستطاع هو وجماعته من الاستيلاء على مقاليد الحكم[١]. بعد أن وقع بيدهم نساء آل عامر أسرى، فميز محمد بن هشام بينهن فأطلق الحرائر، واصطفى لنفسه الإماء[٢]. وبهذا نستطيع القول بأن هذه المرأة انتقمت لنفسها، وثأرت لابنها، ولولا تدبير هذه المرأة لما استطاع ابن عبد الجبار أن يصل إلى كرسى الحكم[٣]. وحين استقر به الملك نراه يكرم الذلفاء وينزلها فى دارها ويطلق يدها على أملاكها وأموالها، ويوفر لها سُبل العيش الكريم[٤]. الأمر الذى يجدر بنا قوله أن هذه الفتنة كانت السبب فى إندثار الخلافة الأموية، وانحلال وحدة الأندلس وتفسخه إلى دويلات صغيرة متناحرة، عُرفت باسم (دول الطوائف)، وكل هذا يعود فى أسبابه إلى تلك الثُلة من الزوجات ابتداء بصبح البشكنسية زوج الحكم المستنصر، وانتهاءً بالذلفاء زوج محمد بن أبى عامر (المنصور) مرورًا بعبدة أم شنجول، الأولى مهدت الطريق لابن أبى عامر للوصول إلى الحكم، كما استطاعت بمساعدة ابن أبى عامر لها أن تحرم أعمام ولدها من الحكم، كما كان للبيت العامرى أن يستمر لولا أن أم شنجول طلبت من ولدها دس السم لابن ضرتها الحرة الذلفاء أم عبد الملك، وعندما تم الأمر لشنجول قامت الذلفاء بتحريض الأمويين ضده أخذًا بثأر ولدها، فكانت النتيجة انهيار الوجود العربى فى الأندلس[٥].

---

(١) ديوان ابن دراج القسطلى، ص ٥٠. ابن عذارى، البيان، ج ٣، ص ٦٢ - ٦٣. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٠٩ - ١١٢. ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٤٩ - ١٥٠. المقرى، نفح الطيب، ج ١، ص ٤٢٦. التواتى، مأساة انهيار الوجود العربى، ص ٥٣٩.
(٢) ابن عذارى، البيان، ج ٢ ص ٦٠- ٦٣. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١١١.
(٣) التواتى، المرجع السابق، ص ٥٣٩ - ٥٤٦.
(٤) ابن عذارى، البيان، ج ٢٣، ص ٦٣ - ٦٤.
(٥) أبو صالح، الجوارى، ص ٦٢ - ٦٣.

ولكن من الملاحظ أن تدبير المؤامرات والقتل لم يكن قاصراً على نساء علية القوم فقط، بدليل ما ساقته المصادر التاريخية عن امرأة من نساء الوسط العام لم تفصح المصادر عن ذكر اسمها، بل اكتفت بالقول أن امرأة قامت بتدبير مؤامرة ضد القاضى إبراهيم بن العباس القرشى، وذلك فى عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى (٢٠٦ - ٢٣٨هـ/ ٨٢١ - ٨٥٢م)، فقد دُست(١) هذه المرأة إلى القاضى ووقفت فى طريقه ونادته «يا بن الخلائف»(٢)، فوصل الخبر إلى الأمير عبد الرحمن، وعلى الفور أصدر الأمير قراراً بعزله(٣). ويذكر أن الذى أوصل الخبر إلى الأمير عبد الرحمن هو موسى بن حدير الخازن الأكبر؛ وذلك بقوله: «تشرك فى سلطانك من يتسمى باسمك»(٤)؛ وذلك من أجل الانتقام من القاضى إبراهيم معتقداً أن القاضى المذكور لم ينصفه فى قضية رفعتها امرأة ضده قبل توليه الخزانة(٥).

كما كان للجوارى نصيب فى تنفيذ المؤامرات واغتيال بعض الشخصيات، بدليل ما ذكر عن أبناء إبراهيم بن حجاج حاكم إشبيلية (Sevilla)، وقرمونة (Carmona)، أيام الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢)(٦) بعد وفاته فقد ذكر أن ابنه عبد الرحمن تولى أمر إشبيلية واستمر فى ولايتها حتى سنة (٣٠١هـ/ ٩١٣م) كما استمر ابنه الآخر محمد حاكماً على قرمونة(٧)، وكان

---

(١) يقول أن موسى بن حدير دس امرأة من مواليه، فوقفت للقاضى على طريقه، فنادته يا بن الخلائف، فكان ذلك سبباً لعزل إبراهيم». ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص ٦١.

(٢) يبدو أن العادة الجارية عند أهل الأندلس أن يسلّم الإسبانى على الأموى بالسلام عليك «يا بن الخلائف، وذلك أنهم لا يرون اسم الخلافة إلاّ لمن ملك الحرمين» انظر: ابن الفقيه، أبو بكر أحمد ابن محمد الهمذانى، مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، س ١٣٠٢ هـ، ص ٨٣. وسيشار إليه فيما بعد، ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان.

(٣) الخشنى، قضاة قرطبة، ص ٥٣. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨٠ - ٨١. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص ٦٠ - ٦١.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٨١.

(٥) الخشنى، قضاة قرطبة، ص ٥٣. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص ٦٠ - ٦١.

(٦) ابن عذارى، البيان ج ٢، ص ١٢٦.

(٧) الخشنى، قضاة قرطبة، ص ٥٣. ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكى، ص ٦٠ - ٦١.

هذا الأخير يزيد على عبد الرحمن بأشياء من المحامد خُصَّ بها بعد وفاة أبيه، ونتيجة الخلاف الطبيعي بينهما، وحتى يتخلص محمد من أخيه دسّ عليه جارية سمته فتوفى إثر ذلك[1].

خامسًا: دور المرأة فى الأعمال العسكرية:

برزت المرأة الأندلسية فى الأعمال العسكرية، وهذا نستدل عليه من خلال ما ورد من إشارات تاريخية، تحدثت عن نساء اشتهرن بالشجاعة، فقد شاركن فى الحرب مشاركة فعلية، بدليل ما حدث أثناء غزوة «سرته» سنة (٣١٤ هـ/ ٩٢٦م) فى عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله، عندما هاجم بنو ذى النون «حصن سرته»، وتمكنوا من أسر صاحبه خلف بن عبدوس، ثم قتله داخل السجن، فبرزت فى هذه اللحظة أخته التى استطاعت بفضل شجاعتها أن تسيطر على الحصن، وتدافع عنه بشراسة ضد بنى ذى النون، ولم تكتفِ بكل ذلك؛ بل خاطبت الخليفة عبد الرحمن الثالث لمساعدتها، وعلى الفور أرسل لها جيشًا بقيادة عبد الحميد بن باسيل الذى تمكّن بدوره من الانتصار على بنى ذى النون، وتمكن من الاحتفاظ بحصن سرته، واستقامت على يديه هذه الناحية[2].

وتطالعنا فى هذا المجال أيضًا عجب زوجة لب بن موسى (lope)، وعجب هذه جارية كانت لديه أعتقها وتزوجها، ويبدو أنه كان على خلاف مع إخوته، بدليل أن والده موسى كان قد توفى، فجعل لفرتون (fortun) تطلية (Tudela)، وإسماعيل سرقسطة (Zaragaza)، ومطرف وشقة (Huesca)، فى الوقت الذى كان فيه لب رهينًا، وبعدما أُطلق سراحه أخذ يطالب إخوته بميراثه، وحتى يتخلصوا منه قاموا بمهاجمته فى حصن بقيرة (Vigiuera)، فتمكّن من الانتصار عليهم، ولم يكتفِ بهذا؛ بل استولى على حصون أخرى، مما أثارهم، فهاجموه ثانية، وتمكنوا من أسره، وجاءوا به إلى حصن أرنيط (Arnedo)، فى الوقت الذى كانت زوجته معتصمة فيه، فأشاروا عليها تسليم الحصن مقابل إطلاق سراح زوجها، فأبت فى البداية لهذا الطلب، وعندما أيقنت أنهم سيقتلونه وافقت على

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٢٩. ابن عذارى، البيان، ج ٢، ص ١٢٩.

(٢) ابن حيان، المقتبس، نشر شالميتا، ج ٥، ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

ذلك وأطلق سراح زوجها لب (Lope) الذى توجه إلى بقيرة (Vigueva)، وبقى هناك حتى توفى سنة (٢٦١هـ/ ٨٧٤م)[١].

وتطالعنا كذلك الكاتبة أميمة جارية الحسين بن حُىٍّ التى تولت حراسة الخليفة هشام المؤيد، الذى اختبأ فى دار سيدها الحسين[٢] على أثر الفتنة الكبرى التى حلَّت بالأندلس سنة (٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م) بقيادة محمد بن هشام بن عبد الجبار المعروف بالمهدى، الذى تولى الخلافة سرًا بعد أن خلع الخليفة هشام المؤيد[٣].

وخلاصة القول أن المرأة لم تكن ببعيدة عن بعض الأحداث العسكرية، فقد أبلت بلاءً حسنًا، ووصل بعضهن إلى حدّ الاعتصام فى أحد الحصون والقلاع والدفاع عنه بشراسة لعدم تمكين العدو من اجتياحه والسيطرة عليه.

(١) العذرى، ترصيع الأخبار، ص ٣١ - ٣٢.

(٢) ابن الأبار، التكملة، (مخ)، ص ١٥٠. الأنصارى، الذيل والتكملة، (س ٨ - ق ٢)، ص ٤٨٣.

(٣) رسائل ابن حزم الأندلسى، ج ٢، ص ١٩٦. ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٦٧٩. المراكشى، المعجب، ص ٢٢. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج ١، ص ٢٧١. ابن عذارى، البيان، ج ٣، ص٥٢ - ٥٣. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ١٠٩. ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص١٤٩-١٥٠. المقرى، نفح الطيب، ج ١، ص ٤٢٦. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص ٤٤٧. أبو صالح، الجوارى، ص ٦١. نعنعى، تاريخ الدولة الأموية، ص ٤٨٩. التوانى، مأساة انهيار الوجود العربى، ص ٥٣٨ - ٥٣٩. الصوفى، تاريخ العرب، ص ٩.

سادسًا الدور السياسي الذى لعبه جيل الأبناء (المولدين)

- الحركات الثورية:

كمـا مر بنا سابقًـا أطلق اسم المولدين[1] على جيل الأبناء الذين ولدوا من آباء مسلمين وأمـهات إسبـانيات، بحيث شكلوا مع مـرور الزمن الغالبـية العظمى من سكان الأندلس، فمنهم من احتـفظ بدينه، ومنهم من دخل فى الدين الجديد دون إكراه، ومع ذلك فقد تأدبوا جميعًا بآداب اللغة العربية وبعادات العرب، وأصبحوا يطمحـون إلى وضع اجتمـاعى وسياسى أفـضل، وذلك بمشاركـة العرب للحكم والسلطان، ثم تحول موقفهم بالتدريج إلى التمرد، ومحاولة الاستقلال عن سلطان بنى أميـة، وقد شجع على السـير بهذا الاتجـاه تمركز مجمـوعات كبـيرة منهم فى مناطق جغرافـية تساعد على الانفـصال والتمرد بشكل خاص فـى مناطق الثغور، وأول مـا ثار المولدون فى طليطلة (Toledo)، فى أواخـر عهـد الأميـر الحكم سنة (١٨١هـ/ ٧٩٧م)[2].

ولكنه يظهر أن الهـدوء على مدى قرن، ثم الثـورة بعد ذلك فيه مـا يدعو إلى التسـاؤل، فلماذا ظلوا هادئين هذه المدة؟ ولماذا ثاروا واسـتمـروا فى ثورتهم؟ وقد يكون تفسـير ذلك على الوجه التـالى معقـولاً، عندما نقول إن الجـيل الهادئ هو الجيل الأول؛ أى ذلك الجيل الذي كـان قوطياً من ناحية المجتـمع الذى كان يعيش فيه، والقـوانين الناظمة لحياته، ومسيـحياً من ناحية عقـيدته الدينية، ثم دخل فى الدين الإسلامى، وبذلك لم يغيـر دينه فقط، بل استبدل القـانون القوطى بالقانون الإسلامى، وهو أمر حقق له فوائد كثـيرة ومنافع جلّى، فمن الطبيعى والحالة هذه أن يكون هادئًا. أما بالنسـبة للأجيال التـالية، فقد أصبـحت هذه المنافع جزءًا من حياتها، وبرزت لها مساوئ جديدة أدت إلى ثورتها.

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٧-١٠٨. رسائل ابن حزم الأندلسى، ص٨٥-٨٦. ابن حيـان، المقتـبس، نشر أنطونيـة ص٥٥، ٧٤. ابن الأبار، الحلة السـيراء، ج١، ص١٤٨، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٥. ابن خلدون، العبر، ج٤ ص١٣٣, ١٣٥.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افـتتاح الأندلس، ص٦٨. ابن عذارى، البيـان، ج٢، ص٦٩. السامرائى، تاريخ العرب، ص١١٨.

أولهـا كـانت ثورة عبيـدة بن حـميد فى طليطلة عـلى الأمير الحكم عـام (١٨١هـ/٧٩٧م)، ولقد اسـتطاع الأمير الحكم أن يقضى على هذه الثـورة بوساطة مولد من مديـنة وشقة (Huesca) اسمه عـمروس بن يوسف[١] وقد نجح عمروس بإغراء بعض وجـهاء المدينة لاغتيـال عبيدة بن حُـميد، وبهذا أخمـدت الثورة إلى حين[٢]، وحـاول الحكم استـخدام أسلوب الدهاء والحـيلة مع أهل المدينة، فـعين عليهم عمروس بن يوسف حتـى يطمئنوا إليه؛ لأنه من بنى جلدتهم، وعندما أنس إليه أهل طليطلة (Toledo)، تظاهر أمامهم بأنه أكثر منهم حقداً على الأمير الحكم وعلى بنى أميـة عامة؛ فوثقـوا به ومنحوه طاعتهم وأطلعـوه على أسرارهم، ولكنه بتوجيه من الأمير الحكم كان يبيت لهم خطة دموية للقضاء على مقاومتهم المستمرة، فـأقنع زعـماءهم بضـرورة بناء قلعـة حـصـينة بظاهر طليطلة بحـجـة إيواء الجند والمماليك[٣]، بعيداً عنهم وعن نـسـائهم، فبنيت القلعة وأخذ التـراب اللازم لبنائها من المكان نفسه، فبقيت حفرة كبيرة فسيّر الحكم جيشًا بقيادة ابنه عبد الرحمن وهو حينئذ ابن أربع عشرة سنة[٤]، بحجة مقاتلة النصارى الـعدو، وبدأ الجيش بالتهيوء للرجوع لكن عـمروس خـرج إلى الأمير مع وجـهاء أهل المدينة ودعـوه للدخول، فوافق الأميـر عبد الرحمن بعـد تردد، ثم أقام عمروس وليمـة كبيرة للأمـير، وقد أوهمهم عـمروس أنهم إذا انتـهوا من طعـامهم خرجـوا من باب غيـر الباب الذى دخلوا منه، ولم يسـتطع أحد منهـم الخروج؛ لأن الجند الذين اصطفـوا على طرق الحفـرة قتلوا كل الداخلين دون أن يشعـر بهم الباقـون، وقد بلغ عدد القـتلى نحو خمسة الآف وثلاثمائة قتيل، وعلى أثر ذلك سميت بوقعة الحفرة[٥].

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٨. العذرى، ترصيع الأخبار، ص٢٧-٢٨. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٩٦. النويرى، تاريخ المغرب، ص٨٠. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٦.

(٢) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص٦٩. النويرى، تاريخ المغرب، ص٨٠.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٦٩. النويرى، تاريخ المغرب، ص٨٤.

(٤) ابن القـوطيـة، تاريخ افتـتـاح الأندلس، ص٦٩. النويرى، تاريخ المغـرب، ص٨٤، ٨٦. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٦-١٢٧.

(٥) ابن القـوطيـة، تاريخ افـتـتـاح الأنـدلس، ص٧٠. النويرى، تاريخ المغـرب، ص٨٤-٨٦. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٧.

ويبدو أن ماردة (Merida) قد سارت على خطى طليطلة، وأعلنت بدورها الثورة بزعامة عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي، والذى يرجع بنسبه إلى أسرة من المولدين أصلها من ولاية جليقية (Galicia) فى شمال البرتغال[١]، وكان شعار دعوته: عصبية المولدين على العرب[٢]، ثار لأول مرة فى سنة (٢٥٤هـ/ ٨٦٨م)، وتم إخضاع ماردة (Merdia)، وقبض الأمير محمد على عبد الرحمن الجليقى ونقله مع باقى الزعماء الثائرين إلى قرطبة (Cordoba)، ولم تكن ثورته هذه عنيقة كالثانية فى سنة (٢٦١هـ/ ٨٧٤م)[٣] حيث اتخذ قلعة الحنش (Alange) جنوب ماردة (Merdia)، مركزًا له على أثر مشادة وقعت بينه وبين القائد هاشم بن عبد العزيز كبير الوزراء الذى أهانه وصفعه، فغادر قرطبة خفية مع جمع من أنصاره، واستولى على قلعة الحنش فى جنوب ماردة (Merdia)، وتحصن بها، واستولى زميله فى الخروج والعصيان ابن مكحول على قلعة جلمانية (Jurumena)[٤] واجتمع إليهما جمع كبير من المارقين والمتمردين، واشتد عيثهما فى سائر الأنحاء، وعندئذ سار الأمير لقتال الثائرين فى قوة كبيرة، فلما علما بمقدمه استغاثا بزميلهما القديم سعدون بن عامر المعروف بالسرنباقى[٥] من الثوار المولدين. يذكر أن أتباعه كانوا يعلون من شأنه بقولهم إنه: «السرور الباقى»[٦]، كان يعيش فى كنف ألفونسو الثالث (Alfonso-III) ملك ليون (Leon)[٧]، فلما اشتد عيثه جهّز الأمير محمد حملة بقيادة ولده المنذر، وجعل قيادتها لوزيره الأثير

---

(١) عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٣٠٤.

(٢) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص١٥.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٧. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢١. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣٣.

(٤) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص١٥، ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٠٠. ابن خلدون، العبر، ج٣، ص١٣٣. عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٣٠٤.

(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٧. ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص١٥. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢١. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣٣.

(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٧. الصوفى، تاريخ العرب، ص٢٥٣.

(٧) بيضون، الدولة العربية، ص٢٧٨. عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٣٠٧.

هاشم بن عبد العزيز، وسارت هذه الحملة صوب بطليوس (Badajoz)، ودمر حصونها، كما أرغم ابن مروان على مغادرتها إلى مرتفعات أشبرغزة (Esparragosa)[1]، وفى سنة (٢٦٢هـ/ ٨٨٥م) سارت حملة أخرى بقيادة عبد الله ابن الأمير محمد (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) والوزير هاشم إلى أشبرغزة لقتال ابن مروان، فلما أعيا الأمير أمره انتهى أخيراً إلى قبول شروطه فى الاستقلال بحكم بطليوس (Badajoz)[2].

عبيد الله بن أمية بن الشالية: استولى على جبل شنتمان (Santman) وما يليه فى كورة جيان (Jaen)، وامتد ملكه إلى حصن قسطلونة (Castellon) واستطاع أن يصطنع شجعان الرجال والقواد، وحاول الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م)، أن يقضى على حركته، فأرسل إليه جيشًا بقيادة الوزير عبد الملك بن عبد الله بن أمية[3] فأظهر ابن الشالية الإذعان والخضوع بعد أن هزمه جيش الأمير، فلما أرخى الأمير قبضته عاد إلى غيه، فنكث بعهده للأمير، واتصل بابن حفصون وحالفه، وزوّج ابنته من جعفر بن عمر بن حفصون، ونقلها إلى ببشتر (Babostro) وقد لازمه الشاعر عبيديس بن محمود متصرفًا فى خدمته، مكثرًا من مديحه واصفًا مغازيه، وبقى عبيد الله بن أمية مستقلاً فى دويلته حتى أيام الأمير عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م)، فاستنزله وحمله على الإقامة بقرطبة (Cordoba)[4].

عبد الملك بن أبى الجواد: استقل بمدينة باجة (Beja) وتحصن بحصن مارتلة (Mertola) بالبرتغال، وكان قائمًا بدعوة المولدين متحالفًا مع ابن مروان الجليقى صاحب بطليوس (Badajoz)، الذى استقل بها سنة (٢٧٢هـ/ ٨٨٥م)، وابن بكر

---

(١) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٠٥. عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص٣٠٧. الصوفى، تاريخ العرب، ص٢٧٨.

(٢) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٥٠.

(٣) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص٩-١٠. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٣٥. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢٥٣.

(٤) المصدر نفسه، ص١٠، ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٣٥. المرجع نفسه، ص٢٥٣.

صاحب أكشونية (Ocsonoba) فكانوا إلبًا على من خالفهم، ويدًا على من خرج عنهم[1].

بكر بن يحيى بن بكر: استقل بمدينة شنتمرية (Santamaria) من كورة أكشونية (Ocsonoba)، وهو الذى حصّن هذه المدينة، واتخذ لها أبوابًا من الحديد ملبسة، وكان يتشبه في دولته بإبراهيم بن حجاج، فكان له من الوزراء والكتّاب، يجتذب إليه النزال فيستضيفهم في مدينته حتى قيل إن السالك بناحيته كالسالك بين أهله وأقاربه، وكان جده زدلف (Zodulfo) من العجم مولى لبكر بن نجاد الأورى فسمى ابنه باسم مولاه بكر، وتمكن ابن ابنه يحيى بن بكر المذكور من الاستقلال بمدينة شنتمرية (Santamaria)، فى أواخر عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م)، ولما استفحل أمره، وغلب على جميع كورة أكشونية (Ocsonoba)، اضطر الأمير إلى الاعتراف بالأمر الواقع، وولاه على بلده، فاستوطن مدينة شلب (Silvaves) وعمرها[2].

سعيد بن وليد بن مستنه: يتلو ابن حفصون فى التمرد وشدة الشكيمة، كان صاحبًا له فى التعصب للمولدين والعجم، ولقد ثار ابن مستنه فى كورة باغة (Priego)، واستولى على حصونها، وأهمها حصن لقوبش (Locubin) وأقوط (Luque)، ونجح ابن مستنه فى هزيمة القائد إبراهيم بن خمير الذى بعثه الأمير عبد الله لإخماد حركته، ودامت دولته حتى نهاية عهد الأمير عبد الله بن محمد سنة (٣٠٠هـ/ ٩١٢م)[3].

بنو هابل: ثار أولهم منذر بن حريز بن هابل ببعض حصون جيان (Jaen) وبنى لنفسه حصنى مرغيطة (Margarita) وشنت اشتيبن (Santesteban)، وثار إخوته أبو كرامة هابل بن حريز، وعامر بن حريز بحصن شنت اشتيبن (Santesteban)، وعمر بن حريز، وقد استطاع عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله استنزالهم

(١) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص١٥. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٣٥. المرجع نفسه، ص٢٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥-١٦. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٣٧. المرجع نفسه، ص٢٥٥.

(٣) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص٢٧. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٣٦. سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢٥٤.

جميعًا فخدموا فى جيشه، فأقام عبد الرحمن الثالث كبيرهم هابل بن حريز، على حصنه مرغيطة (Margarita)، واستشهد عامر فى موقعة شنت مانكش (Santmancas) المعروفة بالخندق، وقتل عمر فى غزوة الأمير إلى بطليوس (Badajoz) سنة (٣١٧هـ/ ٩٢٩م)[١].

خير بن شاكر: قام بدعوة المولدين والعجم على العرب فى حصن شوذر (Jobar) من كورة جيان (Jaen)، وقد ظاهر خير عمر بن حفصون سنة (٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، وقد هاجم خير عددًا كبيرًا من حصون العرب بكورة ألبيرة (Olvera) فقتل خلقًا كثيرين، وقد تمكن الأمير عبد الله من قتله بإيعاز من عمر بن حفصون بعد أن أوقع بينهما[٢].

سعيد بن هذيل: ثار بحصن المتلون (Monteleon) من جيان (Jaen) فبنى قصبة الحصن وحصّنها، فبعث إليه الأمير عبد الله بن محمد القائد عبد الملك بن عبد الله ابن أمية، فأذعن بالطاعة ثم نكث، وعاقد عمر بن حفصون، وقد استنزله عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله، وأسكنه قرطبة (Cordoba)، وأقام على المتلون عاملاً من قبله هو أحمد بن عبد الوهاب، فثار عليه أهل المتلون، وطلبوا أميرهم سعيد بن هذيل، فأقر الناصر على ولاية الحصن عبد الله بن سعيد، فسكن الناس إليه[٣].

محمد بن لب بن موسى بن فرتون القسوى: ثار بالثغر الأعلى، وحاصر مدينة تطيلة (Tudela)، وتمكن من أسر محمد بن طملس قائد الأمير عبد الله، فقتله على باب تطيلة، وعلى الرغم من خروجه على الحكومة المركزية بقرطبة (Cordoba)، فقد كان مجاهداً ضد النصارى، فأغار على ألبة (Alba) وبنبلونة (Pamplona)، وقد ولى ابنه لب بن محمد على طليطلة(Toledo)، وقد قتل محمد بن لب وهو يحاصر محمد بن عبد الرحمن التجيبى بسرقسطة

---

(١) المصدر نفسه ، ص٢٧-٢٩. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٣٦. المرجع نفسه، ص٢٥٤.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٤. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٣٦. المرجع نفسه، ص٢٥٤.
(٣) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص٢٥-٢٦. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٤٧. المرجع نفسه، ص٢٥٤-٢٥٥.

(Zaragoza)، وأنفذ محمد بن عبد الرحمن المذكور رأسه إلى الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) بقرطبة، وتولى مكان محمد بن لب ابنه لب بن محمد، فأعلن طاعته للأمير، فولاه الأمير على تطيلة (Tudela) وطرسونة (Tarrazona) وأعمالها، واستشهد وهو يقاتل النصارى سنة (٢٩٤هـ/ ٩٠٦م)(١).

عمر بن حفصون: لم تبلغ ثورة في بلاد الأندلس ما بلغته ثورة عمر بن حفصون إذ تمثل هذه الثورة ظاهرة واضحة في تاريخ الأندلس، وهي ظاهرة تفتيت وحدة الكيان الأموي، وقد استغرقت ثورته هو وأبناؤه قرابة اثنتين وخمسين سنة(٢)، وعمر بن حفصون من المولدين، وهو يمثل الجيل الرابع في أسرته المولدة المسلمة فهو «عمر بن حفص المعروف بحفصون بن عمر بن جعفر بن شتيم بن ذبيان بن فرغلوش بن أدفونش»(٣).

وقد نص ابن عذاري(٤) على أن جعفر بن شتيم الجد الثاني لعمر بن حفصون هو الذي اعتنق الإسلام في هذه الأسرة. وكان عمر على قسط كبير من الطموح دون أن يستطيع أبوه حفص أو حفصون الذي كان فلاحًا بسيطًا أن يرضي طموحه من الناحيتين المادية أو المعنوية، حدث أن تشاجر في مطلع حياته مع شخص من جيرانه فقتله، مما دعا أباه إلى أن يتبرأ منه، ففر عمر إلى مكان آخر ينزوي فيه خوفًا من العقوبة، ثم تعرَّف على بعض الشباب الطائشين الذين ساعدوه في بعض أعمال السطو، وانتهى به الأمر إلى عامل رية الذي قبض عليه بسبب تلك الأعمال دون أن يعلم شيئًا عن الجريمة السابقة التي كان قد ارتكبها، فاكتفى بضربه بالسياط(٥).

عندها قرر ابن حفصون التوجه إلى شمال إفريقية، وهناك استقر لبعض الزمن في مدينة تاهرت، ووجد عملاً عند رجل من الخياطين كان أصله أندلسيًا من مدينة رية نفسها، ويروي لنا ابن القوطية في تاريخه(٦)، أن شيخًا مرّ بذلك الخياط ومعه قطعة قماش يريد أن يخيطها ثوبًا لنفسه فشاهد ابنَ حفصون وعرف أنه سيكون له

(١) المصدر نفسه، ص١٦-١٧. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص٢٥٥-٢٥٦.
(٢) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٤٨.
(٣) ابن عذاري، البيان، (برواية ابن حيان) ج٢، ص١٠٦. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣٣-١٣٤.
(٤) ابن عذاري، البيان، ج٢، ص١٠٦.
(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٩.
(٦) المصدر نفسه، ص١٠٩-١١٠.

شأن، وقال له: «تحارب الفقر بالإبرة، ارجع إلى بلدك فأنت صاحب بنى أمية وسيلقون منك غيّا، وستملك ملكًا عظيمًا. .» فقام من فوره وعاد إلى الأندلس، لكن ليس من المقبول بطبيعة الحال افتراض ذلك الشيخ عالمًا بالغيب، ولكن هذه الأمور قد يكون لها فى بعض الأحيان تأثير نفسى، يجعل شاباً طموحًا كعمر بن حفصون يقرر السير فى طريق معينة، ولما كان أبوه يعامله بشدّة فقد فضّل بعد عودته إلى الأندلس ألاّ يتصل به، بل بعم له كان يعيش فى منطقة مجاورة، وقد استعان بعمه لجمع أربعين رجلاً يعلن على رأسهم الثورة فى جبل ببشتر، وكان ذلك فى عام (٢٦٧هـ/ ٨٠م)(١) وهو العام الذى تمكّن فيه من السيطرة على ذلك الجبل، وذاع صيته فى تلك الأنحاء، حتى أن ثائرين آخرين قاما فى منطقتين يعلنان الثورة على حكومة قرطبة (Cordoba)، تأييدًا لابن حفصون، أحدهما يدعى لب بن منذريل (Lope) والآخر ابن أبى الشعراء (٢)، وقد حاول عامل ريّة (Reiyo) عامر بن عامر أن يخمد ثورة ابن حفصون، ولكن قواته هزمت فى المعركة واستولى ابن حفصون على مضربه، فكان أول رواق ضربه لنفسه، فرفع ذلك من شأنه وأتاه الكثيرون من أنصار الشرّ والفساد فاجتمعوا إليه وأيدوه(٣).

وفى الوقت ذاته عمد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) إلى عزل عامر بن عامر عن كورة ريّة (Reiyo)، على أثر هزيمته، وعيّن مكانه عبد العزيز بن عبّاس، فهادنه ابن حفصون وسكنت الحال بينهما(٤)، إلا أن ابن حفصون عاد إلى التحرك والثورة عندما عزل الأمير محمد عبد العزيز، فرأى الأمير عند ذلك أن الأمر قد استفحل، فقرّر فى عام (٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) أن يسيّر إليه جيشًا بقيادة قائده هاشم بن عبد العزيز، الذى سار لحصار ابن حفصون فى ببشتر(Babastro) ونجح فى جعله يطلب الصلح والأمان، فأعطى له ذلك الصلح، وخصص له داراً للسكن وأجرى عليه الأرزاق(٥) ثم عاد إلى التحرك والثورة من

---

(١) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص١٤٨. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٠٤. ابن خلدون العبر، ج٤، ص١٣٢.
(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١١٠.
(٣) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٠٤. النويرى، تاريخ المغرب، ص١٠٩.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٤.
(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١١٢. ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٠٥. النويرى، تاريخ المغرب، ص١١٠. ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣٢.

جديد، وفى هذه المرة انتدب لقتاله المنذر بن الأمير محمد، فتوجه إليه فى عام (٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)، وفرض عليه حصارًا شديدًا دام مدة من الزمن، وكان يمكن أن يثمر لولا وفاة والده الأمير محمد، عندها عاد إلى قرطبة، وبذلك توفى أول أمير من الأمراء الذين عاصروا ثورة ابن حفصون دون أن يستطيعوا إخمادها نهائيًا[1]، وبقى ابن حفصون حرًا طليقًا، وما أن سمع بوفاة الأمير محمد وانصراف جيوش المنذر بعيدة عنه حتى نهض من فوره فراسل الحصون التى كانت تقع بين منطقته والساحل، ودعاها إلى طاعته فاستجابت إليه، ثم سار بعد ذلك نحو باغة (Priego)، وجبل شيبة، وكان يحاول أن يخدع الناس بأهدافه، وأسباب ثورته، فيقول لهم إنه قام ليحررهم من عبوديتهم، ويأخذ بثأرهم طالما عنف عليكم السلطان، وانتزع أموالكم، وحمّلكم فوق طاقتكم، وأذلتكم العرب واستعبدتكم، وإنما أريد أن أقوم بثأركم، وأخرجكم من عبوديتكم»[2].

ويبدو أن الكثيرين استجابوا له وتبعوه، حتى قويت شوكته، وعمت سطوته، فوصل بغاراته إلى قبرة (Cabra)، وإلى قرية الجالية، وأغار على القبذيق (Alcoudete)، من أعمال ألبيرة (Olvera)، وعلى أحواز جيان (Jean)، وأسر عبد الله بن سماعة عامل باغة (Preigo)، فاتصل الأمر بالمنذر فأرسل قائده أصبغ بن فطيس فى خيل كثيفة إلى حصن أشر (Iznajar) من أعمال ريّة (Reiyo)، فحاصرهم حتى افتتحه، كذلك أرسل الأمير المنذر قائديه عبد الله بن محمد والفتى الصقلبى «أيدون» فهاجموا أنصار ابن حفصون المسلحين، وقاتلوهم وقضوا على عدد كبير منهم[3]، حتى إذا كان العام التالى (٢٧٤هـ/ ٨٨٧م) خرج الأمير المنذر بجيوشه نحو عمر بن حفصون فاتح الحصون التى كانت بيده فى منطقة ريّة (Reiyo)، وفى منطقة قبرة (Cabra)، وتوجه إلى مدينته الرئيسية بيشتر (Babastro)، وذلك فى العام الأخير من إمارته (٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، عندها خرج رسل أهل المدينة، وقدّموا له الطاعة، وهنا خطرت لابن حفصون فكرة، وهى طلب

(١) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٠٦.
(٢) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١١٤.
(٣) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١١٥.

الطاعة من الأمير المنذر على أن يجعله من خاصة قادته ويسكنه قرطبة مع جميع أفراد عائلته، وأن يجرى عليه الأرزاق فقبل المنذر تلك الشروط وأعطاه الأمان[1].

أما عن علاقة الأمير الجديد عبد الله بالثائر، فإنه ما إن بويع فى قرطبة حتى طلب إلى أحد قادته إبراهيم بن خمير أن يتوجه إلى ابن حفصون، وأن يدعوه إلى نبذ العصيان والدخول فى طاعة الأمير ومبايعته، وقد استقبل ابن حفصون ممثلى الأمير أحسن استقبال، ووافق على إعطاء بيعته، بل أنه عرض ضمانًا لإخلاصه؛ وذلك بتقديم ابنه حفص وجماعة من أصحابه كرهينة، فأخذت بيعته، وعاد الوفد الرسمى مودعًا بالكرامة[2]، إلا أنه مدّ يده كعادته، فاستحوذ على أموال أهل الكور، عندها قرر الأمير عبد الله سنة (٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) أن يسير لعقابه فى حصن ببشتر، لكنه عاد وطلب الأمان بعد أن اعترف بذنبه، فسرّ بذلك الأمير، وأعطاه الأمان الذى لم يدم أكثر مما دام فى المرة السابقة[3].

ويطول حديث المناورات بين الجانبين بحيث لا نرى داعيًا لسرد تلك السلسلة المتبقية من المعارك والغزوات بين الطرفين إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الهزيمة كانت وباستمرار من نصيب ابن حفصون[4]، ولا ننسى أيضًا فى النهاية أن نذكر أن ابن حفصون خلال ذلك كله كان يفتش وباستمرار عن حلفاء لمساعدته، فقد عقد حلفًا مع محمد بن لب القسوى صاحب سرقسطة فى (٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) ولكنه لم يتم[5] كما استعان ببعض حكام أفريقيا[6] لكنهم كفّوا عنه عند إعلانه النصرانية[7].

واعتبره الجميع خارجًا عن الدين يحل قتاله، وبقيت شوكة عمر بن حفصون تضعف تدريجيًا خلال حكم الأمير عبد الله حتى توفى عام (٣٠٠هـ/ ٩١٢م)[8]

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص١١٧-١١٨. النويرى، تاريخ المغرب، ص١١١-١١٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٢١-١٢٢.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٢.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٢-١٣٣.
(٥) ابن حيان، المقتبس، نشر أنطونية، ص١٢٧.
(٦) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٢.
(٧) ابن عذارى، البيان، ج٢، ص١٣٩.
(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص١٥١. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٢.

وعندما اعتلى عرش الدولة الأموية الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله تمكن من القضاء عليه نهائيًا[1]، وكان ابن حفصون قد توفى فى سنة (٣٠٦هـ/ ٩١٨م)[2] ولكن أولاده استمروا بالثورة التى انتهت كليًا فى سنة (٣١٥هـ/ ٩٢٧م)، وبهذا تكون ثورته قد عاصرت أربعة من حكام الأندلس، هم محمد وابناه المنذر وعبد الله، والناصر[3]. والملاحظة الجديرة بالذكر أن حركات الاستقلال المحلى لم تقتصر على المولدين أمثال ابن مروان الجليقى، وابن حفصون، وابن قسى، وحلفائهم، بل شملت أيضًا بعض الأسر العربية والبربرية، ويشير ابن الخطيب[4] إلى ظاهرة تعدد الثوار فى العصر الأموى ومدى خطورتها بقوله: «والثوار فى دولة بنى أمية متعددون شقيت بهم الملوك، وتنغصت بهم الخلفاء، واضطروا إلى مسالمتهم تارة، ومحاربتهم أخرى، وجعلوا رسم الوفاء لمن عاهدوه منهم سياسة لولاها لجل الخطب، ولم يخلص الملك». يبدو أن حركات التمرد التى قامت بها الأسر المولدة فى مناطق الثغور ما هى إلا نتيجة للأسباب التالية:

أولاً: الفترة التى ظهرت فيها حركات التمرد فترة مضطربة، ضعفت فيها سلطة الإمارة الأموية فى قرطبة، وتراخت قبضتها على العناصر المتمردة التى حاولت الاستقلال بالجهات التى يعيشون فيها، وساعدهم على ذلك طبيعتها الجبلية[5].

ثانيًا: بُعد الثغور التى يقطنها المولدون عن مقر الأمير، حيث من الطبيعى دائمًا أن يكون مقر الجيوش فى العاصمة قريبًا من الأمير، وبهذا يصبح المتمردون بعيدين من خطر الجيوش[6].

ثالثًا: قُرْب هذه الثغور من أراضى أعداء الدولة، وهذا ما يسهل على المتمردين سرعة الهرب فى حالة الهزيمة أو وصول الجيش بسرعة فى حالات التضييق عليهم[7].

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢ .

(٣) المصدر نفسه، ص٣١-٣٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٥- ٣٦.

(٥) الحريرى، حركات المولدين، ص٢٥. بدر، دراسات فى التاريخ الأندلسى، ص٢٤٣.

(٦) بدر، دراسات فى تاريخ الأندلسى، ص١٣١.

(٧) الحجى، أندلسيات، (المجموعة الأولى)، ص٧٥.

رابعًا: أتيح لهؤلاء المتمردين فرص الثراء، بحيث أصبحوا فى عداد الطبقة العليا من المجتمع الأندلسى فى العصر الأموى، نتيجة اشتغالهم بالتجارة والزراعة وامتلاكهم الضياع الواسعة، وكانوا قادرين على تموين الجيوش أيام حشدها بالإضافة إلى القوة البشرية من العبيد الفلاحين[١].

خامسًا: شعورهم بأنهم أصحاب البلاد الأصليون، وأنهم اعتنقوا الإسلام للإعلاء من شأنهم، ومع ذلك فقد كانت تجمعات من جند العرب الذين حملوا الإسلام إليهم يعاملونهم معاملة سيئة[٢].

(١) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص١١٧.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٤٦. بدر، دراسات فى تاريخ الأندلس، ص٢٣٤.

الخاتمة

استهدفت هذه الدراسة أثر الزواج المختلط ما بين العرب والإسبان من الفتح الإسلامى، وحتى سقوط الخلافة، وقد تتبع الباحث تحديد أثر المرأة الأندلسية فى الحياة العامة؛ بغية الوقوف على الأدوار والمجالات التى ساهمت فيها المرأة إبان هذه الفترة، وقد خلصت الدراسة إلى ما يلى:

١- لم يكن الدور الذى لعبته المرأة الأندلسية فى الحياة العامة فى الأندلس من الضآلة بحيث يقف إزاءه المهتمون بالدراسات التاريخية الأندلسية موقف اللامبالاة، أو حتى ينظر إليه نظرة غير لائقة، وقد ظهر من خلال الدراسة أهمية هذا الدور الذى لم يتحدد بناحية محددة من نواحى الحياة؛ بل كان يتميز بصفة الشمولية، وغطى جميع نواحى الحياة العامة فى الأندلس على وجه العموم.

٢- تدنت مكانة المرأة الأندلسية فى شبه الجزيرة الإيبيرية قبل مجىء الإسلام، وما إن توطدت أقدام أفراد الفتح فى الأندلس حتى ارتفعت مكانة المرأة الأندلسية وعلا شأنها، ولمس الناس من غير المسلمين حسن معاملة المسلمين لهم؛ فأثار ذلك دهشتهم وقادهم إلى تقبل الإسلام وحبّ أهله، بفضل ما حمله الفاتحون من مبادئ وأخلاق ومُثُل رفيعة كان من شأنها رفع منزلة المرأة التى حُرمت منها قبل الفتح.

٣- اهتم الأندلسيون بالزواج ومستلزماته؛ باعتباره أحد ملامح الحياة الاجتماعية إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الجيش الفاتح دخل الأندلس بدون نساء، عندها اضطرتهم الحاجة إلى أن يتزوجوا من الإسبانيات، فقد ظهر أن فرائض عقد النكاح: الولى، والصداق، وشاهدان، ومن شرطه الخطبة، وكان الصداق من الأمور المهمة التى يتم مناقشتها قبل الزواج، وغالبًا ما يؤخذ موافقة الفتاة على الزواج، وفى حالة ممانعة أهل الفتاة من زواجها من رجل اختارته، ورفض ولى أمرها فى أن يصبح وكيلها عند عقد النكاح فلها الحق أن تحضر أمام القاضى، وتقوم بتوكيل غيره للقيام بعقد النكاح، وكشفت عن عملية اختيار الشاب لعروسه

بأنها عملية سهلة، تتم بواسطة الأهل والأصدقاء، وغالبًا ما تقوم بها نساء مسنات على سبيل حب الوصل بين العاشقين، وإذا ما تمت الخطبة بين الشاب والفتاة كانت تمر بسعادة، لكن هذا لا يعنى عدم وقوع مشاكل بين أهل الخطيبين؛ لهذا كانت الفتاة تضع شروطًا يجب على الخطيب مراعاتها والعمل بها تُدَوَّن فى عقد النكاح، إذ تضمن لها حياة زوجية مستقرة وهادئة؛ فضلاً عن الصداق (المهر) الذى يتم تحديده بالاتفاق مع أهل العروسين.

٤- يُعد جهاز العروس عند أهل الأندلس من الأمور المهمة التى تُناقش بين الأسرتين، وغالبًا ما كانت مكونات الجهاز مدعاة للتفاخر بين أفراد الحى والعائلة؛ وذلك ليظهر والد العروس أمام أهل الزوج أنه جهز ابنته بجهاز كامل، وأنه ينتمى لطبقة اجتماعية ميسورة، وقد عرف جهاز العروس عند أهل الأندلس (شورة)، وكانت مدن قرطبة والمرية ومرسية من أهم المدن التى تجهز منها العرائس شورتها، والحال نفسه من الاهتمام بالنسبة لحفلة الزفاف.

٥- كان الحجاب مفروضًا على النساء فى الأندلس، وانعكس ذلك على المهن التى زاولتها، إذ يمكن القول بأن حجاب نساء الأندلس أشد وأعنف من حجاب المرأة فى المشرق.

٦- شاع الزواج المختلط ما بين الجانبين وعلى كافة المستويات؛ حكامًا وعامة، والسبب فى ذلك يعود إلى دخول أفراد الجيش الفاتح الجزيرة الإيبيرية دون نساء؛ مما دفعتهم الحاجة أن يتخذوا من النساء وبنات أهل البلاد زوجات وأمهات أولادهم، وذلك لقلة نفقات الزواج وإباحة الإسلام اتخاذهن زوجات، فضلاً عن جمالهن وعلمهن، ثم تعددت أسباب المصاهرات بين الطرفين إلى أبعد من ذلك، وجاء بعضها لأهداف سياسية تضمنت ثلاثة أبعاد؛ منها كسب طاعة العدو، أو تقوية نفوذ أو مِنْ أجل زيادة ولاء وكسب رجال الدولة.

٧- حظيت المرأة فى المجتمع الأندلسى بمكانة متميزة نظرًا لتمتعها بقسط كبير من الحرية، دلت على علو شأنها، فأتيح لها أن تكوِّن شخصيتها الأندلسية المستقلة بما تمتعت به من حرية التعبير، وفرضت احترامها فى الوسط الذى تعيش فيه،

وكان لهـا رأى مسمـوع تستطيع به وضع شروط علـى الرجل بما يضمن لها حـياة زوجية مستـقرة، كما نالت اهتمام الحكام، وذلك بالمحافظة عليهـا وعلى حقوقها وضمن لها حرية التقاضى فى مجلس القـاضى، حتى لو كان خصمها من المقربين لدى الأمير، فحقـوقها محفوظة حتى فى دار القضاء يجب على القـاضى مراعتها والعمل بها.

٨- حظيت المرأة الأندلسية داخل الأسرة بعظيم الأهمية؛ لأن دورها كان يتمثل فى إنجاب الأطفال وتربيتهم، بالإضافة إلى مساعدة الرجل فى الحصول على قوت العائلة اليومى عن طريق ممارسة بعض المهن داخل المنزل، فضـلاً عن قيامها برعاية أطفالها الصغـار فى حالة افتراق زوجها عنهـا، سواء كان بالموت أو بالطلاق، ولم تكن رعاية الأم للأطفال داخل المنزل الذى تعيش فيـه؛ بل نرى رعايتها لهم تعدت ذلك.

٩- اهتمت المرأة الأندلسية بملابسها وزينتها؛ ويعود ذلك إلى الرخاء الاقتصادى الذى تميزت به دولة بنى أمـية، والدليل على ذلك انتشار دور الطرز فى مـختلف أنحـاء الأندلس، حيث نالت اهتـمام الحكام، إذ كـانت تُنسج فـيه ثيـاب الأمراء والخلفاء، واشـتهرت مـدن المرية وقرطبة بصناعـة جيد الثياب. أما عن الألبـسة الشائعة عند نساء أهل الأندلس فكان المقنع العراقى، كذلك كان البرنس الذى شاع لبسـه بين الجـوارى، ولربما كـانت هذه الكسوة الجـديدة قـد دخلت الأندلس من المشرق، وظهـر أنهم خالفوا أهل المشـرق فى أشياء كثـيرة، وخصـوصًا فى لبس البياض فى الحـزن على موتاهم، والمشى فى الطرقات حاسـرين، وتبين أن ملابس أهل الذمة سـواء من نصارى أو من يهود كانت تـختلف عن زى المسلمين؛ لأنهم كانوا يلبسـونُ زناراً ممـيزاً بملابسهم، كذلك كان الحال بالنسبـة إلى حُلى المرأة، فقد بلغت من التفنن فى الزينة، والتماجن فى أشكال الحُلى إلى غاية بعيدة، وحليهم: القلائد، والدمالج، والخلاخيل، والشنوف التى هى من الذهب الخالص.

١٠- مـارست المرأة فى الأندلـس العـديد من المهن التى تنـاسب مـقـدرتهـا ومستواها الاجتماعى، فكانت الطبيبة، والحجّامة، والسّراقة، والدلالة، والماشطة، والنائحة، والمغنيـة، والكاهنة، وضاربة الدف الكبر، وبرزت فى الحيـاة العامة من خلال مسـاهمتها فى الكثيـر من الأعمال الدينية، كالإنفـاق على المساجد والعناية

بالمرضى والضعفاء؛ بدليل ما ورد من شواهد عمرانية تشير إلى مساجد ومقابر تحمل أسماء نساء.

١١- تبين أن الوسط النسوى بالأندلس كان ينقسم من حيث الترتيب الاجتماعى إلى: نساء القصر المترفات، ونساء العامة، والجوارى. أما بالنسبة لنساء علية القوم فقد كنَّ يعشن حياة مترفة وراء حجاب، ولم يكن مضطرات إلى القيام بأى عمل لا فى داخل البيت ولا فى خارجه؛ لأنه كان يقوم على خدمتهن الرواشد والوصائف والقوّامات وجميعهن من مسئولية كبيرة الخدم التى تعرف بالقهرمانة، وقد عُرفتِ النسوة فى هذا الوسط بكرائم الخليفة وأمهات أولاده، أو السيدة الكبرى، وكانت تعيش فى بهو يزهو بالعز والفخامة، يضم فى داخله مقاصير المقائل، وحجرات الكرائم تزخر ببنات الأمير، كما أخبر عن اتخاذ بنات الأمراء موالى، وكان الزوج فى هذا الوسط يخضع لزوجته التى وُصفَت بكثرة الدلال عليه،وظهر أن عادة التهادى كانت شائعة من قبل الأمراء لحظايا نسائهم، فى حين أن التعرض لبنات الأمراء والتغزل بهن من الأمور الجسيمة.

١٢- تبين أن نساء العامة كانت تخرج إلى باب العطارين، وهو المكان الذى تؤمه النساء لغرض شراء حاجياتهن، فضلاً عن حضورهن الولائم والحفلات والمآتم، ووصفت المرأة فى هذا الوسط بأنها شديدة الوفاء لزوجها حتى بعد وفاته، أما بالنسبة للجوارى فقد اتضح أن جميع حكام بنى أمية من أم ولد، فقد كان يطلق عليهن تسميات عديدة، عشن فى المجتمع الأندلسى على نوعين، أحدهما يشمل جوارى الخدمة، وهؤلاء جاوزن سن الشباب، والآخر يُطلق عليهن جوارى اللذة؛ اتخذن للإنجاب، واجبهن جلب المتعة والسرور إلى نفوس أسيادهن.

وظهر أن مصادر الحصول على الجوارى متعددة وكثيرة، فبعضهن جُلبن من المشرق، والبعض الآخر من السبى، أو الرقيق الذى يأتى عن طريق الشراء والبيع إذا أخذنا بعين الاعتبار أن عادة الشراء والبيع فى الأندلس لا تتم إلا بحضور شهود يشهدون على شراء الجارية، والحال نفسه بالنسبة لعتق الجارية، كما تبين أن عادة تعليم الجوارى فنون الأدب كانت شائعة عند أهل الأندلس؛ وذلك ليتم بيعهن بأغلى الأثمان، وأطلق عليهن تسميات عديدة منها السريّات والقينات أو القيان، والوصائف، ويبدو أن كثرة الجوارى ترك بعض السلبيات على المجتمع الأندلسى،

وأول هذه السلبيات ما عانى منه الأبناء نتيجة معاشرتهم الجوارى، فخرج من بينهم جيل اتصف بالخُلق السيء وكثرة الظن بالنساء.

١٣- ومن الآثار التى تركها الزواج المختلط على الحياة الاجتماعية فى الأندلس؛ ظهور جيل جديد من الأبناء عُرف فى المصادر (المولدين)، وهؤلاء هم محصلة الزواج من أب مسلم وأم إسبانية، ومع طول الوقت لم يعد يُرى فى هجنة الأم فى الأندلس أية سبة، بحيث تزايد عدد أبناء هذا الجيل (المولدين) حتى صاروا يكوِّنون أغلبية سكان الأندلس؛ بدليل ما بين أيدينا من أسماء تعود بجذورها إلى أصول إسبانية، فى حين عرف عن بعض المولدين المشهورين بالعلم والفضل والتقوى من يرجع بنسبه إلى أصول إسبانية، ومن مظاهر التأثير الإسبانى على الأسماء العربية فى الأندلس، إضافة إلى المقطع الأخير الذى يتكون من الواو والنون، واستنتجت الدراسة أن مصطلح (مولد) غير دقيق؛ ذلك لأن الإنصاف يقتضى جعل أمراء بنى أمية ضمن هذه الفئة، فلا نسمع من يقول عن هشام المؤيد (مولد) مع أنه تجرى فيه دماء قوطية إلى جانب الدم العربى، لكن ومع ذلك فقد ظهر أن هذا الجيل (المولدين) عربى فى قوميته؛ لأنه عربى فى عقيدته وثقافته ولغته، لا كما يدّعى بعض المؤرخين المحدثين.

١٤- تبين أن الزواج المختلط قد ترك بعض الآثار الإيجابية والسلبية على المجتمع الأندلسى، أما الإيجابية فكانت الاقتصاد فى نفقات الزواج، وربما جاء هذا نتيجة الغزوات، وما رافقها من السبى من بنات الإسبان؛ الأمر الذى ترتب على ذلك انخفاض أسعار الجوارى، بحيث أقبل أفراد الفتح على الزواج من السبايا، كما تبين أيضًا أن للزواج أثره على الناحية العمرانية، وهذا نستدل عليه من خلال مدينة الزهراء؛ المدينة التى سُمِّيت باسم جارية كان الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م)، يحبها حبًا شديدًا تمنت عليه أن يبنى لها مدينة باسمها، والغريب فى الأمر أن هذه المدينة استمر العمل فيها نحوًا من أربعين عامًا (٣٢٥-٣٦٦هـ/ ٩٣٦-٩٧٦م) انفق على بنائها فى كل سنة ثلث جباية الدولة، أما بالنسبة للآثار السلبية منها، وخصوصًا إذا كان فى البيت الواحد حرة والأخرى جارية، الأمر الذى يجعل العداء نتيجة طبيعية بين

الضرتين، إذ كان من شأنه غرس بذور العداوة والبغضاء بين أفراد البيت الواحد، وغالبًا ما كانت تنتقل عدوى العداء هذا إلى عامة الشعب، كما ظهر أن هذا الجيل الناتج عن الزواج المختلط كان على درجة كبيرة من الجمال، نزاعًا إلى أمهاتهم اللواتى كن يتمتعن ببياض بشرة وإصفرار شعر وزرقة عيون، وهى صفات يحبها العربى؛ لأنها جديدة عليه، إلا أن هذا الجيل تميز بتعصبه إلى أبناء جلدته، شديد الحرص على ذكر الأخبار والحوادث التى تمت بصلة خاصة على مركز عائلته، وخير مثال على ذلك ابن القوطية.

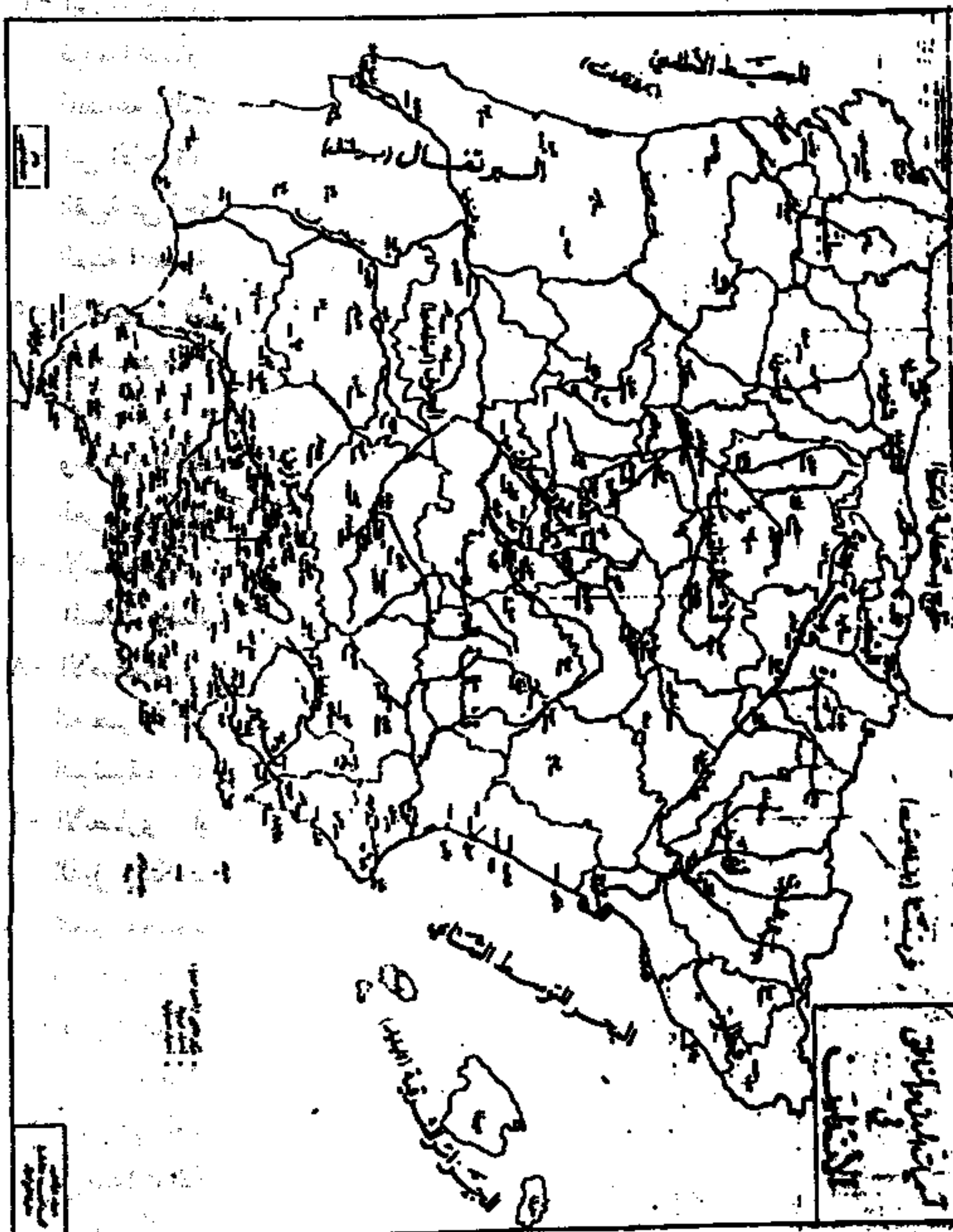
١٥- تميزت المرأة الأندلسية فى أنها كانت تتمتع بمنزلة ثقافية رفيعة؛ لما أعطى لها من حرية التعبير عن ذاتها وشخصيتها، فكانت أكثر قدرة على الحركة، تتعلم وتتفقه فى الدين، وتدرس الأدب، وتنظم الشعر، وتبارز الشعراء قافية بقافية، ويشهد على ذلك كثرة النساء اللواتى برزن فى مجالات العلم والأدب، وتردد بعضهن على مجالس الرجال العلمية والأدبية، كما عُرِف عن بعضهن الرحلة فى طلب العلم، وربما تعود أسباب عوامل انطلاقة النهضة الثقافية النسوية فى الأندلس إلى تشجيع حكام بنى أمية فى التعلم والاستزادة، فضلاً عن حرية الحياة العلمية التى أتاحت الفرصة للنساء والرجال على السواء فى التعلم، فتكونت فى الأندلس قاعدة علمية متينة تتصف بالبراعة، واستنتجت الدراسة بأن التعليم كان منتشراً بين النساء ومنذ الصغر، إذ كانت المرأة تتلقى تعليمها فى البيت على يد من كان مؤهلاً من أفراد الأسرة كالأب والزوج والأخ، ولا تتوافر الشواهد التاريخية فيما إذا كانت الفتاة تذهب إلى المكتب لتلقّى العلم، كما لا تشير فى نفس الوقت إلى أماكن تعليم النساء، أما الجوارى فكن يتلقين تعليمهن على يد مواليهن ليتم بيعهن بأغلى الأثمان، كما ظهر هناك نساء زاولن مهنة التدريس لا سيما القرآن وتلاوته وكتابة المصاحف، بدليل ما عرف عن المعلمة رشيدة التى كانت تتجول فى بلاد الأندلس متحملة مشقة السفر فى سبيل أن تعظ النساء وتذكرهن، ووصلت المرأة إلى مرتبة الشيخة، حيث تلقّى العلماء العلم عنها، فضلاً عن إجازتها الرواة وإلقائها الدروس عليهن واشتغلت بوظيفة كاتبة لدى البلاط؛ وذلك لإجادتها الخط الحسن.

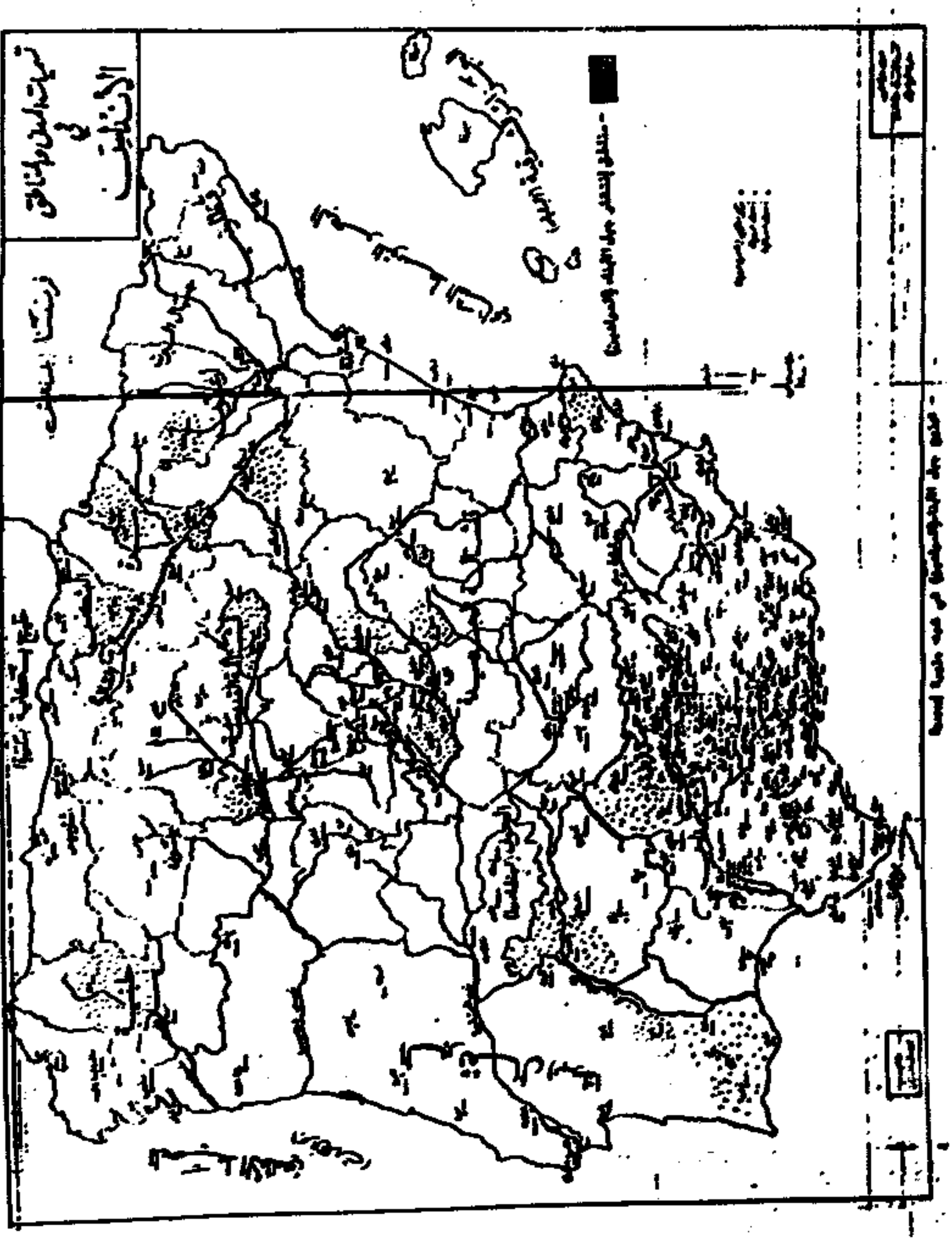
وفى الدراسات الأدبية ظهر الكثير من النساء اللواتى برعن فى مجال الأدب كنظم الشعر ورواية الأخبار والأشعار، وقد زخرت المصادر بالعديد من الشاعرات اللواتى برزن من خلال الفترة مدار البحث، برع بعضهن بمجال التأليف والاهتمام ببعض العلوم كالطب، والتشريح، وعلوم النحو والعروض، والموسيقى والغناء، ويشهد على ذلك دخول زرياب وابنتيه علية وحمدونة، بحيث لقى الموسيقيون عناية لم يلقوها من قبل.

١٦- أما عن أثر الزواج المختلط فى الحياة الدينية والثقافية، فقد ظهر جيل جديد من الأبناء (المولدين)، استوعب مبادئ الدين الإسلامى الجديد؛ وذلك بسبب نظرته التكريمية للإنسان، وقادهم إلى تقبل الإسلام وحُبّ أهله، فازدادت الصلات وثوقًا، وازداد الاختلاط مع غير المسلمين من الإسبان إلى حد أن المسلمين كانوا يزورون كنائس النصارى وهم بدورهم يزورون قبور أولياء المسلمين، ويشهد على ذلك كثرة الأسماء التى تعود فى جذورها إلى أصول إسبانية دخلت الإسلام، عرف عنها بالتقوى والفضل، كما أثّر هذا الاختلاط فى انتشار اللغة الإسبانية بين مسلمى الأندلس؛ بدليل ما تشير إليه المصادر من إشارات واضحة تدل على أن الخلفاء والقضاة وعلية القوم، فضلاً عن الطبقات الأخرى كانوا يتكلمون الإسبانية.

١٧- برزت المرأة وراء الأحداث السياسية بشكل مباشر أو غير مباشر، بحيث تدخلن فى الميدان السياسى منذ فترة مبكرة؛ بدليل ما تشير إليه النصوص سيما نساء القصر، وتدخلهن فى مسألة ولاية العهد، وساهمت كذلك فى بعض حركات التمرد والمعارضة، وفى الأعمال العسكرية، وخلصت الدراسة إلى قدرة المرأة على متابعة الأحداث السياسية، وإدارة أمور الدولة ومساهمتها فى تدبير المؤامرات والاغتيالات لبعض الشخصيات السياسية، إلا أن هذا لم يكن رهينًا بفئة من النساء؛ بل شمل نساء القصر ونساء العامة، والجوارى، وأخيرًا اتضح بأن جيل الأبناء (المولدين) لعبوا دورًا خطيرًا فى الحياة السياسية؛ ويشهد على ذلك حركاتهم الثورية ضد سلطان بنى أمية.

والحمد لله رب العالمين.





قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- القرآن الكريم.

أ- المخطوطات:

١- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر (ت٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، **التكملة لكتاب الصلة** (مخطوط)، المكتبة الأزهرية، القاهرة، رقم ٤٥/ ٦٧٤٤، أباظة.

٢- ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم (ت٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)، **صلة الصلة**، دراسة وتحقيق رضا هادى عباس، وزارة التربية، بغداد، مطبوع على الآلة الكاتبة وهو قيد النشر، ق٢.

٣- ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدى الجيانى الأندلسى (ت٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م)، **الأحكام الكبرى**، (مخطوط)، مكتبة الخزانة العامة، الرباط، المغرب، رقم٨٣٨.

٤- مؤلف مجهول، (عاش فى ق٦ هـ/ ١٣م) **عجائب البلدان والجبال والأحجار وغير ذلك** (مخطوط)، محفوظ لدى مكتبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، تحت رقم (١٤٥٠/ ١٤).

٥- مؤلف مجهول، (عاش فى ق٨ هـ/ ١٤م)، **الأندلس وما فيها من البلاد** (مخطوط)، محفوظ لدى مكتبة الدراسات العليا، جامعة بغداد، تحت رقم (٨٧٩٩).

ب - المصادر المطبوعة:

١- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى (ت٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، **التكمله لكتاب الصلة**، جزءان، نشر عزت العطار الحسينى، مكتبة الخانجى، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥٦م، **الحلة السيراء**، ط١، جزءان، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة، القاهرة ١٩٦٣، **الحلة السيراء** تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٦٢م، **أعتاب الكتّاب** ط١، تحقيق صالح الأشتر، د.ن،١٩٦١م، **المعجم فى أصحاب القاضى أبى على الصّدفى**، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.

٢- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، (ج٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩) دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.
٣- ابن الأحمر، الأمير إسماعيل علي بن يوسف (ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م.
٤- ابن الإخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى، الهيئة المصرية العامة، ١٩٦٧م.
٥- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)، المستطرف في كل فن مستظرف، الطبعة الأخيرة، ج١، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٥٢م.
٦- الإدريسي، عبد الله بن محمد الحسيني (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٣م.
٧- الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت في النصف الأول من ق ٤هـ/ ١٠م) المسالك والممالك، تحقيق نولكة، طبع بمدينة ليدن، مطبع بريل، ١٩٦٧م.
٨- الأصفهاني، عماد الدين محمد (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) خريدة القصر وجريدة العصر «قسم شعراء المغرب والأندلس» ج٢، تحقيق أذرتاش أذرنوس، الدار التونسية، ١٩٧١م.
٩- الأنصاري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول بقسميه الأول والثاني، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، د.ت، السفر الرابع والخامس والسادس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت، والسفر الثامن، تحقيق: محمد بن شريفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٤م، فهرست الرّصاع، ط١، تحقيق محمد العنابي، نشر المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٧م.
١٠- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس (ت٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.
١١- ابن بسّام، أبو الحسن علي (ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (ق١ - مج١، ق٣ - مج١، ق٤ - مج١، ق١ - مج٢، ق٣- مج٢، ق٢ - مج٣) تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

١٢- ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك (ت٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، كتاب الصلة، قسمان، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦م.

١٣- البكرى، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، ط١، تحقيق عبد الرحمن على الحجى، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان ، ١٩٦٨م.

١٤- الثعالبى، عبد الملك بن محمد، (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر، ط١، ج١، تحقيق محمد محيى الدين، مكتبة الحسين التجارية، القاهرة، ١٩٤٧.

١٥- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، رسائل، ج١، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة، مصر الجديدة، ١٩٦٤م.

١٦- الجرسيفى، عمر بن عثمان بن العباس (ت فى النصف الأول من ق٦ هـ/ ١٢ م): رسالة فى الحسبة، نشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق، إ. ليفى بروفنسال، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.

١٧- ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسى (ت٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.

١٨- ابن حبيب، عبد الملك (ت٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)، استفتاح الأندلس، تحقيق محمود على مكى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مج٥ (ع١-٢)، مدريد ١٩٥٧م.

١٩- ابن الحداد الأندلسى، (ت٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م): ديوان، ط١، تحقيق يوسف على طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

٢٠- ابن حزم، على بن أحمد (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، رسائل ابن حزم الأندلسى، ط١، جزءان، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، طوق الحمامة فى الألفة والألاف، تحقيق حسن كامل الصيرفى، تقديم إبراهيم الإبيارى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ت، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر ١٩٦٢م، رسالة فى أمهات الخلفاء، ط٣، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان ، ١٩٨٠م.

٢١- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.
٢٢- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، د.ت صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، نشر إ.ليفى بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م.
٢٣- ابن حوقل، أبو القاسم، النصيبي، (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
٢٤- الحنبلي، أبو الفلاح، عبد الحى بن العماد (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج٣، تحقيق لجنة التراث العربى، دار الآفاق، بيروت، د.ت.
٢٥- ابن حيان، أبو مروان، حيان بن خلف (ت٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)، المقتبس فى أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن على الحجى، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م. المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس، نشر أنطونية، باريس ١٩٣٧، المقتبس فى أنباء أهل الأندلس تحقيق محمود على مكى، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م ، المقتبس، ج٥، نشر، ب. شالميتا كورينطى وم. صبح وغيرهما، المعهد الإسبانى العربى للثقافة، كلية الآداب بالرباط، مدريد، ١٩٧٩م.
٢٦- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله الإشبيلى (ت٥٢٩هـ/ ١١٣٤م): قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ط١، ٤أجزاء، تحقيق حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار الزرقاء، الأردن، ١٩٨٩م، مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس، ط١، تحقيق محمد على الشوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م.
٢٧- ابن الخراط، أبو محمد عبد الحق بن عبد الله الأزدى (ت٥٨١هـ/ ١١٨٦م) الأندلس فى اقتباس الأنوار فى اختصار أقباس الأنوار، تحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٩٠م.
٢٨- الخشنى، أبو عبد الله محمد بن حارث، (ت٣٦١هـ/ ٩٧١م)، قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م، أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق ماريا لويس أبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربى، مدريد، ١٩٩٢م.

٢٩- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلمانى(ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، **الإحاطة فى أخبار غرناطة**، (ج١،ج٤)، تحقيق محمد عبد الله عنان، دار المعارف، مصر. د.ت. **اللمحة البدرية فى الدولة النصرية**، ط٣، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م، **تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فى من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، ط٢، تحقيق، ليفى بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ١٩٥٦م، **رقم الحلل فى نظم الدول**، المطبعة العمومية، تونس المحمية،١٣١٦هـ.

٣٠- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمى (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر**، (ج٤)، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧١م، **مقدمة ابن خلدون**، ط١، (ج٣)، تحقيق عبد الواحد وافى، وعلى عبد الواحد وافى، لجنة البيان، العربى، ١٩٦٠م.

٣١- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (ج٣، ٤، ٧)، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م.

٣٢- الدانى، أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م): **المقنع فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار** مع كتاب النقط، ط٢، تحقيق محمد أحمد همان، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣م.

٣٣- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن (٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق إبراهيم الإبيارى وآخرون، مراجعة طه حسين، دار العلم للجميع، سوريا، د.ت.

٣٤- ابن دراج، أحمد بن محمد بن العاصى، (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م): **ديوان ابن دراج القسطلى**، ط١، تحقيق محمود على مكى، منشورات المكتب الإسلامى، مدريد، ١٩٦١م.

٣٥- الذهبى، أبو عبد الله شمس الدين محمد (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، **العبر فى خبر من غبر**، ط١، ج٢، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بيسونى، دار المكتبة العلمية لبنان، بيروت، ١٩٨٥م، **تذكرة الحفاظ** (ج٣،مج٢)، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان،د .ت.

٣٦- الرشاطى، أبو محمد (ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، **الأندلس فى اقتباس الأنوار فى إقباس الأنوار**، تحقيق إيميليو مولنيا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربى، مدريد، ١٩٩٠م.
٣٧- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد القرطبى، المالكى (ت٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، تحقيق محمد سالم محيسن وشعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، الأزهر، ١٩٧٠م.
٣٨- ابن رشيق، أبو على الحسن (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) **العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ط١، ج١، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة حجازى، القاهرة، مصر، ١٩٣٤م.
٣٩- ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم، (ت٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م) **تراجم الغرباء من صلة الصلة**، نشرت ضمن كتاب الذيل والتكملة، (س٨-ق٢)، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٤م.
٤٠- الزبيدى، أبو بكر محمد بن الحسن، (ت٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧٣م.
٤١- ابن زيدون، أحمد بن عبد الله بن أحمد، (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، **ديوان ابن زيدون ورسائله**، تحقيق على عبد العظيم، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، ١٩٥٧م.
٤٢- ابن أبى زرع، على بن عبد الله الفاسى (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب، وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والنشر والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.
٤٣- ابن الساعى، تاج الدين أبو طالب بن أنجب (ت٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م)، **نساء الخلفاء المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء**، تحقيق مصطفى جواد، دار المعارف، مصر، د.ت.
٤٤- ابن سحنون، محمد (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) **آداب المعلمين**، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، نشر دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٧٢م.
٤٥- السرقسطى، أبو عبد الله بن محمد (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، **روضة المحاسن وعملة المحاسن، ديوان أبو بكر بن محمد الجزّار والسرقسطى، وفصول من كتاب بادرة العصر**، تحقيق منجد بهجت، مطبعة المجمع العَلمى العراقى، ١٩٨٨م.

٤٦- ابن سعيد، على بن موسى (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، **المغرب فى حلى المغرب**، ط٢، جزءان، تحقيق شوقى ضيف، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٧٨م، **رايات المبرزين وغايات المميزين**، تحقيق نعمان عبد المقتال القاضى، لجنة إحياء التراث الإسلامى، مصر، القاهرة، ١٩٧٣م.
٤٧- السلفى، أحمد بن محمد بن أحمد (ت٥٧٦هـ/ ١١٨٠م)، **أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفى**، ط ١، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م.
٤٨- ابن السماك، أبو القاسم محمد بن أبى العلاء (ت٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)، **الزهرات المنشورة فى نكت الأخبار المأثورة**، تحقيق محمود على مكى، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، مدريد، مصر الجديدة، مج٢٠، ١٩٧٨.
٤٩- السيوطى، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، **تاريخ الخلفاء**، ط١، تحقيق محمد محيى الدين، دار العلوم الحديثة، لبنان، د.ت. **بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة**، ط٢، جزءان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، مصر الجديدة، ١٩٧٩م، **نزهة الجلساء فى أشعار النساء**، مكتبة القرآن للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.
٥٠- ابن الشباط محمد على التوزى (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **صلة السمط وسمة المرط**، تحقيق أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.
٥١- الشقندى، اسماعيل بن محمد (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)، **رسالة فى فضل الأندلس**، نشرها صلاح الدين المنجد، ضمن ثلاث رسائل فى فضائل الأندلس وأهلها، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٨م.
٥٢- ابن شهيد، أبو عامر أحمد بن أبى مروان (ت٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م)، **ديوان ابن شهيد الأندلسى**، تحقيق يعقوب زكى، مراجعة محمود على مكى، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د.ت.
٥٣- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن أحمد (ت٥٩٤هـ/ ١١٩٧م)، **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الوارثين**، تحقيق عبد الهادى التازى، وزارة الثقافة والفنون، العراق، ١٩٧٩م.
٥٤- ابن صاعد، أحمد الأندلسى (ت٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م)، **طبقات الأمم**، ط١، تحقيق حياة بو علوان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت.

٥٥- الصفدى، صلاح الدين بن أيبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، **الوافى بالوفيات**، ط٢، ج٤، تحقيق محمد بن عبيد الله، دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن، ١٩٧٤م.
٥٦- الضبى، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت٥٩٩هـ/ ١٢٠١م)، **بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس**، دار الكتاب العربى، ١٩٦٧م.
٥٧- الطرطوشى، أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى المالكى، (ت٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، **سراج الملوك**، ط١، تحقيق جعفر البياتى، نشر رياض الريس، د.ت، ١٩٩٠م.
٥٨- ابن عاصم الغرناطى، أبو يحيى محمد (ت٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م) **جنة الرضا فى التسليم لما قدر الله وقضى**، (ج١،ج٢) تحقيق صلاح جرار، دار البشير، عمان، ١٩٨٩م.
٥٩-ابن عبد الحكم، القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)، **فتوح مصر وأخبارها**، نشر شارلس، باريس، ١٩٢٠م، **فتوح أفريقيا والأندلس**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٦٤م.
٦٠- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسى (ت٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، **العقد الفريد**، (ج٤،ج٦)، تحقيق وضبط أحمد أمين وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٤م، **طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وغرائب وأخبار وأسرار**، تحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ت.
٦١- ابن عبد الرءوف، أحمد بن عبد الله (ت فى النصف الأول من ق٦هـ/ ١٢م)، **رسالة فى آداب الحسبة والمحتسب**، نشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق، ليفى بروفنسال، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.
٦٢- ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبى (ت فى النصف الأول من ق٦هـ/ ١٢م)، **رسالة فى القضاء والحسبة**، نشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفى بروفنسال، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.
٦٣- ابن عذارى، أحمد بن محمد المراكشى (ت بعد سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)، **البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب**، ط٢ (٤أجزاء)، تحقيق ج.س. كولان ليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.
٦٤- العذرى، أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائى (ت٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب**

البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهـواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م.
٦٥- العسـقلاني، شهـاب الدين أبو الفضل (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، لسان الميزان، ج٥، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت.
٦٦- ابن العطار، محمـد بن أحمد الأموي (ت٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م)، كتاب الوثائق والسجلات، اعتنى بتحقيقه ونشره، ب. شالميتا، وف. كوريـنطي، المعهد الإسباني العربي، للثقافة، مدريد، ١٩٨٣م.
٦٧- ابن عـمر يحيـى الأندلسي (ت٢٨٩هـ/ ٩٠١م) أحكام السـوق ملحق بكتـاب النظر والأحكام في جـميع أحـوال السوق، تحقـيق محمود علي مكي، الشـركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٥م.
٦٨- ابن عيـاض، القاضي أبو الفـضل عيـاض بن موسى (ت٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مـالك (ج١، ج٤)، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م.
٦٩- ابن غالب، محمد بن أيوب الأندلسي (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقـيق لطفي عبـد البديع، مطبـعة مـصر، القاهرة، ١٩٥٦م.
٧٠- الغـرناطي، أبو إسـحق إبـراهيم بن عـبـد الرحـمن (ت٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)، الوثائق المختصرة، ط١، أعدها مصطفى ناجي، مركز إحياء التراث المغربي، الرباط، ١٩٨٨م.
٧١- أبو الفداء، عماد الديـن إسماعيل (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، المختصـر في أخبار البشر، ط١، ج٢، المطبعة الحسينية المصرية، ١٩٠٧م.
٧٢- ابن فرحون المالكي (ت٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م)، الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.
٧٣- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، تاريخ علماء الأندلس، قسمان، دار التأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، ١٩٦٦م.
٧٤- الفقيه، أبو بكر أحمد بـن محمد الهمذاني، (ت٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)، مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، ١٣٠٢هـ.
٧٥- القابسي، أبو الحسن علي بن مـحمد (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، ملحقة بكتاب التربية في الإسلام أو

التعليم فى رأى القابسى، أحمد فؤاد الأهوانى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م.
٧٦- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى، (ت٤٧٠هـ/ ٨٨٣م)، قصة فتح الأندلس من كتاب الإمامة والسياسة،الجزء الخاص بالأندلس، منشور ضمن كتاب افتتاح الأندلس لابن القوطية، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٨م.
٧٧- القرطبى، ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، ط٢، ق٢، تحقيق محمود موسى الخولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.
٧٨- القزوينى، زكريا محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.
٧٩- ابن القطان، أبو محمد حسن بن على (عاش فى ق٧هـ/ ١٣م)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ط١، تحقيق محمود على مكى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.
٨٠- القفطى، جمال الدين أبو الحسن (ت٦٤٦هـ/ ١٤١٨م)، تاريخ الحكماء من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
٨١- القلقشندى، أحمد بن على (ت٨٢١هـ/ ١٢٤٨م)، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ج٥، شرح وعلق عليه نبيل خالد خطيب، دار الفكر، د.ت، مآثر الإنافة فى معالم الخلافة، ج١، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإرشاد، الكويت، ١٩٦٤م.
٨٢- ابن القوطية، محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٨م.
٨٣- القيروانى، الرقيق أبو إسحاق إبراهيم، (ت٤١٧هـ/ ١٠٢٦م)، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق وتقديم المنجى الكعب، الناشر رقيق السقطى، تونس، ١٩٦٧م.
٨٤- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبى بكر، (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٨٣م.
٨٥- الكتانى، أبو عبد الله محمد (ت٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م)، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٦م.
٨٦- الكتبى، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/ ١٣٩٢م)، فوات الوفيات والذيل عليها، ج٤، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

٨٧- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)، **كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء**، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١.
٨٨- مجهول المؤلف (عاش في أواخر ق٥ هـ/ ١١م)، **فتح الأندلس**، ونشر دون خواكين دي كونتاليت، الجزائر، ١٩٨٩م.
٨٩- مجهول المؤلف (عاش في ق٤هـ/ ١٠م)، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم**، ط١، تحقيق إبراهيم الإبياري، الناشرون، دار الكتب الإسلامية، ودار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م.
٩٠- مجهول المؤلف (عاش في ق٤هـ/ ١٠م)، **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق وترجمة لويس مولينا، مدريد، ١٩٨٣م.
٩١- مجهول المؤلف (عاش في ق٤ هـ/ ١٠م)، **نبذة من أخبار فتح الأندلس عن الرسالة الشريفة إلى الأقطار الأندلسية** (القسم الثالث) ملحق بكتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية، ص (١٩٧-٢١٧)، دار النشر للجامعيين، بيروت ١٩٥٨م.
٩٢- مجهول المؤلف، **وصف جديد لقرطبة الإسلامية**، تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، (ع٥-مج١٣)، ٦٥-١٩٦٦م.
٩٣- مجهول المؤلف، (عاش في ق٧هـ/ ١٣م)، **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين**، تحقيق أمبروزيو أويثي ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، مج٩-١٠، ٦١-١٩٦٢م.
٩٤- مجهول المؤلف، **نبذة تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر**، ج١، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية نشر ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٤م.
٩٥- مجهول المؤلف، **كتاب ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم أو بيوتات فاس الكبرى**، تحقيق عبد القادر ورفاقه، مجلة البحث العلمي، يصدرها المركز الجامعي، للبحث العلمي، الرباط، ع٣، السنة الأولى (ع٤-٥)، السنة الثانية ٦٤-١٩٦٥م.
٩٦- المراكشي، أبو محمد عبد الواحد علي (ت٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، المطبعة الجمالية، القاهرة، ١٩١٤م.
٩٧- المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط١، ج٢، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥م.

٩٨- المقرى، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمسانى (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، **نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب**، (ج١-ج٦)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، **أزهار الرياض فى أخبار عياض**، ج٢، تحقيق مصطفى سقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠، (ج٤)، تحقيق سعيد أحمد أعراب ومحمد بن تاويت، المغرب، ١٩٨٠م، (ج٥) تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة المحمدية، ١٩٨٠م.

٩٩- المكناسى، أحمد بن القاضى، (ت١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)، **جذوة الاقتباس فى ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس**، (ق١)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م.

١٠٠- المكناسى، محمد بن عثمان (ت١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م)، **الإكسير فى فكاك الأسير**، تحقيق محمد الفاسى، المركز الجامعى للبحث العلمى، المغرب، د.ت.

١٠١- ابن منظور، جمال الدين بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، **لسان العرب المحيط**، ط١، ١٦ مجلداً، دار الفكر، دار صادر، بيروت، ١٣٠٠هـ.

١٠٢- الناصرى، أبو العباس أحمد بن خالد (ت١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** (ج١)، تحقيق جعفر الناصرى، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٥٤م.

١٠٣- النباهى، أبو الحسن على بن عبد الله بن الحسن (ت٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م)، **تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، المكتب التجارى، بيروت، لبنان، د.ت.

١٠٤- ابن النديم، محمد إسحاق (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، **الفهرست**، ط١، تحقيق ناهد عباس عثمان، دار قطرى بن الفجاءة، د.ت.

١٠٥- النويرى، شهاب الدين أحمد (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، **تاريخ المغرب فى العصر الوسيط، (إفريقية والمغرب والأندلس وصقلية وأقريطش) من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب**، ج٢٢، تحقيق مصطفى أبو ضيف، دار النشر المغربية، والدار البيضاء، د.ت.

١٠٦- ابن هذيل، الشيخ أبو الحسن على بن عبد الرحمن (ت٧٦٣هـ/ ١٣٦١م)، **تحفة الأنفس فى أشعار سكان الأندلس**، ترجمة لويس مرسى، المطبعة الشرقية ليولس غوتنهر، باريس، ١٩٣٣م.

١٠٧- ابن هشام، اللخمى، محمد بن أحمد (ت٥٧٧هـ/ ١١٨١م)، **الفاظ مغربية من كتاب لحن العامة**، تحقيق عبد العزيز الأهوانى، مجلة معهد المخطوطات العربية (مج٣-ج٣)، جامعة الدول العربية، ١٩٥٧م.
١٠٨- ابن الوردى، الشيخ زين الدين عمر (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، **تتمة المختصر فى أخبار البشر**، ط١، ج١، تحقيق أحمد رفعت البدراوى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م.
١٠٩- الونشريسى، أحمد بن يحيى (ت٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، (ط١)،(ج١، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١)، إشراف محمد حجى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨١م، **أسنى المتاجر فى بيان أحكام من غلب على وطنه من النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواج**، تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، مدريد (مج٥ - ع١-٢)، ١٩٥٧م.
١١٠- ياقوت الحموى، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، **معجم الأدباء**، (ج٧، ١٨، ١٩)، بيروت، لبنان، د.ت، **معجم البلدان**، مج٤، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.

ثانيًا: المراجع الحديثة:

١- أبو الخشب، إبراهيم على، **تاريخ الأدب العربى فى الأندلس**، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٠م.
٢- أبو دياك، صالح، **الوجيز فى تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عصر المرابطين وملوك الطوائف دراسة سياسية وحضارية**، ط١، مكتبة الكتانى، أربد، ١٩٨٨م.
٣- أبو صالح، وائل، **الجوارى فى الأندلس**، ط١، منشورات دار القلم ورام الله ١٩٨٥م.
٤- أبو ضيف، مصطفى، **القبائل العربية فى الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (٩١-٤٢٢هـ)**، الدار البيضاء. د.ت.
٥- احدادن، محمد، **المرأة فى الأدب الأندلسى فى عصر بنى أمية**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة حلب، حلب، ١٩٨٧م.
٦- أرسلان، شكيب، **الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية**، (ج١، ٢، ٣)، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

٧- أمين، أحمد، ظهر الإسلام، ط٢، ج٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.
٨- الإدريسي، أبو محمد التهامي كنون، قرة العيون بشرح نظم ابن ياموت، المكتبة الشعبية، بيروت، لبنان،د.ت.
٩- الأوسي، حكمت علي، فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، ط٤، مكتبة المعارف، بغداد، ١٩٧٣م.
١٠- بالنثيا، أنخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس،ط١، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، د.ت.
١١- البتنوني، محمد، رحلة الأندلس، ط١، مطبعة الكشكول، ١٩٢٧م.
١٢- بدر، أحمد، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة، ط٢، دمشق، ١٩٧٢م.
١٣- بروفنسال، ليفي، الحضارة العربية في إسبانيا، ط١، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ١٩٧٩م، سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها ألقاها عامي (٤٧-١٩٤٨م)، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، وعبد الحميد العبادي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥١م، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د.ت.
١٤- بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م.
١٥- بهجت، منجد مصطفى، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ)، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٨.
١٦- البواب، سليمان سليم، مائة أوائل من النساء، ط٢، دار الحكمة للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٦م.
١٧- بيضون، إبراهيم، الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة (٩٢-٤٢٢هـ/ ٧١١-١٠٣١م)، ط١، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.
١٨- بيهم، محمد جميل، المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٦٢م.
١٩- البيومي، محمد رجب، الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٩٨٠م.

٢٠- ترند، جى بى، إسبانيا والبرتغال، ج٢، أشرف عليه السيرتوماس أرنولد وعلق عليه جرجيس فتح الله ، المطبعة العصرية، الموصل، ١٩٥٤م.
٢١- التواتى، عبد الكريم، **مأساة انهيار الوجود العربى فى الأندلس**، ط١، نشر وتوزيع مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، ١٩٦٧م.
٣٢- جواد، ناجى، **رحلة إلى الأندلس**، ط١، دار الأندلس للطباعة، والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٦٩م.
٣٣- حايك، سيمون، **صبح البشكنسية أو الأندلس فى عهد الحكم المستنصر والدولة العامرية**، د.ن، ١٩٧٦م.
٢٤- حتاملة، محمد عبده، **ملامح حضارية فى الأندلس**، نشر ضمن كتاب بحوث ودراسات مهداة إلى عبد الكريم غرايبة، عمان ١٩٨٨م، **التنصير القسرى لمسلمى الأندلس فى عهد الملكين الكاثوليكين (١٤٧٤/ ١٥١٦م)**، ط١، عمان، الأردن، ١٩٨٠م.
٢٥- حتى، فليب وآخرون، **تاريخ العرب مطول**، ط٤، ج٢، مطابع الغندور، بيروت، ١٩٦٥م.
٢٦- الحجى، عبد الرحمن على، **التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ)**، ط١، دار القلم، ١٩٧٦م، **أندلسيات، (المجموعة الأولى والثانية)**، ط١، دار الإرشاد للطباعة والنشر، ١٩٦٩م، **تاريخ الموسيقى الأندلسية أصولها وتطورها وأثرها على الموسيقى الأوروبية**، ط١، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٩م.
٢٧- الحريرى، محمد عيسى، **حركات المولدين فى الجنوب الأندلسى فى عصر الإمارة الأموية بالأندلس (٢٦٧-٣١٦هـ/ ٨٨٠-٩٢٩م)** ودار المعرفة الجامعية، مصر، الأزاريطة، ١٩٨٥م.
٢٨- حسن، حسن إبراهيم، **تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى**، ط١، ج٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م، **النظم الإسلامية**، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م.
٢٩- حسين، حازم غانم، **الحياة العلمية والثقافية فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى**، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الموصل، الموصل، ١٩٧٥م.

٣٠- حسين، كريم عجيل، الحياة العلمية فى مدينة بلنسية الإسلامية (٩٢-٤٢٢هـ/ ٧١١-١٠٣٠م)، ط١، رسالة ماجستير، منشورة، جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، بغداد، ١٩٧٦م.
٣١- حمادة، محمد ماهر، المكتبات فى الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٤م.
٣٢- حمودة، على محمد، تاريخ الأندلس السياسى والاجتماعى، ط١، دار الكتاب العربى، مصر، ١٩٥٧م.
٣٣- حومد، أسعد، محنة العرب فى الأندلس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٨م.
٣٤- خالص، صلاح، إشبيلية فى القرن الخامس الهجرى (٤١٤-٤٦١هـ)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م.
٣٥- الخفاجى، محمد عبد المنعم، الأدب الأندلسى التطور والتجديد، ط١، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م.
٣٦- خلف، نافع محمود، اتجاهات الشعر الأندلسى إلى نهاية القرن الثالث الهجرى، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة عين شمس، ١٩٨٠م.
٣٧- خلاف، محمد عبد الوهاب، وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة (مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى، لابن سهل أبو الأصبغ عيسى بن عبد الله الأسدى الجيانى الأندلسى، مراجعة محمود على مكى ومصطفى كامل إسماعيل، القاهرة، د.ت، قرطبة الإسلامية فى القرن (١١م-٥هـ)، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الدار التونسية للنشر، د.ت.
٣٨- الدغلى، محمد سعيد، الحياة الاجتماعية فى الأندلس وأثرها فى الأدب الأندلسى، ط١، د.ن، ١٩٨٤م.
٣٩- دندش، عصمت عبد اللطيف، الأندلس فى نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثانى (٥١٠-٥٤٦هـ)، تاريخ سياسى وحضارة، ط١، دار الغرب الإسلامى، لبنان، بيروت، ١٩٨٨م.
٤٠- دوزى، رينهارت، تاريخ مسلمى إسبانيا (الحروب الأهلية)، ج١، ترجمة حسن حبش، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.

٤١- الدويدرى، هناء وحيد، **الموجز فى تاريخ الأدب الأندلسى والمغربى**، مطبعة الاتحاد ، دمشق، ١٩٨٥م.
٤٢- ذنون طه، عبد الواحد، **الفتح والاستقرار العربى الإسلامى فى شمال إفريقيا والأندلس**، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م، **دراسات أندلسية** (المجموعة الاولى)، ط١ ، منشورات مكتبة بسام، العراق، بغداد، ١٩٨٦م، **دراسات فى التاريخ الأندلسى**، ط١ ، كلية التربية، جامعة الموصل،١٩٨٧م.
٤٣- راضى، على محمد، **الأندلس والناصر**، دار الكاتب للطباعة، والنشر، ١٩٦٢م.
٤٤- الركابى، جودت، **فى الأدب الأندلسى**، ط٤ ، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م.
٤٥- ريبيرا، خوليان، **التربية الإسلامية فى الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية**، ترجمة الطاهر أحمد مكى، دار المعارف، مصر، د.ت.
٤٦- الريسونى، محمد المنتصر، **الشعر النسوى فى الأندلس**، تقديم عبد الله كنون، منشورات، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م.
٤٧- الزركلى، خير الدين، **الأعلام**، ط٦، ج١، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.
٤٨- زغلول، سعد، **تاريخ المغرب العربى من الفتح حتى بداية عصر الاستقلال**، ج١ ، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩م.
٤٩- السائح، محمد بن عبد السلام، بن عبد الرحمن، **سوق المهر إلى قافية ابن عمر** ، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٩٣٨م.
٥٠- سالم، السيد عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦١م، **فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٥م، **قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس** (دراسة تاريخية وعمرانية فى العصر الإسلامى) جزءان، دار النهضة، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.
٥١- السامرائى، خليل إبراهيم، **الثغر الأعلى الأندلسى دراسة أحواله السياسية (٩٥-٣١٦هـ)**، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٦م، **تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس**، جامعة الموصل، العراق ١٩٨٦م.
٥٢- ستانلس، لين بول، **قصة العرب فى إسبانيا**، ترجمة على الجارم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م.

٥٣- الشبيبى، محمد رضا، أدب المغاربة والأندلسيين، معهد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٦١م.
٥٤- الشعراوى، أحمد إبراهيم، الامويون أمراء الأندلس الأول، دار النهضة، القاهرة، ١٩٦٩م.
٥٥- الشكعة، مصطفى، الأدب الأندلسى، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م،
٥٦- شلبى، أحمد، التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، ط٣، ج٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٩م.
٥٧- شلبى، سعد إسماعيل، الأصول الفنية للشعر الأندلسى عصر الإمارة، دار النهضة، مصر، القاهرة، ١٩٨٢م.
٥٨- الشهيل، عبد الله محمد، صور عربية فى إسبانيا، النادى الأدبى، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٧٩م.
٥٩- الشيَّال، جمال الدين، التاريخ الإسلامى وأثره فى الفكر والتاريخ الأوروبى فى عصر النهضة، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
٦٠- صقر، محمد عبد الحميد، الفتح الإسلامى للأندلس، مكتبة سعيد رأفت عين شمس، ١٩٨٥م.
٦١- الصوفى، خالد، تاريخ العرب فى الأندلس عصر الإمارة من عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر (١٣٨-٣٥٠هـ)، دمشق، د.ت.
٦٢- ضيف، أحمد، بلاغة العرب فى الأندلس، ط١، مطبعة مصر، مصر١٩٢م.
٦٣- العاملى، زينب على، الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور، ط١، المطبعة الكبرى، الاميرية، ببولاق، مصر المحمية، ١٣١٢هـ.
٦٤- العانى، سامى مكى، دراسات فى الأدب الأندلسى، الجامعة المستنصرية، العراق، ١٩٧٨م.
٦٥- العبادى، أحمد مختار، فى تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، د.ت، قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٦٩م، الصقالبة، فى إسبانيا، المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، مدريد ١٩٥٣م، فى التاريخ العباسى، الأندلسى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م.

٦٦- العبادى، عبد الحميد، **المجمل فى تاريخ الأندلس**، ط٢، نسقه أحمد إبراهيم الشريف راجعه مختار العبادى، دار القلم، مصر، ١٩٦٤م.
٦٧- عباس، إحسان، **تاريخ الأدب الأندلسى عصر سيادة قرطبة**، ، ط٢، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م.
٦٨- عبد البديع، لطفى، **الإسلام فى إسبانيا**، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.
٦٩- عبد الحليم، محمد رجب، **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف**، دار الكتب الإسلامية، د.ت.
٧٠- عبد الله، نافع، **الهجاء فى الشعر العربى الأندلسى**، ط١، منشورات مركز الوثائق والأبحاث، جامعة بير زيت، ١٩٨٤م.
٧١- عبد المنعم، حمدى، **التاريخ السياسى لمدينة إشبيلية فى العصر الأموى**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٧م.
٧٢- عبود، محمد، **التاريخ السياسى والاجتماعى لإشبيلية فى عهد الطوائف**، مطابع الشويخ ويسبريس تطوان، ١٩٨٣م.
٧٣- عتيق، عبد العزيز، **الأدب العربى فى الأندلس**، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦.
٧٤- على، صالح أحمد، **محاضرات فى تاريخ العرب**، ط١، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٥٤م.
٧٥- على، سلمى سلمان، **المرأة فى الشعر الأندلسى (عصر الطوائف)**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٦م.
٧٦- على، محمد كرد، **غابر الأندلس وحاضرها**، المكتبة الأهلية، مصر، ١٩٢٣م.
٧٧- عنان، محمد عبد الله، **مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام**، ط٣، مطبعة مصر، ١٩٥٢م، **تراجم إسلامية شرقية وأندلسية**، ط٢، مكتبة الخانجى، القاهرة، د.ت، **دولة الإسلام فى الأندلس**، ط٣، قسمان، ، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٨٨م.
٧٨- فروخ، عمر، **العرب والإسلام فى الحوض الغربى من البحر الأبيض المتوسط من فتح المغرب وفتح الأندلس إلى آخر عصر الولاة (١٣٨هـ/ ٧٥٥)**، ط٢، دار الكتاب العربى بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

٧٩- كحالة، عمر رضا، **أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام**، ط٣، (ج١، ٢، ٣، ٤، ٥)، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٢م.
٨٠- الكزبرى، سلمى الحفار، **فى ظلال الأندلس (محاضرات)**، مطابع الألف باء، الأديب، دمشق، د.ت.
٨١- لوبون، غوستاف، **حضارة العرب**، ط٣، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٥م.
٨٢- محمد، عواد صالح، **الأندلس فى عهد الطوائف الأولى فى السياسة الداخلية** (٢٣٨-٣٠٠هـ/ ٨٥٢-٩١٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٦م.
٨٣- محمود، منى حسن، **المسلمون فى الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة**، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٦م.
٨٤- مُطلق، البير حبيب، **الحركة اللغوية فى الأندلس من الفتح العربى حتى نهاية عصر ملوك الطوائف**، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٦٧م.
٨٥- مكى، الطاهر أحمد، **دراسات أندلسية فى الأدب والتاريخ والفلسفة**، ط١، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٨٠م.
٨٦- المنجد، **المنجد فى اللغة والأعلام**، ط٢٧، دار المشرق، لبنان، بيروت، د.ت.
٨٧- مؤنس، حسين، **فجر الأندلس دراسة فى تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦م)**، ط٣، الدار السعودية، ١٩٨٥م، **شيوخ العصر فى الأندلس**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
٨٨- النعنعى، عبد الحميد، **تاريخ الدولة الأموية فى الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.
٨٩- هيكل، أحمد، **الأدب الأندلسى، من الفتح حتى سقوط الخلافة**، ط١، دار المعارف، مصر، القاهرة. ١٩٨٥م.

ثالثًا: الدوريات:

١- بهجت، منجد مصطفى، **المرأة والتعليم فى الأندلس**، مجلة الجامعة، جامعة الموصل، نشر دار الكتب للطباعة والنشر، س٩/ع٤، ١٩٧٩م، **أعلام نساء**

الأندلس مستلة من كتاب التكملة لابن الأبار (ت٦٥٨هـ)، المورد، ع١، مج١٩، د.ن، ١٩٩٠م.
٢- الجنحاني، الحبيب، الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الأندلس فى عصر عبد الرحمن الناصر من خلال المقتبس لابن حيان، المناهل، وزارة الشئون الثقافية الرباط، المغرب (ع٢٩-س١١)، ١٩٨٤م.
٣- حتاملة، محمد عبده، دراسة تاريخية لمؤلفات المؤرخ الإسبانى فرنشيسكو خافيير سيمونيت، بحث مقدم للندوة الدولية الثقافية العربية الإسبانية عبر التاريخ، سوريا، دمشق ١٠-١٣/ كانون أول، ١٩٩٠م.
٤- ذنون طه، عبد الواحد، قيام الممالك الإسبانية وعلاقتها مع العرب فى الأندلس، مجلة أوراق، المعهد الإسبانى الغربى للثقافة، س١٢-١٩٨٣م.
٥- ريبيرا، خوليان، نظرية حول عروبة الأندلس، ترجمة عدنان مصطفى، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، ع١٢، ١٩٨٩م، المكتبات وهواة الكتب فى إسبانيا الإسلامية، ترجمة جمال محرز، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، (مج٤-ج١)، ١٩٥٩م.
٦- سالم، السيد عبد العزيز، قرطبة فى العصر الإسلامى، مجلة المؤرخ العربى، بغداد، ع١٢، ١٩٨٠م، أضواء على مشكلة تأريخ بنيان المسجد الجامع بقرطبة، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مج١٥، ١٩٧٠م.
٧- طرخان، إبراهيم، أوروبا والحضارة الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، مج٢، ٧١-١٩٧٢م.
٨- العبادى، أحمد مختار، الأعياد فى مملكة غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، مدريد، مج١٥-٥٤، ١٩٧٠م.
٩- عثمان، محمد عبد العزيز، المرأة العربية فى الأندلس، مجلة المؤرخ العربى، بغداد، ع١٣، ١٩٨٠م.
١٠- عبد العزيز، سعاد أحمد، الموسيقار الإسلامى زرياب، مجلة المؤرخ العربى، بغداد، ع٢٢، ١٩٨٢م.
١١- عبد الله ، عبد العزيز، المرأة المراكشية فى الحقل الفكرى، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، مدريد مج٦، (ع١-٢)، ١٩٥٨م.

١٢- المنونى، محمد، ثقافة الصقالبة، مجلة المناهل، تصدرها وزارة الشئون الثقافية، الرباط، المغرب، (ع٣١-١١)، ١٩٨٤م.

رابعًا: المراجع الأجنبية:

1- Ahmed, S,S.: "The Moorish Spain" First Edition, Publishers, Farooqkitab, Charur dubazar, Karachi, March,1972.

2- El-Hajje, Abdul-Rahman,:"Andlusian Diplomatic-Relations with Western Europe during the UmayyadPeriod ",(A.H.138-366/755-976) A.D, Ph.D. Thesis,Dar- Al-Irshad, Beirut, 1970.

3- Guichard, Pierre.: "Structures Sociales, Orientales, et Occidentales dans L'Espagne Musulmane", Paris, 1977.

4- Imamuddin, S.U.: "Islam in Spain (711-1492): A Sociological-Study", Volume II, Netherlands, Leiden, 1981.

5- Levi, E. Provencal, Histoire de L'Espagne Musulmane", Paris, Vol, III, 1967.

6- Lomox Derek. D.: The Reconquest of Spain, Longman, New York, Published in the United States of America, 1978.

رقم الإيداع
٢٠٠٤ / ٨٣٤٦
الترقيم الدولى
977 - 241 - 570 - 4